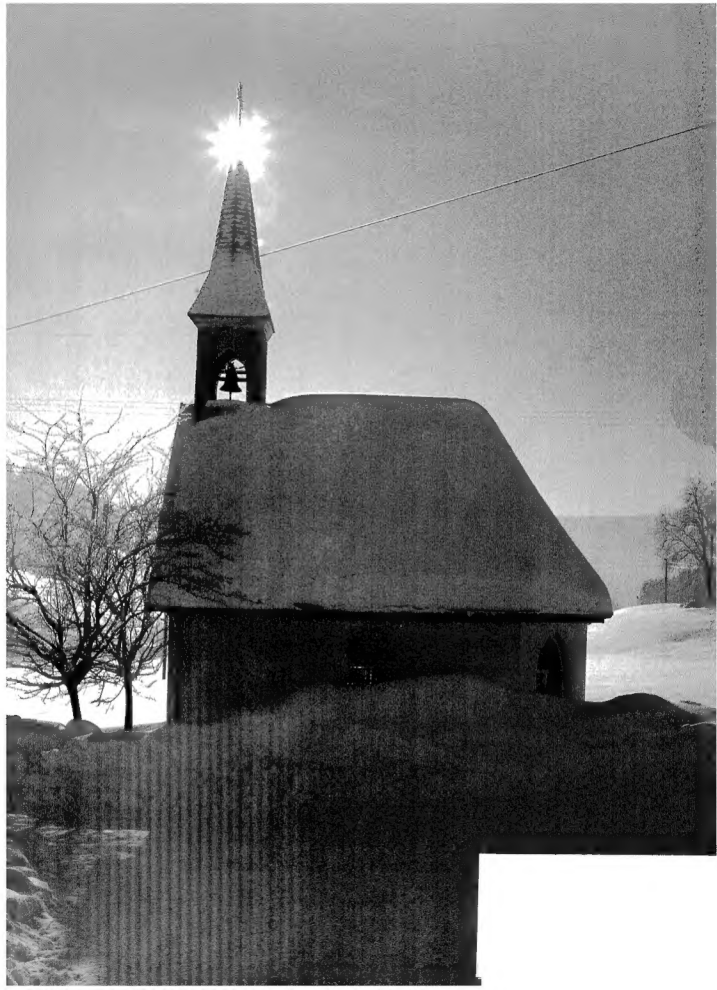


فكر وفن

٤٧





ليس في القرن العشرين فلسفة حظيت بمثل ما حظيت به فلسفة هايدغر من شهرة، ومن اهتمام من قبل جلّ المفكرين والفلاسفة بمختلف مشاربهم واتجاهاتهم. وهذه الفلسفة هي في جوهرها نقد عميق وجذريّ للميتافيزيقا الغربية، وأيضاً للعلم والتقنية الحديثة.

وقد بدأ اسم هايدغر يلعب في العشرينات من هذا القرن، أي في الفترة التي عين خلالها استاذاً للفلسفة في جامعة «فرايبورغ». ويعود ذلك أساساً إلى أن طلبة هايدغر، وأيضاً طلبة أقسام الفلسفة في مختلف الجامعات الألمانية، استشفوا من خلال أسلوب الفيلسوف الشاب، منهجاً فلسفياً جديداً يعارض تلك المناهج الفلسفية التقليدية التي كانت سائدة آنذاك. غير أن شهرة هايدغر الحقيقية بدأت لما أصدر كتابه الشهير «الوجود والزمن» (Sein und Zeit) عام ١٩٢٧، والذي يعدّ أهمّ مؤلف فلسفي ظهر في هذا العصر. وقد كان هذا الكتاب بمثابة «الثورة» ضد المناهج الفلسفية التقليدية التي كانت تحوّل الفلسفة إلى «مجرد دروس مضجرة إلى أبعد حدود الضجر». وبفضله، تمكن هايدغر من أن يثيراً المكانة التي يستحقها في الفلسفة الحديثة.

وقد اشرت جلّ مؤلفات هايدغر الفلسفية في جلّ التيارات الفلسفية والفكرية التي ظهرت منذ الثلاثينات وحتى السبعينات. ويرى تأثير هايدغر في فرنسا بصفة خاصة. ونحن نقدر أن نقول أن أهمّ مؤلف فلسفي لجان بول سارتر «الوجود والعدم» (L'être et le néant) الصادر عام ١٩٤٣ هو تحسيد لهذا التأثير، إذ أن سارتر أعاد تقريباً في كتابه هذا صياغة أهمّ الأفكار والمفولات التي كان هايدغر قد أوردها في كتابه «الوجود والزمن». ولم يقتصر تأثير هايدغر على سارتر وحده، وإنما بد واضحاً في جلّ مؤلفات الفلاسفة الوجوديين من أمثال مارلوبوني وغابريال مارسيل وغيرها. ويمكننا أن نقول أن تأثير هايدغر على التيارات الفلسفية لا يزال مستمراً إلى وقتنا هذا.

غير أن شهرة هايدغر الواسعة اصطدمت في الكثير من الأحيان بمواقفه تجاه الفترة النازية. فبينما آثر العديد من المفكرين والكتاب الأحرار من أمثال فالتر بنجامين (Walter Benjamin) وتوشولسكي (Tucholsky) وتوماس مان (Thomas Mann) وستيفان زفايغ (Stefan Zweig) وبرتولد برشت (Bertolt Brecht) وغيرهم مغادرة وطنهم ألمانيا احتجاجاً على الغطرسة النازية، خيّر هايدغر البقاء، غير مبال بما كان يحدث حوله من جرائم تعارض أساساً مع توجهات فلسفته التحريرية والانسانية. ولم يكف بذلك، بل أنه قبل أن يعين رئيساً لجامعة «فرايبورغ» عام ١٩٣٣. وفي العديد من الخطب التي القاها في تلك الفترة، لم يتردد في مساندة الحزب النازي، وفي تبرير توجهاته، وأساليبه. وبعد الحرب العالمية الثانية، ارتفعت أصوات عدد من المفكرين والفلاسفة مستنكرة مثل هذه المواقف. غير أن النقاش الحقيقي بشأنها بدأ عام ١٩٦٢، أي عندما أصدر غيدو شنبييرغر (Guido Schneeberger) كتاباً قدم فيه وثائق لادانة هايدغر.

وخلال خريف عام ١٩٨٧، صدر في باريس كتاب جديد للمؤلف الشيلي فيكتور فارياس بعنوان «هايدغر والنازية». وسرعان ما أثار هذا الكتاب جدلاً حاداً وعنيفاً بخصوص هايدغر وفلسفته في كل من فرنسا وألمانيا وأيضاً في العديد من البلدان الأوروبية الأخرى.

وقد حاولت «فكر وفن» من خلال عددها هذا، تقديم بعض النصوص التي يسعى فيها أصحابها إلى توضيح بعض جوانب فلسفة هايدغر. كما أنها تنشر إلى جانب ذلك، نصوصاً وفقرات من خطب القاها هايدغر عندما كان رئيساً لجامعة «فرايبورغ» والتي اعتمدها البعض لادانة مواقفه تجاه الحكم النازي. وتعدّ «فكر وفن» قراءه الكرام بأنها متواصلة في عددها المقبل تقديم عدد من النصوص التي تتناول بالبحث الفلسفة الألمانية في ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد اهتمت «فكر وفن» في عددها هذا أيضاً بمعرض «شتوتغارت للغرائبية» الذي عرضت خلاله تحف ولوحات ووثائق تجسد التأثيرات التي أحدثتها الثقافات الشرقية، وغيرها في الخيال الغربي.

EDITORIAL	1	١	الافتتاحية.
-----------	---	---	-------------

INHALTSVERZEICHNIS	2-3	٢ - ٣	الفهرس.
--------------------	-----	-------	---------

Martin Heidegger:	6	٦	مارتن هايدغر:
Nur der Schwarzwald kann mich inspirieren.			وحدها والغابة السوداء تهمني.



Michel Haar:	11	١١	ميشيل هان:
Der Dichter ist kein Heilsbringer.			الشعر لا يأتي بالخلاص.

Guy Basset:	14	١٤	غاي باسيت:
Heidegger und die Rückkehr zu den Griechen.			هايدغر والعودة إلى الإغريق.

Heidegger und der Nationalsozialismus	18	١٨	هايدغر والنازية
---------------------------------------	----	----	-----------------

Jürgen Habermas:	19	١٩	يورغن هابرماس:
Mit Heidegger gegen Heidegger denken.			كيف تفكر مع هايدغر ضد هايدغر.

Hannah Arendt:	22	٢٢	هانا أرندت:
Der heimliche König der Philosophie.			الملك السري للفسفة.

SPIEGEL-INTERVIEW	24	٢٤	مجلة «دير شبيغل» في حوار مع
mit Martin Heidegger aus dem Jahr 1966.			مارتن هايدغر: لم اتعاون مع القوميين الاشتراكيين!

Friedrich Nietzsche:	32	٣٢	فريدريك نيتشه:
Mein Leben.			حياتي.

Beatrice Commagé:	34	٣٤	بياتريس كومونجي:
Nietzsche und die Aufklärung.			نيتشه والوضوء.

Wilhelm Schmid:	40	٤٠	فيلهلم شميدت:
Das Abenteuer der neuen			حمة الفلاسفة الجدد في فرنسا
französischen Philosophie.			مغامرة مثيرة لفكر جديد: الفلسفة في فرنسا.

Stefan Grün/Benedikt Erenz:

43

٤٣

Phantastische Reise in den Irgarten der Sehnsüchte.

Betrachtungen zur Stuttgarter Ausstellung

«Exotische Welten – Europäische Phantasien».

شتيفان غرون - بينيديكت ايرنتس:

بمناسبة معرض شتوتغارت للفراثية:

أنا عائذ الى الشرق، الى الحكمة الاصيلة الايدية!

– رحلة الى حديقة الشرق المجنونة.



Nikolaus Sombart:

57

٥٧

Die Frau ist die Zukunft des Mennes.

نيكولاوس سومبارت:
المرأة مستقبل الرجل.

Uwe Wessel:

61

٦١

Der Patriarch, der

das Matriarchat entdeckte.

أوليف فيزل:
قراءات بخؤنان: الابوي الذي اكتشف
حكم المرأة قبل مائة عام.

Erdmute Heller:

65

٦٥

Die Angst der Patriarchen vor der Frau.

Betrachtungen zu einem Buch von Fatima Memissi.

أردموت هيلز:
خوف من مجتمع الرجال
– الكيان النسوي في الاسلام.

Saml Shahn:

68

٦٨

Portrait des ägyptischen Regisseurs Yussuf Shahn

سامي شاهين:
الرجل المرئي أبداً.

Annenmarie Schimmel:

78

٧٨

Friedrich Rückert und die Rosengärten der Poesie.

Zum 200. Todestag des Dichters.

أنا ماري شيميل:
فريدريك روكرت: عبقري اللغات.

NEUE BÜCHER

80

٨٠

كتب جديدة

يقدم الناشر أدراك النشر شكرهم لكل من ساعد بمعونته في إعداد هذا العدد.

Adresse der Redaktion: Dr. Erdmute Heller, Franz-Joseph-Str. 41, D-8000 München 40

تظهر مجلة مفكرين، العربية مؤقَّتاً مرتين في السنة: ثمن النسخة ١٤ مارك ألماني، النسخة لظلية ٧ مارك ألماني.

تقدم طابرات الاشتراك الى دار النشر.

Druck: Greven & Bechtold, Köln Design: Graphoteam Köln Satz: Fotosatz Frolzheim GmbH, Bonn

ملاحظة: تتوجه مجلة مفكرين، بتشكراتها الى جميع اصديقاتها وراسلها وتعلمهم انها ليست قادرة على الاجابة على مراسلاتهم أو الرد على اقتراحاتهم. أو على التنصيص التي يرسلونها سواء نشرت أم لم تنشر.

إدارة المجلة.

الغلاف (١) و(٢): صورة غلاف «كأنلوك» معرض شتوتغارت للفراثية.

الغلاف الداخلي (١): منظر من «الغابة السوداء» في الشتاء.

الغلاف الداخلي (٢): القصر الملكي في «برلين» (أنكلترا).



منظر من
والغابة السوداء
وجبال الألب.



منظر من
«الغابة السوداء»
قبل الغروب.



وحدها «الغابة السوداء» تلهمني

مارتن هايدغر

وتتموج. ليس في اللحظات التي نريدها أن تكون لحظات انغماس في المتعة ولحظات تحقيق الذاتية المصطنعة، وإنما فقط حين يكون وجودي في حالة تأدية عمله. العمل وحده يفتح الفضاء لواقع الجبل هذا. وسيره يظل منتظاً في تحولات المشهد الطبيعي. حينما في ليل الشتاء العميق تنفجر عاصفة تلججة حول البيت، وتأتحد في تغطية وسواراة كل شيء، عندئذ يبدأ زمن الفلسفة. وعندئذ لابد أن يصبح سؤالها بسيطاً وأساسياً. إن صياغة كل فكرة لا يمكن أن تكون الأ卡西مة وقاطعة. والجهد الذي تتطلبه قوة الكلمات شبيه بصمود أشجار التنوب التي تنتصب أمام العاصفة.

والعمل الفلسفي لا يتم بعيداً كما لو أنه فريد من نوعه. إن مكانه يوجد وسط عمل الفلاحين. عندما يمر المزارع الشاب المزلاج الثقيل المحمل بحطب أشجار الزئان على طول المنحدر الوعر والخطر باتجاه ضيعته، وعندما يدفع الراعي يخطى حالة وبطيئة قطيعه باتجاه القمة، وعندما يجمع الفلاح في غرفته القذات الكثيرة الصالحة لسقفه، فإن هذا العمل يكون من نفس الصنف. والانتساب الفوري لعالم الفلاحين يحد هنا جذوره. المدني يعتقد أنه ويختلط بالشعب كلياً تنازل عن كبرياه وتجاوز طويلاً مع أحد المزارعين. وعندما، في المساء وفي فترة الاستراحة، اجلس مع الفلاحين على مقعد أمام المدفأة أو حول طاولة، هناك في ركن الركن (Hergottswinkel) (١)، فاني في أغلب الأحيان لا أتحدث معهم إطلاقاً. وهم أيضاً. ونحن ندخل الغليون في صمت. وربما من حين إلى حين، نسطع منا كلمة لتقول مثلاً أن قطع الخشب في الغابة يقترن من نشاطه، وأن الشعور في الليلة السابقة داهم قرن الدجاج وأتلف الكثير منه، وأنه من المحتمل أن تلد البقرة غداً، أو أن أحد الجيران أصيب بمرض ما. إن انتساب عملي للحجم «الغابة السوداء» وللناس الذين يعيشون فيها له جذور قديمة جداً، ولا شيء يعوضه في المزدوج الشواطي والألاني السويسري. إن المدني يتعثر في أكثر تقدير عندما يُدعى للاقامة في الريف. أما بالنسبة لي، فإن عملي هو الوجه من طرف هذا العالم من الجبال والمزارعين. والأل، توقف عملي من حين لآخر أوقات طويلة مُخصّص للتحاور أو للتشغل للقيام بمحاضرات ومناقشات، أو لتدريس هناك عند سفح الجبل (يقصد

مقدمة: في أيلول / سبتمبر ١٩٣٣، تلقى مارتن هايدغر الذي كان قد عين عميداً لجامعة «فرايبورغ» منذ ٢١ نيسان / أبريل، ولمرة الثانية (العرض الأول لتلقاه قبل ذلك بسنوات) اقتراحاً بتعيينه أستاذ كرسي للفلسفة في جامعة برلين. والنص الذي تقدمه «فكر وفن» لقرائنها يتضمن تفسير رفضه لذلك. وفيه نجد وصفاً شاعرياً ودقيقاً في نفس الوقت للـ «Höte»، أي للبيت الريفي الذي اعتاد هايدغر الاشتغال فيه، والذي فيه كتب جزءاً كبيراً من مؤلفه الشهير «Sein und Zeit»، وأيضاً لوائي «تودناو» (Todtnau) القريب من «فيلدبارغ» (Feldberg)، القمة الأكثر ارتفاعاً في «الغابة السوداء»، وهو مكان اشتهر في تلك الفترة بسبب إقبال هولة التزلجن على الثلج عليه. وفي النص، ثمة صدى سيرة هايدغر الذاتية، إذ أنه يشدد فيه على تجذره العميق في عالم الفلاحين. وقد أذيع عند ظهوره في الراديو. كما نشرته جريدة «القبوئين الاشتراكيين» (Der Alemanne) المحلية في مارس / آذار / ١٩٣٤، أي عقب استقالة هايدغر من منصبه كمعيد لجامعة «فرايبورغ»:

على المنحدر الوعر لرواد عال وكبير هناك في جنوب «الغابة السوداء»، على ارتفاع ١١٥٠ متراً، بيت ريفي صغير (٦) على ٧ أمتار، يغطي سقفه الروابي ثلاث غرف: المطبخ وهو في نفس الوقت القاعة الكبيرة الرئيسية، غرفة النوم، وغرفة مستعملة كمكتب للعمل. ومشتتة في العمق الضيق للوادي، وعلى المنحدر المواجه والوعر أيضاً، تنتشر بكثرة الضيعات ذات السقوف الكبيرة والمائلة. وعلى طول المنحدر، تصعد حقول الرعي حتى غابة التنوب الشامخ والدّاكن. وفوق كل هذا المنظر، تمتد سماء صافية، وفي فضائها المشع يرتفع صقران وهما يرسان دوائر واسعة. هذا هو عالم عملي كما تراه عين المصطاف والضيف العابر المحب لتأمل. أنا نفسي لا أتأمل المنظر الطبيعي المحيط بي، بالمعنى الحقيقي للكلمة. أنا أحسن تحولاته من ساعة إلى أخرى، ومن الليل إلى النهار، خلال تعاقب الفصول. إن ثقل الجبال وصلابة صخورها القديمة، والتمسك للخرس لأشجار التنوب، وبهاه المضيء للحقول المزهرة، وهمس السيول في ليل الخريف الطويل، وأيضاً البساطة الصارمة للمساحات المغطاة بثلوج كثيفة تنسرب كلها إلى الحياة اليومية هناك في الاعالي، وفيها تتجمّع وتتراكم

أحيانا غير مبال اطلاقا بعالم الفلاحين وبطريقة حياتهم. وبذلك يتم بالتحديد نفي ماهو الآن وحيد وضروي، أي أننا نظل على مسافة من نمط عالم الفلاحين، ونمعله أكثر من أي وقت مضى لقانونه الخاص ونَحْشِن ملامسته - حتى لا نعرّض للعنف وذلك بعرضه على الشرثرة الكاذبة لاصحاب الأدب حول ما يكون الوجود الخاص للشعب ولانتباهه إلى مُزْدَرَج ما. ان الفلاح لا يرغب اطلاقا في تمجّل المدنيين هذا، وليس بحاجة اليه. غير أن ما يريده وما يرغب فيه ورقة غشّية تجاه وجوده الخاص وتجاه ما هو على علاقة به. ولكن هناك كثيرين بين القادمين من المدن، والذين ياتون في زيارات عابرة - ابتداء بهواة الزحف على الثلج - يتصرفون اليوم في القرية أو في الضيعة كما لو كانوا «تَسْلُون» في أماكن اللهو الموجودة في مدنها الكبيرة. ان مثل هذا السلوك يقتل في ليلة واحدة ما تعجز عن تنفيذه عشرات السنين من التدريس العلمي حول مكوّنات شعب ما وحول التقاليد الشعبية.

فَلَسْخُ جانباً كلّ لغة متساعخة وكل مصلحة غير حقيقية مع الشعب. ولتتعلم احترام الحياة الصعبة والبسيطة هناك في الأعالي، وإن تعاملها بجدّ ووصانة.

أخيراً عُرِضَتْ عليّ جامعة برلين كرسيّ الفلسفة. ولهذا السبب أغادر المدينة وأرّو إلى بيتي الريفي، وأسمع ماتقولهُ الجبال والغابات والضيعات. وفي الآن نفسه أزرر صديقي القديم وهو فلاح في الخامسة والسبعين من العمر. وقد كان قرأ العرض في الصحف. ماذا تراه يقول؟ يحدّق ببطء بنظرته الجريئة المنتبهة من عينيه الصافيتين في عينيّ، ويظلّ محافظاً على فمه مغلقاً، ثم يضع برصانة يده اللفية على كتفيّ ويحرك راسه بشكل خفيّ. وهذا يعني لا. لا قاطعة!

(١) في ضيعة الغابة السوداء اعتاد الناس ان يجلسوا على المقعد الخشبي للندفة الكبيرة الموجودة وسط القاعة. والطالبة المحاطة بكراسي توجد في إحدى أركان هذه القاعة. وهناك يقع كمال المسح للضبوط. ولذا سمي هذا الركن: ركن الزمخ. (الترجم)

فرايبورغ). ولكن حالما أصدع إلى أعلى، ومنذ الساعات الأولى لوصولي إلى البيت، يداهمني عالم الاسئلة القديمة. ويتم هذا بنفس الشكل الذي تركتها عليه. وبكل بساطة أجد نفسي محمولا بالنعم الخاص للعمل، ولست أبدا في العمق سيّدا لقانونه الخفيّ. المدينيّون يندهشون أحيانا لعزائي الطويلة والرتيبة في الجبال وبين المزارعين. غير أن ما أعيشه ليس العزلة، وإنما الوحدة. في المدن الكبيرة، بإمكان الانسان ان يكون منعزلا أكثر مما في أي مكان آخر، وبسهولة متناهية. غير انه لا يستطيع ان يكون وحيدا البتّة. ذلك ان الوحدة لها نفوذ متميز تماما في الأ «عزلائنا»، ولكن بالعكس، في ان تلقى بحياتنا كلها بجوار جوهر كل الاشياء.

هناك أي في المدن بإمكاننا ان نحصل على الشهرة السريعة من خلال الصحف والمجلات. وهذا هو الطريق المؤكد للسقوط بسرعة في هاوية النسيان.

وبعكس ذلك، نجد ان ذاكرة الفلاحين تتمتع ببقاء بسيط ودوننا ضعيف. أخيراً ماتت فلاحة عجوز هناك في الأعالي. وكانت أحيانا تتحدث معي. وخلال ذلك كانت الحكايات القديمة للقرية تبرز من جديد. وقد حافظت في لغتها القوية والموجبة على الكثير من الكلمات القديمة وعلى أقوال مأثورة كثيرة فقدت في اللغة الجديدة، وليس بإمكان شباب اليوم ادراك معانيها. وفي السنة الماضية، وكنت قد قضيت أسابيع بأكملها وحيدا في البيت، صادفت تلك العجوز البالغة من العمر ٨٣ عاما المنحدر الوعر لمقابلي. وقالت انها تريد ان تتحقق من أي لازلت موجودا، ومن ان اللصوص لم يأتوا ليسرقوا بيتي في غفلة مني. وقد أمضت ليلة ممتها في نقاش مع المراه عائلتها. وقبل نصف ساعة من رحيلها إلى العالم الآخر، كلفتهم به -إبلاغ نحيباتها إلى الأستاذ. ان ذاكرة كهذه هي في رأي أكثر قيمة من أي «روبرتاج» حتى ولو كان جيّدا، في صحيفة مشهورة عالميا حول فلسفيّ المزعومة.

إن العالم المدني مهذّب بخاطر كبير، خطر ان يصبح فريسة للبدع القتالة. وثمة تعجل مزعج، وصاحب ونشط جداً يبدو



هايدغر وصحية زوجته في الغابة السوداء.



وأحد من البيوت الخاوية
بالتراوين في الشابة السوداء .

حياة مارتن هايدغر في سطور:

١٨٨٩: ولد مارتن هايدغر في ٢٦ أيلول / سبتمبر في «مسكيرش» (Meeskirch) وكان أبوه فريدريك رجل دين في كنيسة القديس مارتن. وكانت أمه يوهانا كاف (Johanna Kempf) تنسب إلى عائلة مزارعين.

١٩٠٣: دخل هايدغر (Humanistisches Gymnasium) المعهد الكلاسيكي في «كونستانس». وهناك تعلم اللغة اليونانية على يد سيباستيان هان (Sebastian Hahn) وقد قال عنه في ما بعد: «لم يكن هناك أحد يضاهيه في اللغة اليونانية».

١٩٠٦: أمي هايدغر دراسة الثانوية وحصل على شهادة البكالوريا. وابتداء من عام ١٩٠٧ شرع في قراءة دراسة فرانز برانتسو (Franz Brentano) حول «المفهوم المتمدد للكانن عند أرسطوطاليس». وكانت هذه القراءة بداية تساؤلات حول مفهوم الوجود لم تنقطع أبداً طوال حياة هايدغر.

١٩١١-١٩٠٩: درس هايدغر في البداية في كلية اللاهوت ثم في كلية العلوم. وقرأ كلا من بيسكال (Pascal) وهاينسل (Hegel) ونيشه (Nietzsche) وشيلينغ (Schelling) وهوسرل (Husserl) ودمستوفسكي (Dostojewski) وهولدرلين (Hölderlin) وريكسه (Rilke) وتراكل (Trek) وقد ظل هايدغر طوال حياته قاراً لها للكتاب المحدثين ولكتاب الكتاب الكلاسيكيين الآخرين.

١٩١٥: عين هايدغر استاذاً معاوناً في جامعة فرايبورغ.

١٩١٦: عين هوسرل استاذاً في نفس الجامعة. وذهن هايدغر إلى خدمة العلم، لكن دون أن تنقطع عن لقاء محاضراته في الجامعة.

١٩١٧: تزوج من الفريدة باتري (Elfriede Petri) وهي طالبة في نفس الجامعة التي يدرس فيها هايدغر.

١٩٢٢: بنى هايدغر بيته الريفي في «الغابة السوداء». وفيه أمي كتابه الشهير (Sein und Zeit) عام ١٩٢٦. وقد اهداه إلى هوسرل.

١٩٢٣: عين هايدغر استاذاً في جامعة ماربورغ التي ظل فيها حتى عام ١٩٢٨. وكانت ماربورغ في تلك الفترة أهم مركز للكانطية الجديدة في أوروبا.

١٩٢٧: صدور كتاب (Sein und Zeit) الذي «كشف عن العبقرية الثورية للفيلسوف الشاب مارتن هايدغر». ومنذ ذلك الحين اندلعت الكانطية الجديدة تماماً، وأصبحت الفينومولوجيا التيار الفلسفي الأقوى في عصرنا الراهن.

١٩٢٧-١٩٢٨: محاضرات حول «نقد العقل الخالص» للكانط: «إن الفلسفة لا تتطور من خلال التقدم والارتقاء، وإنما هي الجهد الذي يبذله من أجل بسط نفس العدد القليل من المسائل وتوضيحها. انبأ- أي الفلسفة- النضال المستقل، والحر والاساسي للوجود البشري ضد العتمة التي لا تكف البتة عن الانتشار في داخله. وكل توضيح لا يحدث شيئاً سوى فتح هوات جديدة».

١٩٢٨: تقاعد هوسرل واقترح هايدغر خلفاً له.

١٩٣٠: ألقى هايدغر محاضراته الشهيرة «جوهر الحقيقة» في كل من «بريم» و«ماربورغ» و«فرايبورغ». وقد كانت هذه المحاضرة تمهيداً لبعض الأفكار التي جاءت في «الوجود والزمن». وفي نفس هذه السنة أيضاً قرأ هايدغر كتاب «الاله الاضريق» لفالتر أ. أوتو (Walter F. Otto) الذي قدم تأويلات وتفسيرات مختلفة جلياً عن التأويلات والتفسيرات الميتولوجية التقليدية.

١٩٣٣: عين هايدغر رئيساً لجامعة فرايبورغ.

١٩٣٤: استقال هايدغر من منصب رئيس جامعة فرايبورغ.

١٩٣٤-١٩٣٥: محاضرة حول هولدرلين.

١٩٣٥: ألقى هايدغر محاضراته الشهيرة: «مدخل إلى اليتافيزيقا». وفي نفس العام أيضاً ألقى محاضراته «جوهر العمل الفني».

١٩٣٦: ألقى هايدغر محاضرات عن هولدرلين وعن شيلينغ ونيشه وقد تواصلت محاضراته حول نيته إلى عام ١٩٤٠.

١٩٤٤: جند هايدغر والحق بكتيبة عسكرية كانت تقوم بأعمال تحصين على غير «الراين». وفي نفس تلك الفترة قام أخوه فريتز باخشاء وثائقه الخاصة في مسقط رأسه «مسكيرش» خوفاً من قصف الطائرات.

١٩٤٥: زيارة فريدريك توفارنيكي (Frédéric Towarnicki) هايدغر حيث قدم له نصوصاً لسارتر (Sartre) ومارلو بواني

١٨٨٩: ولد مارتن هايدغر في ٢٦ أيلول / سبتمبر في «مسكيرش» (Meeskirch) وكان أبوه فريدريك رجل دين في كنيسة القديس مارتن. وكانت أمه يوهانا كاف (Johanna Kempf) تنسب إلى عائلة مزارعين.

١٩٠٣: دخل هايدغر (Humanistisches Gymnasium) المعهد الكلاسيكي في «كونستانس». وهناك تعلم اللغة اليونانية على يد سيباستيان هان (Sebastian Hahn) وقد قال عنه في ما بعد: «لم يكن هناك أحد يضاهيه في اللغة اليونانية».

١٩٠٦: أمي هايدغر دراسة الثانوية وحصل على شهادة البكالوريا. وابتداء من عام ١٩٠٧ شرع في قراءة دراسة فرانز برانتسو (Franz Brentano) حول «المفهوم المتمدد للكانن عند أرسطوطاليس». وكانت هذه القراءة بداية تساؤلات حول مفهوم الوجود لم تنقطع أبداً طوال حياة هايدغر.

١٩١١-١٩٠٩: درس هايدغر في البداية في كلية اللاهوت ثم في كلية العلوم. وقرأ كلا من بيسكال (Pascal) وهاينسل (Hegel) ونيشه (Nietzsche) وشيلينغ (Schelling) وهوسرل (Husserl) ودمستوفسكي (Dostojewski) وهولدرلين (Hölderlin) وريكسه (Rilke) وتراكل (Trek) وقد ظل هايدغر طوال حياته قاراً لها للكتاب المحدثين ولكتاب الكتاب الكلاسيكيين الآخرين.

١٩١٥: عين هايدغر استاذاً معاوناً في جامعة فرايبورغ.

١٩١٦: عين هوسرل استاذاً في نفس الجامعة. وذهن هايدغر إلى خدمة العلم، لكن دون أن تنقطع عن لقاء محاضراته في الجامعة.

١٩١٧: تزوج من الفريدة باتري (Elfriede Petri) وهي طالبة في نفس الجامعة التي يدرس فيها هايدغر.

١٩٢٢: بنى هايدغر بيته الريفي في «الغابة السوداء». وفيه أمي كتابه الشهير (Sein und Zeit) عام ١٩٢٦. وقد اهداه إلى هوسرل.

١٩٢٣: عين هايدغر استاذاً في جامعة ماربورغ التي ظل فيها حتى عام ١٩٢٨. وكانت ماربورغ في تلك الفترة أهم مركز للكانطية الجديدة في أوروبا.

كبيراً لكي تتمكن من اكتشافه. وحتى إذا ما عثرنا عليه، فأننا لا نستطيع أن نسلكه من غير اسعاف ومعونة». وخلال زيارته إلى فرنسا زار متحف «الوفر» وقصر «فرساي» صحبة زوجته. كما التقى الشاعر رنه شار (René Char) والرسام جورج براك (Braque).

١٩٥٨: زار هایدغر مرة أخرى فرنسا والتقى في جامعة «أكس اون بروفانس» محاضرة بعنوان: «هينغل والأغريق».

١٩٥٩: بمناسبة عيد ميلاده السبعين، لقب هایدغر مواطناً شرفياً لمسقط رأسه «مسكيرش».

١٩٧٦: توفي هایدغر يوم ٢٦ مايو/ أيار في فرايبورغ. وقد كتب رنيه شار قصيدة صغيرة يقول فيها: «مات هایدغر هذا الصباح. الشمس التي أنامته تركت له ادواته ولم تحتفظ إلا بالعمل. هذه العتبة دائمة. والليل الذي انفتح بخيران يجب». وقد دفن هایدغر في مسقط رأسه «مسكيرش» وكتب على قبره: «السير باتجاه النجمة. ولا شيء غير ذلك».

(Merleau Ponty) وجان بوفري (Jean Beaufret). وعند عودته إلى فرنسا، بلغ إلى سائر رسالة من هایدغر يدعوه فيها إلى «دوتناويرغ». غير أن سائر لم يتمكن من زيارة هایدغر إلا عام ١٩٥٢.

١٩٤٦: محاضرة هایدغر «لماذا الشعراء؟».

١٩٤٧: صدور كتاب «رسالة حول الإنسانية» الموجهة إلى جان بوفري.

١٩٥١: التقى هایدغر محاضرات حول الموضوع التالي: ماعنى أن نفكر؟ وقد قال فيها:

- ١) الفكر لا يأتي بالمعرفة مثل العلوم.
 - ٢) الفكر لا يأتي بالحكمة العملية.
 - ٣) الفكر لا يمنحنا القدرة على الفعل مباشرة.
- ١٩٥٣: التقى هایدغر في مدينة ميونيخ محاضرات حول التقنية.
- ١٩٥٥: قام هایدغر بأول زيارة إلى فرنسا والتقى محاضرة: «ما الفلسفة؟» وأن الطريق الذي أريد أن أشير إليه الآن يوجد مباشرة أمامنا. ولأنه قريب منا، فأننا نبذل جهداً



هايدغر وزوجته في بيته الريفي في دوتناويرغ

هايدغر والشعر: الشاعر لا يأتي بالخلاص

ميشيل هار

كأداة للتخاطب. كل شعر يقول جوهره وفي نفس الوقت الجوهر الكشّاف للغة، الذي هو «القصيدية الأصلية»، الحشد الصامت للكائن. والقصيدية تظهر قدرتها وقوّتها على اظهار الاشياء والكشف عن العالم وفي الآن نفسه هي تفعل ذلك. وهذا ما يمنحها سيطرة الأرض وقدرته التأسيس. الشعر، يقول هايدغر هو «اللغة الأصلية» (Ursprache) للشعب. وهي اللغة التي تروي ما تكون اللغة في «تراكمها وتكاثرها الأولي» قد أوصلتها في صمت إلى المفتح. «إن الشعر هو التسمية التأسيسية للكائن ولجوهر كل الأشياء - وهوليس قولاً تعسفياً، وإنما ذلك الذي بواسطته يتم الكشف عن كل ما نعالجه ونناقشه فيها بعد. إن الشعر هو الذي يبدأ بجعل اللغة ممكنة».

من هنا هذا الاشتقاق الذي يضع الشعر في منتصف الطريق بين الانفتاح الأصلي واللغة الرومسية: *Urdichtung* قصيدة اللغة، قصيدة لم تكتب، وأما هي صدىً للصمت *Ursprache* (القصيدية المكتوبة)، *Alltagssprache* (اللغة العادية).

ولا بد أن نلاحظ هنا أن لغة الاعلام وعلم التوجيه هي نفسها مشتقة من اللغة العادية، وهي تنطوي على خسارة مضاعفة بالنسبة للشعر وللغة اليومية.

الشعر يلمس أرض اللغة، ويظهر اللغة كما لو أنها أرض، أي قاعدة [...] والقصيدية تجعل ما تركه اللغة مفتوحاً، مسموحاً ومرتباً. ويجهد هايدغر نفسه لكي ينزع المظاهر «المحسوسة» للغة، أي المسموع والمرئي من ميتافيزيقا المحسوس ومن الفيزيولوجيا. وحين تصير الكلمة الشعرية اللغة وايضا قدرتها على الانفتاح، محسوستين ومسموعتين، فإنها تكشف لا فقط عن الاصوات وعن الملاحظات والاشارات وإنما عن البعد الاساسي لأقامة الانسان: الكلمة كمعنى محسوس تقتصر اتساع فضاء القلب بين الأرض والسما. اللغة تجعل مفتوحاً ذلك الميدان حيث يسكن الانسان الذي على الأرض وتحت السماء، بيت العالم.

إن الصدى «المادي» للصور الشعرية يظهر نوعية الصلة التي تربط بين الأرض والعالم. وهذه الصلة التي هي أيضاً مكان للاقامة، تقسم وتنسى في اللغة العادية التي نجد نفسها مشغولة فقط بالأهداف العملية والتبليغ.

وحينما تعود إلى نفسها، أي إلى خصائصها المطموسعة والمخفية عادة، فإن اللغة تعود إلى سلطانها الاصلية، سلطة التسمية والبرهنة. إن نسمي الأشياء يعني أننا ندعها توجد. الكلمة لها القدرة على «توليد الأشياء». وهذه القدرة نسيت تماماً

الجبال، والصبر، وقوة القراءات المتألمة والغزيرة هولدرلين وريكله وتراكل، كل هذا يجعلنا ننسى أحياناً أن هناك عند هايدغر (Heidegger) باديء ذي بده فكرة جديدة جذرياً للشعر كما هو. إن «جوهر الشعر» لا يمكن أن يفهم بانفراد، أو كإسناد أولوية انطولوجية لنوع أدبي معين، ولكن فقط انطلاقاً من تشابكه وتلازمه مع ثلاثة ميادين تتلاحم بعضها ببعض، ألا وهي: العمل الفني، واللغة، والمقدس (Das Heilige). والقصيدية هي عمل فني ومادة، أو بالأحرى عنصره (ذلك أنه علينا أن نعيد النظر في مفهوم كلمة مادة) هو اللغة التي تعظم المقدس. وفي الحال تبرز أسئلة. كيف ينفي هايدغر، مثلاً فعل، عن القصيدية الاحالة أو الرجوع إلى ذاتية الشاعر، وإلى تجهرته المعاشة، وإلى تاريخه الشخصي؟ كيف تستطيع اللغة أن تتحدث، وأن تتحدث عن نفسها أولاً وقبله الشاعر؟

كيف نثبت أن الشعر يقول بالاساس شيئاً مقدساً شيئاً مقدساً يمكن أن يكون مستقلاً عن الدين، وأكثر قدماً من أي دين، أي أنه يفهم لا كفضاء سليم ولكن بالأحرى كمقوّة إيجابية شافية ومفتدة؟ وما هو هذا «الخلاص» من خلال الشعر؟ اليس هو بالإضافة إلى كل هذا هروباً ورمطيقياً خارج اضطرابات هذا العالم؟ ما يميز العمل الفني عن الأداة، أو يميز القصيد عن الاعلان هو أن العمل الفني لا يتجاوز من أجل وظيفة ما، أو من أجل عملية مصلحية، مادة الماهية التي صنع منها. العمل الفني خلق واغتراف من المناسبات الأصلية لأنه يبرز ذلك الذي في الاستعمال الادواتي للأشياء بظل غفياً أو غائراً: الحياة، التركيب، التذبذب أي كل ما يصطلح عليه في الميتافيزيقا بالمحسوس. إن العمل الفني يستري انتباهنا من خلال التعبير، إلى هذا العمق المحسوس الذي يكون قد نسي في الأداة بسبب المصلحة التي تستعمل من أجلها.

ويحاول هايدغر أن يفكر حول هذا العمق المحسوس من خلال مفهوم «الأرض» وما يؤولي إليه العمل الفني والذي يبرزه من خلال انسحابه سميئانه الأرض، وهو يجعل الاحجار والاشخاب والمعادن، والألوان والاصوات متألقة وملاها حركة. والعمل الشعري بصفة خاصة يوضّح صدى اللغة، وأيضاً وقوة التسمية لدى الكلمة.

وهو حين يبرز هذه القوة الأصلية للتسمية، وهي قوّة تتسبب أساساً لا إلى الشاعر وإنما إلى اللغة كما هي، فإن الشعر يظهر ما يظل غفياً في اللغة العادية، أي ما يقتصر الناس على استعماله



من طرف اللغة الادواتية. ان يظهر الشعر الاشياء كما لو انها اعيدت الي فجرتها والى ولافتها، وكما لو اننا «نراها لأول مرة» فان ذلك لا يتأتى من أنه «يرتك المبادرة للكليات» (مالارمي)، وإنما لانه بالآخرى يوجد من جديد قدرتها وقوتها على الكشف. وهذه القدرة ليست من خيال الشاعر. انها تنتسب الى الكشف الذي استكملته اللغة قبل ذلك في صمت. والشاعر ككل كائن يكتفي بان يقول بعد ذلك ما تقوله اللغة بصوت خافت. على هذا الأساس يمكن تفسير الاهتمام القليل الذي يوليه هايدغر لذاتية الشاعر: هذا الذي يعظم حقيقة أرض وحقيقة عالم بدلاً من تحريره المعاشة.

ومع ذلك يمكن أن نقول ان الشعر لا يكتن فقط في موسيقى اللغة وفي قدرتها الاصلية على الكشف، وانما في الصور أيضاً. وحصول هذه النقطة، كما حول نقاط عديدة اخرى، يمر التفسير المايدفري بهدم النظريات الميتافيزيقية التقليدية.

إن الصورة الشعرية ليست نسخة متحطة للواقع، ولا علاقة مجازية أو تمثيلية بين المحسوس والمفقول، ولا تخصيصاً تجريبياً لرسم خيالي انتجته ذاتية استعملانية، ولا تقارباً متجاوزاً للواقع لأبعاد بعدها في واقع الامر العقل والرشاد. ان هايدغر أكثر واقعية من اغلاطون وكانسط، وحتى من ارسطو، وهو متناقض مع فكرة نيتشه، والتي أكملها مالارمي، ثم اعتمدها السوراليون فيما بعد والتي تقول ان الشعر هو خيال خالص. «ان جوهر الصورة» يقول هايدغر، هو «ان يجعلنا نرى شيئاً ما». ان الصورة الشعرية تربنا بالعالم اليومي، ولكنها تزيه لنا غريباً. انما «تربنا اللامرئي» اي الغريبة، ولغز المحصور في قلب المرئي الاشد بساطة والاكثر

وضوحاً. أو أنها بالأحرى تخفي في صورة المؤلف ما يتخلص من العالم الاعتيادي. إنها التضمينات اللامرئية للغريب في مظهر المؤلف. ولكن ماهو الغريب؟ ليس فقط الشيء المحير والشاغل للفكر، ولكنه الشيء الآخر تماماً، إنه انسحاب الكائن والمقدس. إنه الله. الصورة لا تفسّر وإنما تعرض فجأة الغرابة. الله، يقول هولدرلين، «جليّ كما السّاء». السّاء هي صورة الله. وليست شبيهة به.

ولكن إن يسمّى الله هنا من طرف الشاعر، فإن ذلك لا يعني بالنسبة لهايدغر أن المقدس يتحوّل إلى اسم وحيد، أو أنه يتقلص إلى صيغة عادية. اللامرئي أو المخفي، والذي يظهره الشاعر من خلال مظاهر المرئي وهو يتخفى، يظل «مجهولاً». إن موضوعه الشعر ليس دقيقة عن الوصف، ولكنها تحمل أسماء متعددة، متناقضة أحياناً غير أنها مع ذلك تتطابق: العريق في القدم والمستقبل القريب والذي يصعب الاقتراب منه، العادي وغير العادي، والامتلاء والخسواء، المشفي والمخيف. والمقدس هو الخفيف ذاته. ليس هناك شعركما أنه ليس هناك فكر إلا من خلال اغتراب جذري، ومن خلال «عُسْر» لا يكون إلا شدة أو ضرورة. الشاعر يسأل المقدس، وهو يطأ به أكثر مما هو يستقر فيه أو يلجأ إليه. الشاعر لا يأتي بالخلوص غير أنه يحتفظ بمُسّر كامل هو عُسْر عصره وليس عُسْر حياته الخاصة. وانفعاله ناجع وليس هروباً ذلك أن حزنه ومنفاه، وتقرّده وعذابه أو فرجه بالمعنى العميق للكلمة كل هذه الأساس تنزل إلى اعناق عصره وتتغذى من يتابعه. وهي التدفق الجديد للتاريخ.



ساحة
السوق في
شيلانغ

هايدغر والعودة الى الاغريق

في باسيت

يمكن ان تُجَبِّبَ الميتافيزيقا بسبب المحاولة التي قام بها السفسطائيون بخصوص المنطق والاخلاق؟ ان علم الاخلاق يظهر لأول مرة الى جانب المنطق والفيزياء في مدرسة افلاطون. وقد ولدت هذه الاختصاصات في الفترة التي تحوّل فيها الفكر الى فلسفة.

الحسار اذن لا بدّ ان يقام مع هيرقليطس وانكسيمندريس وافلاطون (ومن خلاله سقراط) وارسطوطاليس. ولكن لم الحضور الدائم للاغريق في فكر هايدغر؟ ولماذا هذا الجمع: الاغريق، الذي يبدو كأنه يجلبنا الى عصر أكثر ما هرجيلنا الى تقليد؟ هل يكون نوعا من الخنثى لعماد ريا يكون من الجدير ان يرد اليه الاعتبار، وان يُتَبَكَّر ويُتَمَّع من جديد؟ أو أن هايدغر ليس سوى مجرد مؤرخ للفلسفة يحسب أساسا أن يعيد لنا بصديقه وبكفائه رهيثن، جليلة وكفاءة المحترفين الحقيقيين، الفكر والحقيقي والمؤلف من خلال نظرية عصره؟ وعندما نقول الاغريق، يكتب هايدغر، «نفكر في بداية الفلسفة». الاغريق بهذا المعنى، لها صدى آخر غير صدى «اللاتينيين»، و«الالمان» أو «اليابانيين».

الاغريق بهذا المعنى، ليست الامتياز الذي يمنح لهذا الفيلسوف على حساب فيلسوف آخر. امتياز يمنح مثلا الى بارميندس على حساب هيرقليطس، أو الى ارسطوطاليس على حساب افلاطون. الاغريق لفظ يعني ايضا ان المجابهة ضرورية مع هيرقليطس كما مع بارميندس، كما لو ان هايدغر يحرم على ان يشير أنه من المستحيل ان نكتب وان نتحدث عن هذا دون أن نكتب وان نتحدث عن الآخر. ووضوح ان يدور كل من هيرقليطس وبارميندس وكلاهما ريفقان بتجاهبان في نزاع تكون نتيجته متصير ومهزوم، أو كما لو انها مؤسسان لتقاليد فلسفية متناقضة، يقدمان في فكر هايدغر كفيلسوفين مهذا لظهور وافتتاح الوجود الفلسفي. وهكذا تصبح مجابهة هايدغر للاغريق البحث عن اسس الفلسفة. ولاشيء آخر غير ذلك.

وعندما سأل كل من إيريك رويرسي ودومينيك لوبوهان جون بوفري، للتخصص في فلسفة هايدغر ولماذا هذه العودة الدائمة الى الاغريق في فكر هايدغر؟، اجاب: «لأن الاغريق كانوا دون علم منهم، «المهندسين» الأوائل للوجود» (٢). ومن هنا، يبدو واضحا ان مسار هايدغر لم يكن مسار مؤرخ الفلسفة المهتم باعادة ترميم النظام الفلسفي القديم، وانما هو مسار فكر منصّب أساسا على دراسة الميتافيزيقا. وليس مهمّا في مثل هذه الحالة ألا يتبقى اليوم من معبد (Ephesus)، الذي يعيشه

اذنا نحن امتينينا الكتاب حول هيرقليطس (Heraklit) الذي له شكل خاص، شكل الحوار مع اويغن فينك (Eugen Fink)، فانا نستطيع ان نجزم انه ليس هناك مؤلف واحد من المؤلفات التي صدرت خلال حياة هايدغر خصص بصفة كاملة واساسية لدراسة واحد من الفلاسفة الاغريق. حتى دون سكرتوس (Duns Scotus)، وكناط، (Kant) وشيلينغ (Schelling) وهيرغل (Hegel)، ونيتشة (Nietzsche) كان لهم نفس الحظ. غير ان هذه السلبالية أو الوقاحة الظاهرية لاتقصي الية العودة في كل الاوقات الى الفكر الاغريقي. الا يفتح هايدغر كتابه (Sein und Zeit) بعد الاهداء الى هوسرل (Husserl) بجملة لافلاطون، وكأنه يريد ان يبين لنا ان مشاكل الوجود والزمن كانت قد طرحت بصفة شاملة من طرف الفكر الاغريقي؟ ومع ذلك، فانا اذا ما اقتصرنا على المؤلفات التي صدرت، فانا علينا ان نذكر بان «دراسات وهضرات»، و«المسائل» تتضمن تعقيبات على الفلاسفة الاغريق. وهذا يؤكد على ان المجابهة مع الفكر الاغريقي كانت احدي الخصائص الاساسية في فكر هايدغر.

هيرقليطس، بارميندس، (Parmenides)، انكسيمندريس (Anaximander) افلاطون (Platon)، ارسطوطاليس (Aristoteles)، المروحة تفتح على «الكبار». ولكن ما هي الاسماء الغائبة؟ زينون (Zeno)، والسفسطائيون، والرواقيون، والايقوريون، وافلاطون. هل علينا مع ذلك ان نوكد ان هؤلاء جميعا كانوا غريبا عما كان هايدغر يجهده نفسه لتوضيحه خلال مسار نصب المعالم والمشارت أكثر ما يودي مباشرة الى نقطة عمدة مرسومة من قبل؟ ولتقدم بعض المعطيات الخاصة بهذا الامر. أكيد ان زينون يطرح مسألة الزمن والفناء، لكن بمفاهيم خطية، مفاهيم الانقطاع، التي لا تسمح الية بتقدم الأشياء، أو بالكشف عنها وتوضيحها. ولهذا، فان الفكر يتهاوى مع زينون الى ما قامت السمو السمو رفقه اليه كل من هيرقليطس وبارميندس (١). وقد تشبّث السفسطائيون بمسألة اللغة، وهو موضوع على علاقة حيمة بمسألة الوجود. غير انهم عاجلوا المسألة بمعارات وبمفاهيم أكثر تركيزا على وظيفة اللغة، وعلى انحرافاتها وضلالها. وفي كوكبة مؤلفاتهم التي وصلتنا، علينا ان نختار الاسماء «الجديدة». وليس من قبيل الصدفة ان يختار هايدغر في استشهاده، واكثر من مرة، الحواريين الافلاطونيين اللذين يدوران حول العديد من التقاليد السفسطائية. ولا يتبقى الآن سوى أولئك الذين نسهمهم ما بعد الافلاطونيين. ولكن ايم تاتوا «متأخرين» جدا بالنسبة لهايدغر؟ الا

«ذلك ان هيجل فكر في الفلسفة الاغريقية كما لو أنها وحدة متكاملة». لم يحاول كل من هايدغر ونيتشه، تماماً مثلما حاول هيجل تجاوز الفلسفة بشكل معين؟ وبمثل هذا السؤال يتكرر دائماً في هذه الحلقة الفلسفية. ويُب في كل مرة بحلّة الصدمة وعنفها. ولهذا فان العودة الى الاغريق لا يكون لها معنى إلا كتجاوز للفلسفة الاغريقية، حيث ان التجاوز هنا لا يعني: ان نتبين فلسفة أسمى من فلسفة الاغريق، وإنما ان نحاول أن نتسرب وان نصل الى جوهر فكرهم».

هيرقليطس سوى قواعد البناء واركانه. واعتياداً على هذا، يمكن ان نقول ان أويغين فينك على حق عندما أعلن في مقدمة الحلقة الدراسية المخصصة لهيرقليطس. ومن خلال حوار مارتين هايدغر مع الاغريق في العديد من مؤلفاته، نحن باستطاعتنا أن نتعلم كيف أن الأشدّ بعداً يصبح قريباً، والأكثر ألفة يصبح غريباً، وكيف انه من الصعب بالنسبة لنا ان نصل الى نهاية تأويل أو تفسير اكده الاغريق، وأن نستريح إليه. الاغريق بالنسبة لنا تحدّ هائل وغيف».

فلاسفة آخرون، حاولوا، كلّ واحد في عصره، أن يجابهوا هذا التحديّ. نيتشه وهيجل مثلاً، وهما يتسبان الى عالم هايدغر. غير ان هذين الفيلسوفين يجعلاننا الى نهاية الفلسفة وليس الى بدايتها مثلما فعل هايدغر. «هيجل والاغريق»، «نيتشه والاغريق»، الا يكون هذا شبيهاً ومع ذلك «هو مختلف» عن قولنا «كانط والاغريق»، أو «لايبنتس والاغريق» لماذا؟

(١) جون بويري: «حوار مع هايدغر»

(٢) ليريك وولمرسي وديستيك لويومان: إثنا عشر سؤالاً موجهة الى جون بويري حول هايدغر.



فنك والبريد
في وناعولده.

هايدغر والنازية

عظمة. وبقاء لشرفه نريد ان نأمل وان نتمنّ قليلاً في هذا الموت، ومن خلال هذا الموت نرغب في ان نفهم حياتنا. كان موت شلاغتر الموت الأكثر صعوبة ليس في الخطوط الأساسية للجبهة على رأس سرية مدفعية، وليس في وثبات الهجوم، أو في استيصال وضراوة الدفاع، ولكن لانه مات واقفاً ودوناً سلاح أمام البنادق الفرنسية.

غير انه رغم ذلك واجه وتحمل الاختبار الأشد صعوبة. ومع ذلك، فإن هذا كان يمكن ان يحتل في ضجة الفرح لو ان انتصاراً تحقق، ولو ان عظمة الأمة التي بدلت تنبض اشرفت. ولكن عوض هذا، ها نحن أمام الظلمات والحياة والمهانة. لهذا السبب، كان عليه ان يستكمل الفعل الأكثر عظمة والأشد صعوبة. وكان عليه ان يستخرج وحده صورة الانتفاضة المستقبلية للشعب، من أجل شرفه وعظمته، وان يمتلكها لكي يموت وهو مؤمن أشد الأيوان بذلك.

من أين جاءت سلاية هذه الإرادة لكي يتحمل الأصعب؟ من أين له هذا الصفاء للقلب لكي يتحمل الأشد عظمة والأكثر بعداً؟ يا طالب «فرايبورغ»! أيها الطالب الألماني! عليك ان تحتذي به واعلم أنك حين، خلال تجوالك ومسراتك الطويلة، تلمس بقدميك أراضي الجبال والغابات والأودية في «الغابة السوداء»، فانك تلمس الأرض التي أنجبت هذا البطل [...].

دوناً سلاح، أطلق البطل نظراته متحدياً البنادق الموجهة اليه وعانق النهر وجبال موطنه حتى يموت وعيانه مثبتاً على الأرض الألمانية وعلى الشعب الألماني والرايخ.

٣) ملخص محاضرة ألقاها هايدغر في «هايدلبرغ»

يوم ٣٠ حزيران ١٩٣٣

لنا الآن الرابع الجديد. ولنا الجامعة، هذه الجامعة التي يجب أن تنقيل مهامها واعمالها من ارادة وجود الرايخ. انها الثورة في ألمانيا، وعلينا ان نساءل: هل هي الثورة أيضاً في الجامعة؟ لا، الصراخ لم يتجاوز الى حد الآن بعض المناوشات التمهيدية، ولم يحدث حتى هذا الوقت سوى تقدم: من خلال تهمة حياة جديدة في معسكرات العمل وفي التجمعات التعليمية، أزعجنا عن المدرسة العليا، بعض المهام التربوية التي كانت تقوم بها وحدها قبل هذا الوقت. ومحتفل ان نموت الجامعة بسبب النسيان وان تفقد ماتيقن

مقدمة: هل انتسب مارتن هايدغر الى حركة «القوميين الاشتراكيين» وساند سياساتها وتوجهاتها الفكرية؟ هذا هو السؤال الذي يشغل الآن العديد من المفكرين والفلاسفة في مختلف البلدان الأوروبية، وخاصة في فرنسا وألمانيا. وقد طرح هذا السؤال ودارجدل طويل وحاذ حوله منذ ظهور كتاب «هايدغر والنازية» للشيل «فيكتور فارباس» الصادر في خريف عام ١٩٨٧. ما هو الجديد في هذا الكتاب؟ وهل قدم الحجج والبراهين المقتنة بخصوص هذه القضية؟ وما هو تأثير مثل هذه «التهمة» على فلسفة هايدغر التي تعتبر من أعمق وأدق الفلسفات في عصرنا هذا؟ عدد من المفكرين والفلاسفة يحاولون من خلال هذا الملف الذي أعدته «فكر ون» حول هذه القضية الاجابة على مثل هذه الاسئلة وقبل ذلك تقدم لقرائنا الاجزاء النصوص التي كتبها أو تلاها هايدغر عندما كان عميداً لجامعة «فرايبورغ» أي في فترة استلام القوميين الاشتراكيين للسلطة، والتي اعتمدها البعض لـ «اتهام» هايدغر بالانتماء الى النازية.

١) فقرة من خطاب ألقاه هايدغر أمام الطلبة في جامعة «فرايبورغ» في ١٨ مايو / أيار ١٩٣٣:

عقب ماورد في خطاب المستشار، أؤكد ان للشعب الحرية في أن يختار الآن الطريق الذي يلائمها. اما بالنسبة لنا نحن، فقد قررنا بحزم ان نسير في الطريق الصعب الذي اجبرنا على السريفة وذلك ولاء منا لسؤوليتنا أمام التاريخ. ونحن نعرف الآن ان مسلمات هذا القرار هي:

التهذيب الى حدود الممكن والرفاقية الى آخر درجة. فلنشجع الآن في العمل ولكن عمل هذا الفصل، صغيراً كان أم كبيراً، موجهاً الى هذا التهذيب الى هذه الرفاقية.

٢) في ذكرى اليرليو شلاغتر (١) (Albert Leo Schlageter)

وسط عملنا، وخلال فترات الاستراحة القصيرة، علينا ان نتذكر طالب «فرايبورغ»، «اليرليو شلاغتر» الذي مات بطلاً ألمانيا شاباً منذ عشر سنوات. وكان موته الأكثر صعوبة والأشد



مارتن هاليدغر أثناء القاء محاضرة
٥ أغسطس / آب ١٩٥٧ في «دار مشنات».

(٤) نداء من أجل استفتاء ١٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٣٣

أيها الاساتذة

وأيها الرفاق الألمان!

أيها المواطنون، أيها المواطنين!

الشعب الألماني نودي الى صناديق الاقتراع من طرف الفوهرر. ولكن ليس هذا نداء يوجهه «الفوهرر» الى الشعب. وانما هو يمتحن الشعب الامكانيات الأكثر فورية للقرار الحزب والأكثر سمواً: الشعب بأكمله سيقرأ اذا ما هو يرغب حقاً في وجوده الخاص أو انه لا يرغب في ذلك. وغدا لن يختار الشعب غير مستقل.

إن هذا الانتخاب يظل على الإطلاق دون أي مقارنة مع الانتخابات التي جرت الى حدّ هذا الوقت. والجانب الوحيد لهذا الانتخاب يستند أساساً الى العظمة البسيطة لهذا القرار الذي سوف يتمّ اتخاذه. ولكن صلابة البسيط والذهالي لا ترحم التردد والحفظ. ان هذا القرار النهائي يصل الى الحد الأقصى لوجود شعبنا. وماهو هذا الحد؟ انه يمثل في الضرورة الحتمية لكل كائن في المحافظة على جوهره الأصلي وفي حمايته. وهناك حاجز مقام غير ما من حقنا ان نطلبه من الشعب، وماليس من حقنا ان نطلبه منه. ويمقتضى هذا القانون الجوهري، يحافظ الشعب الألماني على الكرامة وعلى البتّ في حياته. ان ارادة المحافظة على النفس ليست فقط القانون الجوهري لوجود شعبنا، ولكنها أيضا وفي نفس الوقت الحد الأدنى الاساسي الذي تتح عن قدوم دولته القومية الاشتراكية [...].

ليس الطموح، ولا وهج المجد، ولا العناد الاعمى، وليس التعطش الى السلطة، ليس كل هذا هو الذي حفز الفوهرر على الانسحاب من «عصبة الأمم» ولكن الارادة السوادية وحدها، الارادة التي تريد تحمّل مسؤوليتها كاملة ودونها شروط في تقرير مصير شعبنا. وهذا لا يعني اطلاقاً اننا نريد ان نزل انفسنا عن مجموعة الشعوب الأخرى ولكننا بالعكس، نريد من خلال استكمال هذه الخطوة ان يتخذ شعبنا مكانه تحت هذا القانون الجوهري للكانن والذي يتميز به الانسان، والذي تحمّل على كل شعب من الشعوب ان يتبته اليه اذا ما اراد أن يظل شعباً. «يعيش هنرا».

لها من قوة تعليمية وتربوية. ولكن لا بد ان تتلمج من جديد بمجموع الشعب وأن ترتبط بالدولة. على الجامعة ان تصبح من جديد قوة تربوية ترفع من خلال العلم الطبقة الحاكمة في الدولة الى مستوى العلم. وهذا الهدف يحتم ثلاثة أشياء: (١) معرفة الجامعة الحالية (٢) معرفة الاختطار التي تهددنا اليوم وغدا (٣) الشجاعة الجديدة.

نحن الى حدّ الآن نقوم بابحاث، وتعلم في الجامعة. ونحن نتبع هذه الطريقة منذ عشرات السنين. التعليم لا بد ان ينشأ من البحث وكنا نحاول ان نوجد توازناً بينهما. ومن خلال هذا المفهوم للجامعة، لم يكن هناك سوى رأي واحد وهوراي المعلم، وأبداء لم يقع الاهتمام بالجامعة كوحدة. لم يعرف البحث حدوداً. وكان يغني شكوكة وراء فكرة التطور العالمية للمعلم. وبلا هدف عند ذلك الوقت، احتمن التعليم وراء الاجراءات المتخذة بخصوص الامتحانات.

وفضد هذا التيسر تشكلت في الفكر القومي الاشتراكي مقسومات صراع عنيف، صراع لا يجب اطلاقاً إيقافه بافكار انسانية، اومسيحية. تلك الافكار التي تمنع ضرورته المطلقة من ان تبسط انبساطاً كلياً. ولا يمكن أيضاً، اذا ما نحن اردنا ان نأخذ الجديد بعين الاعتبار، ان نضيف الى كل شيء «طلاء» سياسياً. التخطيطات والأوامر والشعارات التي لا تلمز بشيء والتي تبرز الآن في كل مكان هي خطر جسيم لا يؤدي إلا الى أروام حول النفس، غما مثل «المفهوم الجديد للمعلم» الذي يقول بأنه لاشيء جديد غير القديم الذي تمّ تعديده بمرجع النزولولوجية.

إن كل هذه الثورثة حول «السياسة» هي أيضا سبغ وهلر ذلك اننا لانستطيع ان نغير الرتبة القديمة بمثل هذه الأشياء. تجربة الأشياء الملحة والاساسية، ومواجهة الحالات الواقعية هما ضروريان للجندبة الحقيقية لهذا الشيء الجديد. وحده الفعل الذي ينبع من التزام داخلي بالنسبة للمستقبل مرراً ولقد كنا سمعنا البعض يقولون: «والعلم في خطر بسبب ضياع الوقت الناتج عن نمازين الدفاع الخ... ولكن ماذا يعني «ضياع الوقت» اذا ما كان الأمر يتعلق فقط بضرورة الدفاع عن الدولة ومن اجلها؟ من العمل من أجل الدولة لا يمكن ان يأتي أي خطر. الخطر سيأتي فقط من اللامبالاة بالصمود والمواجهة. هذا لا بد ان تتوفر للفرقة الاصلية والحقيقية وحدها امكانية الانطلاق في الطريق المستقيم. ولا يجب ان يكون هناك مكان للحدول الوسطية.

إن الشجاعة الجديدة تبرز بوضوح كل هذه الاخطار. وهي وحدها المقاومة على ان تتفتح البصر على كل ما هو كائن وما سيكون. وهي تجبر كل معلم وكل طالب على ان يجسم في المسائل الاساسية للمعلم. وشغل هذا القرار قديم جداً. ذلك انه وحده يكشف لنا نحن الألمان ان نحن نرغب في ان نظل «شعب علم» في المعنى الأكثر سمواً للكلمة. ان التعليم الجديد لا يعني فقط اسهام المعارف وحده، ولكن ان تدع الناس يتعلمون، وأن نتحهم لكي يتعلموا.

(١) البرلينر شلاختار انجده المزيون طلالاً مثلاً لانه كان من بين الذين رفضوا الهزيمة عام ١٩١٨ والمهابة الناتجة عن قرارات مؤتمر وفارساي. وقد ولد عام ١٨٩٤. وبعي الى تلبية الجمعية العسكرية وهو لا يزال طالباً. وكان يريد من خلال رفضه للهزيمة المحافظة على استقلال بلاده. وهكذا وبعد ان حارب مع شتات القوات الألمانية في البلدان البلطية، والشرق ضد خصميه، ورفض احتلال القوات الفرنسية والبربر (Ruhr) وقد اصمته قوات الاحتلال في ٢٦ مايور ايار ١٩٢٣. وقيل ان يستحوذ ذكره النازيون، وسعدوا به شهيداً لولاءه للآلة بأسرها، كان ابرلينر شلاختار عازم وطني ورفض للاحتلال والهزيمة، حتى ان التيارات اليسارية واليسارية المتطرفة كانت متعاطفة معه.

كيف تفكر مع هايدغر ضد هايدغر؟

يورغن هابرماس

ليست سوى حطام ضائع وسط التيارات الكبيرة لهذا العصر، وأنا دونيا جلوس، وغريبة عن المجتمع الألماني، ومنضاعة اليه من الخارج. ومن الاكيدة هنا اسم هذا الوضع، لم نتج عن التقليد الألماني أية ردة فعل ضرورية وحاسمة.

ومع ذلك لا يجب أن نستنتج انها خاطئة ومذانة تلك المحاولات التي تسري في نفس اتجاه رواية توماس مان «الدكتور فاوست» والتي حاولت أن تبحث عن جذور النازية في التقاليد الثقافية الألمانية، وأن تكشف عن تلك النزوحات والجول التي تؤذي في مراحل الانبعاث والسطوع، إلى الغاشية. ومقالة الانتلجيسيا المأزجة توضع كمسألة ما قبل تاريخ النازية. منذ عام ١٩٤٥، والوضع في ألمانيا يتميز بعنصر أساسي وهو تجنب طرح مثل هذا الموضوع. وسورل هاتين النقطة: (١) شرعية طرح هذا الموضوع (٢) مسألة حالة التملص والحروب منه، نملك شهادة أدبية بالغة الأهمية: كتاب هايدغر «مداخل إلى الميتافيزيقا» وهو مجموعة نصوصه التي كتبها عام ١٩٣٥. وكما بينه التسليم، فإن مجموعة الملاحظات المضافة بين قوسين كتبت في نفس الفترة. في الصفحة ٢٠٢، يتحدث هايدغر عن القومية الاشتراكية، وعن «عظمة هذه الحركة وعن حقيقتها الداخلية» (يقصد بالحركة اللقاء بين التقنية المتحققة على مستوى كوني وبين الإنسان الحديث).

وعندما تنبه إلى أن مثل الأفكار صدرت لأول مرة عام ١٩٥٣، ودونيا أي تعليق، فإنه بإمكاننا أن نتصور انها تنقل بأمانة ما يفكر فيه هايدغر اليوم (كتب هذا النص قبل وفاة هايدغر - المترجم). وسيكون من غير الضروري الاستشهاد بعظمة القومية الاشتراكية وبحقيقتها الداخلية لولا أنها لم تكن نتيجة لتجصم المحاضرات التي ألقى في تلك الفترة. أن هايدغر يقوم بمواجهة سؤال الاسئلة كلها، سؤال الوجود وعلاقته بالحركة التاريخية لتلك الفترة.

ومعروف أن الحاضرات بالنسبة لهايدغر تحكم بمصير نيسان الوجود. أكيد أن الشعوب تقيم من خلال اشغالها واتجاهها علاقة معينة مع الأشياء، ولكنها منذ أمس بعيد نزلت من عليها الوجود. ولهذا، فأننا، إذا ما تكلمنا ميتافيزيقيا، يمكن أن نقول أننا «نرتج» وهذا الدوائر يتأكد بوضوح من خلال مظاهر التقنية. ولكن هذه التقنية في الحقيقة لم تتطور بنفس النسق في كل الأماكن. أن أوروبا مثلاً توجد داخل «كتلة» ضخمة بين روسيا وأمريكا اللتين هما متجانسان في جوهرهما: «هذا الجنون الذي لا نهاية له للتقنية الخيوية والتدفعه بضراوة». وهذا الاعداد المشو للأنسان الذي أصبح خاضعاً للقواعد والقوانين» والذين لم يعد الزمن بالنسبة لها يعني شيئاً سوى السرعة.

لا يمكننا مارتن هايدغر هنا كلفيلسوف. أن ما سوف نشغلنا في هذا المقال هو إشعاعه السياسي، وتأثيره ليس على الجدل الدائري في الاساطير الجماعية، وإنما على تكوين وعلى عقل ارادة الطلبة الغالبين للتأجيل والتحمص. العقيدة لا يمكن أن توجد دون نوع من اللبس، وربما كان هيجل على حق عندما ذكر في أن الأفراد الذين يتجنسدهم فيهم التاريخ الكوني، لا يمكن أن تحكم عليهم انطلاقاً من المعايير الاخلاقية. ولكن عندما يساعد هذا اللبس على فهم العقيدة، أو أنه بالأحرى، يُفسدُها، وعندما تؤدي هذه الأخيرة إلى التخريب السياسي، فإن التيقظ النقدي للشعوب يستعيد في مثل هذا الحال شرعيته. غير أن هذا النقد ليس من حقّه أن يحاكم ما ليس قادراً على ادراكه، أي الأحداث الخاصة بالحياة الشخصية حيث تتجّ قرارات الفرد وتشكل. من حقّه - أي هذا النقد - أن يعطي ببساطة تفسيراً للظروف التي هيأت لظهور النقص والاضطرابات الشعبية، أي للظروف التي لا بد من تفسيرها لتجنب وقوع مثل تلك الحوادث في المستقبل. ومنذ ١٩٤٥، ومن جهات متعددة، طرحت مسألة هايدغر والغاشية. وكان خطاب هايدغر الذي ألقاه عام ١٩٣٣ عند تنصيبه عميداً لجامعة فرايبورغ، والذي أشاد فيه - والتحول العميق لوجود ألمانيا هو الذي اعتمد بالأساس في هذا الجدل. وإذا ما توقفت النقد عند هذا الحد، فانه يظل مبسطاً. وبالعكس، انه من المفيد ومن الناجح أن نعرف كيف سمح مؤلف الوجود والزمن» (وهو أهم حدث فلسفي منذ فينومينولوجيا هيجل) لنفسه بالزول إلى مستوى هذا الفكر البدائي الذي يبدو لصاحب النظره الثاقبة ومن البهلة الأولى، مجرد كلام تفضيحي دوننا أناقة في الاسلوب. اقتصد بذلك خطاب هايدغر حول تقرير الجامعة الألمانية ذاتياً لمصيرها.

إن مسألة الانتلجيسيا الفاشية التي تُطرح في مثل هذه الظروف، يبدو أشدّ الحاحاً وإشدةً حقّة عندما نستنتج من خلال تفكيرنا بأنه لا يمكن أن توجد انتلجيسيا فاشية لسبب واحد بسيط، وهو أن سطحية مجموعة الملاك أو الموظفين المستخمة في التطاير النازي لم تقبل العروض التي تقدم بها اليها المفقود. ورغم ذلك فإن المفكرين الذين كانت عقليتهم والمواضيع التي يتفكرون اليها، تتلام وتتناوq مع موضوعات الغاشية، كانوا موجودين. وليس من المفيد هنا ذكر الاسماء لأن مثل هذا الامر سوف يقودنا إلى سوء الفهم. القوى كانت موجودة، وحاضرة. وحده انعدام اتساع النظرة لدى موظفي التطاير النازي هو الذي قاد هذه القوى إلى المعارضة، بحيث أن والحركة في عملية تخلفها عن كانوا يتحملون مسؤولية التراث الفكري، استطاعت أن تبين وبوضوح تام، أن «الاشتراكية القومية»

والخالص لا يمكن أن يتجاوز إلا بفكر أكثر تحملاً في الأصل.
وأخيراً تنصاف إلى قوة الفكر، «الشجاعة»، شجاعة جِدِّ غامضة، لانحياز العنف والخطأ، الظاهر، والخديعة، والوهم، والتهيان كلها قوى مصدرها الوجود نفسه. وحده العقل البشري لا يحس قوته السحرية، وهو يشوهها ويعرفها حتى يحولها إلى مجرد خطأ بسيط. والفكر الشجاع بعيد من جديد تشكيل حياتنا داخل تاريخ الوجود تماماً كما تشكلت في عهد آخرين مقابل الفلاطون، وذلك بأن يقول نعم إلى كل بداية حقيقية بكل ما تطوّر عليه من غيف، ومبهم ومرسب. أي إن الفرد الشجاع لا يتعمق من إبراز طبيعته الحقيقية إلا عندما يعيش في الخطر وفي المجازفة: أنه الذي يفهم بالعنف، وهو الحراك الذي يسيطر على الكائن وذلك بأن يقتحم الطريق في خطابه باتجاه غير السُمي، وفي نظره إلى المخفي والمرئي، وفي فعله إلى السلي في يتمّ انجازه بعد. والعنف هنا ليس له ذلك المعنى السطحي (للتعسف الحقيقي والبدائي) بل هو عكس ذلك تماماً. إن الإنسان الفزع، المطروح إلى الأضاق، والمبالغة، والمساعدة، والإسعاف، وهو الذي يرى في العنف أزعاجاً لحياته وإرباكاً لها. ولهذا السبب لا يفهم مركّب العنف الحقيقي الطيبة، والمصالحة والهدوء، وغير ذلك. ويرفض كل هذا سواء تاله «بنجاح» أو «فشل». أنه يحقّظر مظهر الانجاز والاكمل، وبمواجهة ما يشغل عامة الناس، يرفع مركّب العنف مشروط المفكر، وبناء المشيد والمؤسس، وفعل المشروع. وهو يتصبّ فوق الجميع، تحيلاً في وحدته، وأخيراً هو بدون غرر. أن عدم الوجود بالنسبة إليه هو أسوأ اتصال على «الوجود». وهو يرى أن الحياة تستكمل بطريقة تراجيدية في «الرضا» الأبدى عمقا والاكمل انفتاحاً على هلاكه. ولذا، ويرفض كل مساعدة بفضل إرادته تلك.

إن السؤال الذي نطرحه على درس هايدغر هذا، يتمحور حول ما يدعوا إليه، وما يتحدى به، وما يقف ضده. ونحن نفهم دوناً عناء انه انطلاقة من تجربة كل من هولدرلين ونيشه، ومعهم المصيبة خاصة للعشريات، وأيضاً مع الاعتقاد الشاذ أن عقلهم مهمّة خاصة وقومية، قام هايدغر بدور الأقوياء والمختارين ضد البورجوازيين، ويدور الفكر الأصلي ضد الحس المشترك، ويدور عتق الموت العادي ضد الخائف من المجازفة. وهذا يؤدي بنا إلى القول أن مثل هذا الإنسان لا بد أن يلعب في الظروف الخاصة بالقرن العشرين، دور القائد على المستوى الأيديولوجي، وحتى دور الرسول في الحزب المتقد بالانفعالات الذي يُميّز به عام ١٩٣٥.

إن طريقتنا في معالجة هذه المسألة ليست موضوعية ذلك أنها ليست مصوّبة باتجاه منطق هايدغر في تلك الفترة، وإنما باتجاه الأسلوب الذي يتجسّد فيه. غير أنها شرعية مع ذلك. وهي تستمدّ شرعيتها هذه من وجود فعل لتكون إرادة له أثر حاسم على المستوى السياسي. والأسلوب الذي فيه يتجسّد هذا النص يتدخل مباشرة في الموضوع. أنه مكان للعدوى. ذلك أن الأسلوب هو موقف معاش، منه تنبثق شرارة التكوين العضوي للسلوك. وهو دائماً المصدر الجديد للحوافز الحياتية. وهو الذي يشعل النداء في كل مرة. أنه خاص

من التاجين، ينتشرون أوروبا هروب الآلهة، وعمته العالم، وفساد الأرض، وتدين الإنسان، وتضخم الكراهية، والشك في كل ما هو خلاق وحس. ولهذا فإن مصير الكون سوف يتقرر مستقبلاً في أوروبا، وبالتحديد في قلب الشعب الذي يوجد في الوسط، والذي يتعرض أكثر من غيره لضغط الكثافة الأشدّ عناء: «إن الشعب الذي له العدد الأكبر من الجيران، والذي هو معرض، للخطر أكثر من غيره، هو بكلمة الشعب الاشتراكي». ولكن من خلال نزعة هذه، لا يستطيع الشعب أن يؤسّس لنفسه مصيراً عظيماً إلا إذا تمكن من أن يمتلك بطريقة خلاقة تقليده وتراثه الخاص. ولنوضح ذلك: خلال الحالة السياسية لعام ١٩٣٥ والتي كان خلالها يتشكل الصراع على جبهتين، أي في نفس الوقت ضد الغرب وضد الشرق معاً، كان هايدغر يرى بريق مرحلة لتاريخ الوجود هيأها مسافة زمنية تقدر بما يزيد على ألفي عام، ومثل هذه المرحلة تكفل للشعب الألماني مهمة معيّنة في التاريخ الكوني، ولكي نفهم الأسلوب الذي يتجسّد في تلك الحاضرات وقوة الأشعاع الأخروي الذي ينبعث منها، فانه من الضروري أن نلتفت الجدلية التي بها يتحدث هايدغر لمستعمره سنة ١٩٣٥ ولفرامته سنة ١٩٣٣. أنه يدعوهم إلى وجود بطولي ضد الامبيار والرداءة اليومية. والتلويحات الخاصة لهذا الالتباس يمكن تلخيصها في ثلاثة مظاهر.

إن «القوة» هي التي ترفع الفرد الارستقراطي فوق سوقية العامة وخشونتها. والارستقراطي الذي يختار المجد يرفع إلى مصاف الارشاف. ويأل المنزلة والسلطة اللتين هما أيضاً من مختصات الوجود نفسه. اما العامة، والشعبانة كالذواهب، وهي عبارة عن قاطنات استشهد بها هايدغر، ورافق عليها، فانها ليست غير مجموعة من الحميم والكلاب. والحقيقي ليس لكل الناس. أنه فقط للأقوياء (هيراكليطس).

وبعد ذلك يكون الفكر (Der Geist) هو الذي يميّز الفكر (Der Denken) من اللطف. والحساب الذي يكون موضوعاً إلى الأشياء التي يجرى على جعلها جاهزة لهذا الاستقبال أوداك. وبمثل هذا الامساك باليد التي تتعلّق الأشياء، تصبح هذه في نفس المستوى. والعدد والاتساع هما البعدان المهيان «والهارة»، أنه تمتدّ تعني بالنسبة لهذا الفكر الوفرة المثالية من زيادة في الثروة، وإنما أصبحت ذلك العمل الرافعي بحرق الجبين. إن هذا الفكر الذي يفتني أثر قوانين المنطق التقليدي، عاجز عن ادراك مسألة الوجود، وبالتالي عن طرح المسائل. الطلبة يتعلمون أن التفكير والملاحظة والقياس أشياء معطلة والأمريتل فقط بالمواهب، وبالتدريب، وبالتوزيع على مستوى شامل. سطحي وعميق، فارغ من اللذة وثري بها، انفعالي وخلّاق، تلك هي الأوصاف للتناقضة التي يتخصّص بها كل من الذكاء والفكر، فكر، يدافع عن هايدغر بقوة وشدة ضد كل غثائية مغالي فيها. ذلك أنه ليس الفكر، وإنما فقط الذكاء هو الذي، يقول هايدغر ملقياً نظرة باتجاه النسالة (علم تحسين النسل أو الجنس) المترجم الرسمية للحزب النازي، هو الذي يجب أن يخضع لأكائيات الجسم السليم، وللسلوك، ذلك أن انحلال فكر انحط إلى مستوى الذكاء البسيط

ويشل هذا الجدل بمنح للفكر الذي يطعم في ان يمين من خلال التوضيح، شرعيته الخلاقة، وبموجبها ان تتطابق مع الرأي العام. وهنا يتقصنا العنصر المصلي للعقلانية العملية. ان ننذري عواطف معادية للمسيحية، ومعادية للغرب يمكن ان يكون كافيا لتغذية هوس بلا عقلانية، وهو ما يمكن هايدغر يرغب فيه. ولكن في نفس الوقت ينضال الى هايدغر بهم بسيط يتنقل في ان آراءه التي كان عليها ان تقود الى اللقاء بين التقنية المحلدة على مستوى كوني وبين الانسان الحديث، كان قد عرضها عام ١٩٣٥ في ظروف تلك الفترة التي كانت بالتحديد فترة عيّن عليها التقنية، وهو ما كان يجب ان يؤدي تلقائيا الى سوء تفاهلهم، واعتقاداً على هذا ان تزوير ما كان يطعم اليه هايدغر، أي قهر الحياة التقنية وانضاعها لارادة الانسان. ألم يلع ندائه الى الطلبة والذي تضمنته فلسفته، بادىء ذي بدء، وكما لو انه يتوافق ويتطابق مع ما كانوا يؤمنون بتنفيذه كضباط؟ وبالتأكيد ليس الامر في ان الحديث عليه، وهو هايدغر نفسه، الذي استسلم لأغرائه لمدة سنوات عديدة، هو الذي يسمح لنا بالمثل في الطابع الوهمي هذا التوافق وهذا التلصق. وبقي في آخر الامر سؤالان معلقان: الى أي شيء يستند هذا التوافق حتى ولو كان وهمياً؟ هل كانت للنشازية علاقات وثيقة بالثأر والتقليد الفكري الألماني أكثر ما نحن ننصرون؟ وثانياً: ما السبب الذي يجعل هايدغر ينشر محاضراته في عام ١٩٤٣ دون ان يقيم مسافة بينه وبينها؟ ان هذا الموقف لا يكون مطابقاً لمبادئه الا اذا لم يطرح الماضي على بساط البحث، وبصفة دائمة، وهذا عكس ما يطالب به هايدغر، كشيء لم يأت بعد. وأكثر من هذا، يظل هذا الموقف سجين التكرار البسيط والمحض. وهو، أي هذا الموقف، لا يكون متطابقاً مع مبادئه وإهدائه الا في نظر الرأي الذي يري من وجهة نظر تاريخ الوجود، ليس فقط الخطأ الشخصي، وإنما أيضاً، ودنيا توفير تفسير اخلاقي، والخطأ في انه ربما كان نازياً [١٩٤٣]. ان مقالي هذا لا يريد سوى طرح هذا السؤال: هل يمكننا ان نفسر القتل المظلم للملايين الناس نعرف اليوم عنهم كل شيء وكما لو انه خطأ من وجهة نظر تاريخ الوجود التي فهم كما لو انه مصري ليس هو الجريمة الفعلية لارتكابه الذين ارتكبوها بكل مسؤولية؟ لا أنجازف الآن، ويعدد مهني وقت على ذلك، ان نواجه ما حدث وان نواجه أيضاً ما كنا؟ [١٩٤٣].

أعتقد انه حان الوقت الآن لكي نفكر مع هايدغر ضد هايدغر.

يورغن هايرماس (١٩٥٣)

بالصلة الواجبة بالتاريخ - التي هي فلسفة هايدغر - والتي تقول ان النشاز يتغير بيننا نحافظ البنى المعنوية الفلسفية على ثباتها واستقرارها خلال الحقب التي تطورت عبرها. وليس هناك مجال لإبراز تواصل القنوات الأساسية لـ «الوجود والزمن» ودور «مسألة حول الإنسانية» غير انه بالمقابل تفرض الطبيعة المثقلة لتوعية النشاز نفسها بنفسها [١٩٥٣].

ان أسلوب النشاز تغير مرتين على الأقل، وارتباط مع الوضع السياسي. وفي نفس الوقت لم يتغير الا الموضوع الثقافي الداعي الى الاحالة، ولا موضوع الجدل الموجه ضد النشاز والانهيار. والتلون الفاشي لتلك الفترة ينكشف ويتجلى بشراسة في محاضرات ١٩٣٥. ولكنه - أي هذا التلون لا يتغير فقط عن المعطيات الخارجية، وإنما أيضاً عن المعطيات المتصلة بالمطلق نفسه هذا الذي هو موضوع سؤال وطبقا لفهم تاريخ الوجود الذي هو مفهوم هايدغر، يمتد تناسي الوجود بطريقة متزايدة، ويغترق كل الفلسفة الغربية من افلاطون الى نيتشه. ثلاث انطلاقات تطبع هذا التطور: انتقال الفكر - وما قبل السقراطي - الى الفكر - والافلاطوني - الارسطوطاليسي، وانتقال الفكر - والاغريقي - الى الفكر - واللاتيني - الروماني، وانعزال انتقال الفكر - والقرسوطي - الى الفكر - والحديث. وهايدغر متجذّر في أسئلته وبراز الاصلي. وما يشكته مذهب. ورغم ذلك فان مضاميه تظل جزئية في مجملها. وهذا الطابع الجزئي يتشأ عن عيب مضاعف.

ان هايدغر لا يأخذ بعين الاعتبار الجانب التالي، وهو ان اشكاليته الخاصة ليست متميزة على الإطلاق، وإنما هي ظهرت في إطار الفكر الألماني الذي يمدنا وراء شيلينغ، وهولداين، وميغل، ويومه (Böhme). بالإضافة الى ذلك يرغب هايدغر في تجاهل نقطة الانطلاق اللاهوتية التي هي نقطة انطلاقه. كما انه يرغب في ان يتجاهل أيضاً ان الحياة في التاريخ في كتابه «الوجود والزمن» تتحدّ حقلاً من التجارب المسيحية أساساً، يصود أصلها الى القديس اوقستين (Augustine). مروراً بكيركغارد (Kierkegaard) وإذا غيّب هذا التجاهل لحدين العنصرين حصتين أساسيتين ومفومتين، فان هذا ليس مهماً على أية حال في نطاق موضوعنا الذي نحن بصدد معالجته. وحالاً لم تعد المسيحية التي تأصلت منها الفكرة التي تقول بأن هناك عالين متفاهرين، تمثل سوى مرحلة بسيطة في سيرورة انحلال الغرب وتدهوره، فان فكرة مساواة البشر جميعاً امام الله - هله الفكرة التي ماتزال اسمية بالنسبة هيغل - وفكرة حرية كل واحد لم تعد توفر لنا موازناً ناجحة، لا موازن المساواة الفردية امام الامتياز الطبيعي للاقوى، ولا موازن الكونية في مواجهة الشعب الألماني المختار في التاريخ. وفي موضع ثان، اذا ما نحن لم نعرف انه عقب ديكرت (Descartes)، وموازاة لميخ فكري نأسس على الحساب، وأخضع كل الأشياء للتفسير لهذا الاستعمال أو ذاك، وإن هناك موقفاً آخر، موقف التصوّر الساخج والبدائي، والموقف الذي يتوقف عند فهم المعنى، فالتا لاعتبار اهتماماً للين جدلية حركة الأفكار في العصر الحديث.

ملاحظة: ولد يورغن هايرماس عام ١٩٢٩. وقد درس الفلسفة في كل من جامعتي هالاينغره وهايدلبرغ، وهو أحد المثقّلين الكبار لفلسفة ومدرسة هانز كورتوت، اسد الى حدّ هذا الوقت عدة مقالات فلسفية جمعت بحظ بتقدير كبير الى الاصطلاح الفلسفة الألمانية والرومانية.

الملك السري للفلسفة

هانا آرندت

في تلك الفترة، وعقب الحرب العالمية الأولى، كان يمين على الجامعات الألمانية شعور، لا بالتمرد، وإنما بالانزعاج الشديد. وقد طفى هذا الشعور على جميع المؤسسات العلمية بدون استثناء، وعلى جميع الطلبة بمختلف مستوياتهم، وأيضاً على الجهاز التعليمي. ولم تكن الفلسفة توفر مهنة تساعد على العيش. بل أنها كانت بالأحرى الاختصاص الذين يختاره أولئك الذين يعرفون أنهم سيقاومون اتباعاً كثيرة في حياتهم، وكانت طرق تدريس الفلسفة جد متخلفة، بحيث أنها لم تكن تفي بحاجة من يريد ادراك الأشياء والعالم الذي حوله. وكانت الدروس الفلسفية حول المعرفة، والجبال والمنطق مضجرة الى أبعد حدود الضجر. ولغاية هذه الوضعية المأساوية، ظهر قبل هايدغر بعض المتمردين. وحسب التسلسل التاريخي يمكننا أن نذكر «هوسرل» (Husserl) وندهام من أجل الذهاب «الى الأشياء ذاتها». وهذا كان يعني: «فلنترك جانباً النظريات والكتب» ولنتناول الفلسفة كما لو أنها علم دقيق يحظى بمكانته الى جانب العلوم الأكاديمية الأخرى. وكان مثل هذا الكلام جد ساذج، وبخلاف ما آتت دعوة الى التمرد، فغرائبه على أية حال كان شيئاً استند اليه وشيلاً (Scheier) ثم هايدغر في مابعد. وبعد ذلك، وفي «هيدلبرغ» ظهر أحد المتمردين الفعليين، وهو كارل ياسبرس (Karl Jaspers) الذي كانت تربطه بهايدغر، كما نحن نعلم، علاقة صداقة، امتدت لفترة طويلة. والسبب هو أن مشروع هايدغر كان يتضمن هذا «التمرد» الذي كان يرى فيه «ياسبرس» شيئاً فلسفياً واديكالياً ووسط الثرثرة الأكاديمية حول الفلسفة.

ما كان يجمع بين هذا العدد القليل من الفلاسفة - ولنتعامل هنا ككليات هايدغر نفسه - هو أنهم تمكنوا من أن يميزوا بين الشيء المراد به المعرفة الدقيقة والشيء الذي نفكر فيه. وقد اهتموا هم بالامر الثاني، أما الأول فلم يبالوا به [...] وشيئاً فشيئاً انتشر الخبر القاد من «فرايبورغ» والذي يقول أن هناك رجلاً توصل بالفعل الى الأشياء التي كان أعلن عنها هوسرل، وهو يعرف أنها ليست من المهام الأكاديمية، وإنما من مهام الرجل الذي يفكر. وهذا الامر ليس هو في الحقيقة وليد الامس أو اليوم، وإنما هو قائم منذ البداية. كما أن هذا الرجل يؤكد أنه بإمكانه أن يكتشف الماضي من جديد حتى ولو أن الجيل السري مع التقليد القديم قد قطع بالنسبة اليه تماماً. وهو يقول مثلاً أننا عرض أن نتحدث عن افلاطون، وأن نعرض نظريته وأفكاره، علينا أن نقيم لمدة فصل دراسي كامل، حواراً يتواصل خطوة خطوة حتى نغيب تماماً تلك

في نفس الوقت الذي احتفل فيه هايدغر بعيد ميلاده الثمانين، يحتفل أيضاً بمرور خمسين عاماً على توليه مهنة استاذ الفلسفة. ولقد قال افلاطون ذات يوم: «ذلك أن البداية هي أيضاً انه يتبدل كل شيء بقدر ما يمتك بين الناس». فليُسمح لي إذن أن ابدأ من البداية. ولا أقصد بهذه البداية سنة ولادته (١٨٨٩) في «ماسكيرش» (Messkirch) وإنما سنة ١٩١٩، أي سنة تعيينه استاذاً للفلسفة في جامعة «فرايبورغ»، ودخوله بذلك الى الحياة الأكاديمية الألمانية. ذلك أن شهرة هايدغر كانت أقدم من كتابه الشهير «الوجود والزمن» (Sein und Zeit) الصادر سنة ١٩٢٧. بل إنه باستطاعتنا أن نتساءل اذا ما كان ذلك النجاح الغريب للكتاب - ليس الانطباع الذي أحدثه فور صدوره، ولكن بالأحرى تأثيره الحارق على المدى البعيد، والذي لا يضافه فيه سوى عدد قليل من المؤلفات في هذا القرن - يمكننا لولا النجاح الأكاديمي الذي سبقه، والذي لم يأت ذلك الكتاب الا ليؤكد له إذهان طلبة تلك الفترة.

لقد حدث شيء غريب في فترة المجد الأول، ربما أكثر من ذلك الذي أحدثته شهرة كافكا في العشرينات، أو براك وبيكاسو في فترة لاحقة. فهؤلاء أيضاً - أي كالفكا وبيكاسو وبراك - كانوا مجهولين من طرف الجمهور، في المعنى العادي للكلمة، غير أن تأثيرهم رغم ذلك، كان خارقاً. أما بالنسبة لهايدغر، فلم يكن هناك شيء يمكن أن تستند اليه الشهرة. ولأمؤلف واحد، سوى بعض الملاحظات المسجلة خلال المحاضرات والتي كان يتداولها الطلبة. وكانت تلك المحاضرات تعالج نصوصاً معروفة عالمياً، ولم تكن تنطوي على أي نظرية خاصة. لم يكن هناك غير اسم. وهذا الاسم كان يسافر عبر ألمانيا بأسرها كما غير الملك السري. ولم يكن ذلك يعني البتة تلك «الحلقات» المركزة على «علم» بقودها ويسوتجها (مثل حلقة غيرورغ (George) مثلاً). ومثل هذه الحلقات، للمعرفة تجديداً من طرف الجمهور، كانت تحتمي من هذا الأخير متخفية وراء هالة من غرابة يزعم أصحاب الحلقة أنهم وحدهم العارفون بها. في ما يخص هايدغر، لم تكن هناك غرابة ولا مريدون. الذين كان الحيرة قد بلغتهم كانوا يتمازفون دوناً شك لأنهم جميعاً طلبة. والبعض منهم تصادقوا. وفي مابعد، ظهرت هنا وهناك بعض الزعم المتخصصة لما يرد في محاضرات هايدغر. ولكن ابدأنا بتأسيس على قاعدة ذلك حلقة. كما لم يكن هناك شيء باطني أو سري. من هم الذين كان يصلهم الخبر؟ وماذا كانوا يقولون؟

دائها في حالة عمل . حتى فتح الطرق صالح بالاحرى الى فتح بُعد جديد عوض تحقيق هدف حدّد من قبل . يمكن أن تكون الطرق هادئة (طرق الغابات مثلا (Holzwege) وهو عنوان مجموعة النصوص التي كتبها بين ١٩٣٦ و ١٩٤٦) . ولأنها لا تنفرد الى هدف محدّد خارج الغاية ، وتضيق فجأة في مالم تطأه قدم بعده ، هي أروع بكثير بالنسبة للذي يجب الغاية ، من تلك المشاكل المخططة بدقة وعناية التي تهافت عليها أبحاث المختصين في الفلسفة والعلوم الانسانية [...] .

وقد أقام هايدغر في هذا البعد من العمق الذي فتحه بفكره وحده ، شبكة كبيرة من طرقات هذا الفكر . وبطبيعة الحال ، فإن النتيجة الوحيدة والفورية التي أخذت بعين الاعتبار ، وأسست مدرسة هي تلك التي أدت الى هدم الهرم الميتافيزيقي القائم ، حيث لم يكن يشعر فيه منذ زمن طويل أنه مرتاح البال . وهذه عملية تاريخية ، وربما تكون من الصنف الأول . غير انه ليس علينا ان نهم كثيرا بلذلك نحن المحارجون عن كل اختصاص ، بما في ذلك اختصاص التاريخ . وإذا ما كان كائنا قد سمي على حق ، وفي افق معين «المقصود» أو «الهدف» ، فاني اعتقد ان مثل هذه الصفة تنطبق على دوره التاريخي وليس على ما كان . أما بالنسبة لهايدغر ، ولخوره في تهديم البناء الميتافيزيقي الذي كان على أية حال وشيك الوقوع ، فانه بإمكاننا انؤكد انه علينا أن نشيد به وحده لأن الهدم تم بطريقة مناسبة لما سبق ، وان الميتافيزيكا حُللت في كل ابعادها وتناجها ، ولم يقع فقط اجتراحها وتجاربها من طرف «من جاء بعد ذلك .» «نهاية الفلسفة» كما يقول هايدغر في "Sein und Zeit" ، غير انها نهاية تُشرّف الفلسفة التي هيأها من هو متعلق بها اشد التعلق ، أي ذلك الذي طوال حياته اتخذ خلال دروسه ومحاضراته ، نصوص الفلاسفة كمطلق لعمله . وأيذا لم يعتمد على نصّ من نصوصه الا في فترة الشيوخوتة ا

النظرية التي لها ألف سنة ، ولا يتبقى سوى اشكالية حاضرة بمظمة وجلال . ان مثل هذا الامر يدولنا اليوم امرا عاديا ومألوفاً . كثيرون يهجون اليوم مثل هذا التبع . لكن قبل هايدغر ، لم يكن هناك أحد على الإطلاق . واخبر يقول ايضا وكل بساطة : ان الفكر استعاد حيويته . انه يتحدث عن تلك الكنوز الثقافية في الماضي ، والتي كنا نعتقد انها ماتت وتلاشت . وهامي تعود على لسان هذا الرجل لتتبرح اشياء جديدة مخالفة تماما لما كنا نتصوره ، ومنها كنا نحترز ونحذر . هناك معلم . وهاج ان نتعلم كيف نفكر .

الملك السري اذن ، في ملكة الفكر التي هي من هذا العالم ، ومع ذلك هي مخفية فيه الى درجة اننا لا نستطيع ان نؤكد من وجودها أو من عدم وجودها ، بالرغم من ان سكانها اكثر عددا مما نحن نتصور . والا كيف يمكننا ان نفكر التأثير الفريد من نوعه ، و«الجوهر» احسانا ، لفكر هايدغر وتحليلاته للنصوص الفلسفية التي تتجاوز تجاوزا كبيرا حلقات تلاميذه وايضا ما نحن نعتنه عائلة بالفلسفة . ليست فلسفة هايدغر في رأي . ومن حقا ان نتساءل مثل الفرنسي جان بوفري (Jean Beaufret) اذا ما كانت هناك حقا فلسفة لهايدغر . ولكن فكره هو الذي ساهم بطريقة حاسمة في تجديد المظهر الفكري العام للقرن العشرين . وهذا الفكر يتميز بصفة الاختراق . وهي صفة خاصة به ، ولا تضاهيها في ذلك صفة اخرى . وقوة هذه الصفة تكمن في فعل «فكر» . ان هايدغر لا يفكر «في» او «حول» الشيء ، وانما هو «يفكر الشيء» (نحن مضطرون هنا الى جعل فعل «فكر» متعديا لتقريب مفهوم هايدغر لمتى الفكر من القراءة / المترجم) وفي هذا النشاط البعيد عن كل شكل من اشكال التأمل ، يغموص في الاعيان ، غير ان هذا لا يعني انه يغموص بهدف الكشف عن ارض نهائية ومُطمئنة ، وانما لكي يفتح ، وهو مقيم في الاعيان ، طرقا جديدة ، وان يضع «علامات» (Wegmarken) (وهو عنوان مجموعة المقالات التي كتبها بين ١٩٢٢-١٩٢٩) ان الفكر كما يراه هايدغر ، يمكن ان يقترح لنفسه مهاماً ، ويمكن ان يشد اليه ومشاكله . وهو بطبيعة الحال ، يملك شيئا خاصا يهتم به ، وهو بالاحرى ، يحرّسه ويحميه على العمل . غير اننا لا نستطيع ان نقول ان مثل هذا الفكر هدفاً . وهو

ملاحظة : كانت هانا أرندت (Hannah Arendt) (١٩٠٦-١٩٧٥) تلميذة كارل ياسبرس . وقد اهدت رسالة الدكتوراة في هيدلبرغ . وقد هاجرت ألمانيا عند عامي التشرين الى السط ، واسهّرت في الولايات المتحدة الأمريكية حيث قامت بالتدريس في جامعاتها وبعد هانا أرندت من اهم رموز الفكر السياسي في العصر الحديث .

[لم أتعاون مع القوميّين الاشتراكيين!]

نمسلك بالتبار الذي بدأ يظهر شيئاً فشيئاً اعتياداً على القوى البتامة والتي لا تزال حيّة حقاً.

شيفغل: كنت أذن تلاحظ علاقة ما بين وضع الجامعة الألمانية والوضع السياسي في ألمانيا بصفة عامة؟

هايدغر: لقد تأهبت الأحداث بين يناير/ كانون الثاني ومارس/ آذار ١٩٣٣، وحدث أن تحدثت في شأنيها مع زملاء أصغر مني سنّاً، ولكن عملي كان مخصصاً في ذلك الوقت لتحليل شامل لفكر ما قبل الشقراطية. وقد عدت إلى فرايبورغ في بداية فصل الصيف. وقبل ذلك كان الأستاذ فون مولونديورف قد بدأ عمله كمعيد يوم ١٧ نيسان/ أبريل. وبعد أسبوعين فقط من ذلك أقبل من منصبه بقرار من وزارة التعليم. ورأساً كان قرار رئيس الجامعة بمنع تعليق ماسمي في ذلك الوقت بالمشور الخاص باليهود، فرصة للوزارة لكي تقيله من منصبه.

شيفغل: السيد فون مولونديورف كان اشتراكياً ديمقراطياً. ماذا فعل عقب هذا القرار؟

هايدغر: يوم أقالته اتصل بي فون مولونديورف وقال لي «هايدغر». أنت الذي يجب أن يُمسك برئاسة الجامعة». قلت له أني لست على دراية كبيرة بالمسائل الادارية، وعرض علي مساعد رئيس الجامعة السيد شاور (علم اللاهوت) أن أشرح نفسي لرئاسة الجامعة ذلك أنه حسب قوله يمكن أن تعين الوزارة موظفاً في حالة عدم عشورهما على شخص تختق فيه. وجاءني زملاء يصغرونني في السن. وحدثت أن تناقشت معهم قبل ذلك حول مسائل تتعلق بسير الجامعة، وعرضوا علي بحاس كبير أن أصبح رئيساً للجامعة. وقد ترددت طويلاً. وانخبر قبلت أن أقوم بهذه المهمة، فقط من أجل مصلحة الجامعة اذ ما تأكدت من رفضي كل أعضاء المجلس الانتخابي. ولكن شكّي حول مدى قدرتي الادارية ظل كامناً فيّ حتى أني صبيحة اليوم المخصص للانتخاب، اتصلت بالزملاء وكان من بينهم فون مولونديورف وشاور وقلت لهم اني لا أستطيع ان اشغل المنصب. وعندئذ أعلمني زملائي بان عمليّة الانتخاب قد اعدت وانه لا يمكنني سحب ترشيحي.

نشر هذا الحوار في المجلة الألمانية الاسبوعية «دير شيفغل» بتاريخ ٣١ أيار/ مايو ١٩٧٦ بعد أيام قليلة من وفاة مارتن هايدغر ونشرت المجلة التوضيح التالي: أرسل هايدغر في آذار/ مارس ١٩٦٦ رسالة إلى المجلة يرّد فيها على الذين يتهمونه بأنه كان على صلة بالنازية أثناء فترة صموهها. وكانت هذه الرسالة اشارة إلى أنه كان مستعداً للإجابة على الأسئلة المتعلقة بهذه القضية. وفي شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٦٦ تمّكن رودولف اغستين وغيورغ غولف من التنازع مع هايدغر. وقد أوصى هايدغر بعدم نشر الحوار إلا عقب وفاته قالاً: «والسألة لا تتعلق بكبرياء أو اعتاد وإنما بعمل هذا الذي أصبح مع الشئنين أسهل، ويعني في المجال الفكري أنه أصبح أكثر صراحة». ويعتبر هذا الحوار الوحيد من نوعه الذي خصّصه هايدغر للصحافة.

وقد اختارت مجلة «لكرينز» الجزء الأول من هذا الحوار، والذي فيه يجادل هايدغر وتوضيح «التهمة» التي وجهها اليه البعض بخصوص علاقته مع «الرابع الثالث».

شيفغل: أستاذ هايدغر، لقد لاحظنا دائماً ان هناك شيئاً ما أثر تأثيراً سلبياً على أعمالك الفلسفية بسبب أحداث عشتها. ورغم ان هذه الأحداث لم تدم طويلاً غير انها لم توضح بها فيه الكفاية.

هايدغر: تصفون أحداث ١٩٣٣.

شيفغل: نعم لئلا ١٩٣٣ ويمسدها. نحن نريد ان نضع هذه الأحداث في إطار أكثر شمولاً ومنها ننتقل إلى أسئلة تلوح أكثر أهمية. مثلاً: ماهي إمكانيات الفلسفة للتأثير على الواقع بما في ذلك الواقع السياسي؟

هايدغر: أها أسئلة هائلة، ولست أدري هل أستطيع الاجابة عليها كلها. وثيق كل شيء لا بد أن أقول انه لم يكن لي أي نشاط سياسي قبل تعييني رئيساً للجامعة وخلال شتاء ١٩٣٢ وشتاء ١٩٣٣ كنت في عطلة وأغلقت أوقاتي كنت أقضيها في منزلي الريفي.

شيفغل: كيف استطعت إذن ان تصبح رئيساً لجامعة فرايبورغ؟

هايدغر: خلال شهر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٢ انتخب زميلي فون مولونديورف وهو أستاذ مختص في علم التشريح معيماً. وتاريخ بدء العمل في جامعته كان يوم ١٥ نيسان/ أبريل وخلال فصل شتاء ١٩٣٢ و ١٩٣٣ كنا نحدثنا أحياناً عن الوضع السياسي وخاصة عن وضع الجامعات، وأيضاً عن وضع الطلاب الناعض. وكان رأيي كالآتي: ليس هناك سوى وسيلة وحيدة وهي ان



فريدريك هوبلندر

للجامعة تجاه وضع الجامعات في ذلك الوقت - وحتى الأشكال المتطرفة التي بلغها اليوم - موضع توضيحاً كافيًا في الخطاب الذي القيته يوم تنصيبى رئيساً للجامعة.

شبيغل: نحن نحاول أن نكتشف كيف وإلى أي مدى يتطابق هذا القول الذي أعلنت عنه سنة ١٩٢٩ مع الخطاب الذي القيته في حفل التنصيب سنة ١٩٣٣. نستخرج جملة من إظهارها العام: «الحرية الأكاديمية التي طالما نغنى بها البعض الآن مغلقة تماماً من الجامعة الألمانية. ذلك أن مثل هذه الحرية ليست حقيقية ولكنها فقط سلبية».

ونحن نعتقد أننا على حق حين تصوّر أن هذه الجملة تعبر عن تصورات لازلت قريباً منها ومتطابقاً معها إلى حدّ اليوم.

هايدنر: أني احتفظ بها قلت. ذلك أن هذه «الحرية» الأكاديمية لم تكن في أغلب الأحيان إلا سلبية: الحرية في عدم بذل الجهد، وفي عدم الانفتاح على التأمل والتفكير اللذين تتطلبهما الدراسات العلمية. وأما بخصوص الجملة التي ذكرتها الآن، فإنها لا يجب أن تقرأ وهي معزولة عن إطارها العام. ففي هذا الإطار العام فقط يمكن للإنسان أن يفهم ما كنت أقصده بالحرية السلبية.

شبيغل: نعم. ولكننا نعتقد أن في خطابك الافتتاحي هناك نغماً جليداً خاصة عندما تتحدث بعد أربعة أشهر من صعود «هتلر» إلى الحكم كمستشار للأرئيس عن «عظمة وبهاء هذه الانطلاقة».

هايدنر: هكذا كان رأيي في ذلك الوقت.

شبيغل: هل تستطيع أن توضح لنا ذلك بأكثر دقة؟

هايدنر: طبعاً لم أكن أرى في ذلك الوقت أيّ خَلٍ آخر. ووسط الفوضى العامة للآراء والتيارات السياسية التي كان يمتلئها النازيون وحشرون حزباً كان لابد من إيجاد موقع قومي

شبيغل: وقبلت طبعاً. ماهي الأشكال التي اتخذتها علاقاتك بالقوميين الاشتراكيين؟

هايدنر: بعد يومين من بدء عملي كرئيس للجامعة اتصل بي رئيس الطلبة القوميين الاشتراكيين وكان مرفوقاً بزميلين له وطلب مني السماح لهم بتعليق المنشور الخاص باليهود، فرفضت. وأسحب الطلاب الثلاثة بعد أن أعلموني أنهم سينقلون قراري إلى قيادة الطلاب القوميين الاشتراكيين. وبعد أيام اتصل بي إدارة التعليم العالي بالوزارة تليفونياً وطلبت مني أن أسمح بتعليق المنشور مثلاً حدث في بقية الجامعات. وإن أنا رفضت فاني أعرض نفسي للاقالة وربما أيضاً إلى غلق الجامعة. وحاولت أن أحصل على قبول الوزير بقراري، ولكنه أعلن أنه لا يستطيع. ورغم ذلك فاني لم أراجع عن قراري.

شبيغل: نحن لا نعترف إلى حدّ هذا الوقت أن الأمور كانت على هذا الشكل؟

هايدنر: السبب الحقيقي الذي دفعني إلى قبول منصب رئاسة الجامعة هو ذلك الذي كنت أعلنت عنه في محاضرتي الافتتاحية بجامعة فرايبورغ سنة ١٩٢٩: «ماهي المتأفزيون؟» أن مجالات العلوم منفصلة وبعيدة عن بعضها البعض والطريقة التي نحلّل بها العلوم الأشياء تكون مختلفة عن سابقتها اختلافاً شديداً في كل مرة. أن تتعدّد مثل هذه العلوم المشتتة لا يجد الترابط المنطقي اليوم إلا في ذلك الذي يمنحه له التنظيم التقني للجامعات والكليات، وبين مثل هذه الاختصاصات ليس هناك سوى نقطة التقاء وحيدة، وهي الاستعمال العملي لها. وفي مقابل ذلك فإن تجلّز العلوم في جوهر وجودها شيء ميتة تماماً. وكلّ ما حاولت القيام به خلال فترة رئاستي

شبيغل: ولهذا أنت ذكرت في خطاب الافتتاح هذه الركائز الثلاث: العمل، الدفاع، المعرفة.

هايدغر: ليس هناك ركائز. إذا أنتم تأملتُم جيداً فإن المعرفة تحتل الدرجة الثالثة ولكن المعنى يعطيها الدرجة الأولى. ما يجب أن يتأمل فيه هو أنّ العمل والدفاع مثل كل نشاط إنساني متأسسان انطلاقاً من علم ما ومستتران به وبه يتبديان.

شبيغل: لا بدّ أن نتحدث - ثم سوف تنتهي بعد ذلك من ذكر مثل هذه الاستشهادات المضجرة - عن جملة لانصوير أنك مقتنع بها اليوم. قلت في خريف ١٩٣٣: «لا يجب أن تكون النظريات والافكار هي قاعدة وجودك. وحده «الفورهر» هو الحاضر والمستقبل والواقع الألماني وقانونه». هايدغر: هذه الجملة لا توجد في خطاب حفل التنصيب ولكن في الجريدة الداخلية و«طلاب فرايبورغ» وذلك في بداية الفصل الدراسي لشتا ١٩٣٣-١٩٣٤.

عندما قبلت أن أكون رئيساً للجامعة، كنت أعرف أني لا بدّ أن أقدم بعض التنازلات. اني لا أكتب اليوم الجمل المذكورة. ولم أقل مثلها أبداً منذ ١٩٣٤.

شبيغل: هل نستطيع أن نلقي عليك سؤالاً عرضياً؟ هذا الحوار وضع الآن أن موقفك خلال سنة ١٩٣٣ كان يتراجع بين المتجاهرين. أولاً كنت مجبراً على قول بعض الأشياء. وهذا هو الاتجاه الأول. ولكن الاتجاه الثاني كان على كل أكثر إيجابية. وذلك عندما تقول: كنت أحسن أن هناك شيئاً جديداً. أن هناك «انطفأة».

هايدغر: هذا ما كنت أقصده. لم أتكلّم متصعناً ذلك وإنّما لأنني كنت أرى حقاً هذه الامكانية.

شبيغل: انت تعرف انه انطلاقاً من هذه الأشياء اهتمت بأنك كنت على علاقة مع القوميين الاشتراكيين ومع جمعياتهم. ومثل هذه الاعيادات التي بلغت الجمهور الراسع ظلت الى حدّ الآن دون توضيح. وهناك من يتهمك بأنك ساهمت في عمليات حرق الكتب التي نظمها الطلاب المتطرفون.

هايدغر: لقد منعت عملية حرق الكتب التي كانت ستحدث أمام مبنى الجامعة.

شبيغل: ثم أن هناك من يتهمك بأنك أخرجت من مكتبة الجامعة ومن منتدى الفلسفة مؤلفات الكتاب اليهود؟

هايدغر: لم تكن لي سلطة كرئيس للمنتدى إلا على مكتبته. ولم أرشح أبداً للأوامر المذكورة التي كانت تلجّ على ضرورة القضاء على المؤلفات اليهودية. وبعض الذين ساهموا قديماً في بعض أعمال في منتدى الفلسفة باستطاعتهم ان يشهدوا على أننا لم نخرج مؤلفات اليهود وأننا كنا ننأش أعينهم وخاصة أصيل هوسرل (Husserl) التي ظلت تناقش وتفسر مثلها الآن الأمر قبل سنة ١٩٣٣.

وخاصة اجتماعي في الاتجاه العام لمحاولة فريدريك نومان (Friedrich Numan). وأريد أن أذكر على سبيل المثال بدراسة لـ إدوارد سبرانغر (Eduard Spranger) تذهب أبعد من خطاي الذي القيت في حفل الافتتاح.

شبيغل: في أي وقت بدأت تهتم بالسياسة؟ الاثنان وعشرون حزباً كانت موجودة قبل ذلك وكان هناك أيضاً ملايين من العاطلين سنة ١٩٣٠.

هايدغر: في ذلك الوقت كنت مهتماً أساساً بالمسائل التي وردت في «الوجود والزمن» (Sein und Zeit) وسلاكتيات والمحاضرات التي أقيمتها في السنوات الموالية. انها مسائل فكرية أساسية على علاقة غير مباشرة بالمسائل القومية والاجتماعية. والمسألة الأكثر إلحاحاً بالنسبة لي كاستاذ جامعي في ذلك الوقت كانت مسألة مصير العلوم واتجاهاتها، وفي نفس الوقت تحديد دور الجامعة وعملها. وهذا البحث كان واضحاً في عنوان خطاب حفل التنصيب: «ثبات الجامعة الألمانية لوجودها» لم يكن حفل تنصيب تجزاً على اتخاذ مثل هذا العنوان في ذلك الوقت. ولكن من بين هؤلاء الذين تجاهلوا على هذا الخطاب وانتقدوه... قرأه وتأمل فيه جيداً وفسره انطلاقاً من ظروف تلك المرحلة؟

شبيغل: وثابت الجامعة لوجودها في عالم متقلب أبدو هذا في غير أوانه وفي غير محله؟

هايدغر: كيف ذلك؟ وثابت الجامعة لوجودها؟ لقد كان هذا يتعارض مع مايسمى وبالعلم السياسي، الذي منذ ذلك الوقت، كان مطالباً به داخل الحزب وداخل صفوف الطلاب القوميين الاشتراكيين. وهذه التسمية «العلم السياسي» كان لها معنى يختلف تماماً عن معنى اليوم. انها لاتعني السياسة في حدّ ذاتها بل تعني «مايلي» ان العلم الحقيقي هو ذلك الذي يكون مفيداً للشعب وملياً لرؤاياه. وماذكرته في خطاب الافتتاح كان يتعارض تماماً مع هذا الاتجاه «السياسي» للعلم.

شبيغل: هل نحن نفهمك جيداً؟ هل كنت تريد في ذلك الوقت التأكيد على أصالة الجامعة وحياتها من تلك التيارات القوية التي كانت تهددها؟

هايدغر: نعم. وأسام التنظيم التقني للجامعة لا بد من أن يكون لاثبات الوجود معنى جديد انطلاقاً من التفكير في تقاليد الفكر الغربي الأوروبي.

شبيغل: سيادة الأستاذ... هل نستطيع ان نفهم من كلامك أنك كنت تريد انقاذ الجامعة بالتعاون مع القوميين الاشتراكيين؟

هايدغر: ان هذا الفهم خاطيء. لا بالتعاون مع القوميين الاشتراكيين. الجامعة لا بدّ أن تجدّد انطلاقاً من نفسها وأن تحصل على موقع قوي وصلب أمام «سيس» العلم - في المعنى الذي كنت وضحته من قبل.



ادموند هوسرل

شبيغل : كنت تلميذاً لهوسرل الفيلسوف اليهودي الذي كان يُدرس الفلسفة في جامعة «فرايبورغ» وقد أمر بتعيينك بعده في الجامعة . هل تعترف له بالجميل ؟

هايدغر : أنتم تعرفون الاهداء في كتابي «الوجود والزمن» . شبيغل : طبعاً . ولكن علاقتك به تعكرت بعد ذلك هل تستطيع وهل ترغب في أن تقول لنا لم يعود ذلك ؟

هايدغر : الاختلافات بشأن المسائل الجوهرية احتدت وتفاقت . في بداية الثلاثينات ، راح هوسرل يقوم بعملية تصفية حسابات مع ماكس شيلر ومعني أنا بصقة علنية . ولست قادراً على إدراك السبب الذي دفع هوسرل الى التحامل على أفكاره الفلسفية علناً .

شبيغل : في أية مناسبة تم ذلك ؟

هايدغر : في قصر الرياضة ببرلين تحدث هوسرل أمام الطلاب . وقد كتب أريك موهسم (Erich Muehsam) عن هذا التدخل في إحدى الصحف الكبرى ببرلين .

شبيغل : الخفصة ليست هامة في حد ذاتها . المهم انها ليست على علاقة بما حدث سنة ١٩٣٣ .

هايدغر : أبداً .

شبيغل : يقال أنك في سنة ١٩٤١ عند صدور الطبعة الخامسة من «الوجود والزمن» تعمدت حذف الاهداء الأول الى هوسرل .

هايدغر : نعم . . . هذا صحيح . وقد وضحت السبب في كتابي : (Unterwegs zur Sprache) حيث نجد مايلي : ولكي أرد على ادعاءات خاطئة ترددت مرات عديدة ، لابد أن أقول ان الاهداء في «Sein und Zeit» ظل في مكانه في الطبعة الرابعة التي صدرت سنة ١٩٣٥ . وعندما رأى الناشر أن الاهداء سوف يمرض الكتاب الى بعض المضايقات ، ورسا الى المنع ، طلب مني حذفه فقبلت شريطة ان يقي على الملاحظة الواردة في الصفحة ٣٨

شبيغل : كيف تفسّر إذن أسباب انتشار مثل هذه الاتهامات ؟ هل هو الحبث والتمعية ؟

هايدغر : بسبب معرفتي بمصدها ، لا استطيع أن أنكر غير ان أسباب التهمة أعمق من ذلك . ان قبولي برئاسة الجامعة ليست الفرصة والسبب الرئيسي لما حدث . ولهذا فان الجدل يشتمل كلياً منحت الفرصة لذلك .

شبيغل : بعد سنة ١٩٣٣ كان لك طلاب يهود . وعلاقتك بالبعض منهم كانت حميمة .

هايدغر : لم يتغير موقفى منذ ١٩٣٣ . وإحدى طالباتي واسمها هيلين فايس (Helen Weles) وكانت الاكثر نبوغاً هاجرت بعد ذلك الى استكلندا ، وقد قدمت رسالتي لنيل شهادة الدكتوراة في جامعة «بال» بعد أن تعدت عليها القيام بذلك في «فرايبورغ» وعنوان رسالتها : «السببية والصدفة في فلسفة أرسطو» وقد صدرت في بال سنة ١٩٤٢ . وفي مقدمتها كتبت المؤلفة مايلي : ان محاولة التفسير الفينومولوجي التي سأقدم منها الجزء الأول ساعدتني على القيام بها تفسيرات لهايدغر لم تنشر الى حد الآن حول الفلسفة الاغريقية» . وهامي نسخة من هذه الرسالة مع الاهداء وقد زورت السيدة فايس مرات عديدة قبل وفاتها .

شبيغل : كنت صديقاً لمدة طويلة لككارل ياسيرس . وبعد ١٩٣٣ تعكرت صداقتكما . والشائعات تقول بأن سبب هذا التعكر هو أن زوجة لياسيرس يهودية . هل تستطيع أن تقول شيئاً حول هذا الموضوع ؟

هايدغر : كنت صديقاً لياسيرس منذ ١٩١٩ . وقد زورته وزورت زوجته في «هايدلبرغ» خلال فصل صيف ١٩٣٣ . وقد أرسل لي ياسيرس كل كتبه بين ١٩٣٤ و ١٩٣٨ مع وثيقة وثيقة» .

شيفيل: مات هوسرل سنة ١٩٣٨. ومنذ فبراير ١٩٣٤ قلعت استقلالك من رئاسة الجامعة. كيف توصلت الى هذا القرار؟

هايدر: هنا لا بد أن أتوسع قليلا في الكلام عن الجزئيات لتجاوز التنظيم التقني للجامعة، أي لتجديد الكليات من الداخل انطلاقا من أعمالها تجاه الأشياء ذاتها. اقترحت خلال فصل الشتاء ١٩٣٣-١٩٣٤ تسمية زملاء يصغرون في سنا في عبادات مختلف الكليات وكانت مقدرتهم كبيرة في ميادين اختصاصهم. وهذا دون النظر الى علاقتهم بالحزب. وهكذا أصبح أريف فولف عميدا لكلية الحقوق وشادولدت عميدا لكلية الفلسفة وسورغال عميدا لكلية العلوم وفون مولونبورف الذي أقبل من منصب رئاسة الجامعة عميدا لكلية الطب. ومنذ خاية ١٩٣٣ اتضح لي أن عملية التجديد داخل الجامعة مستحيلة بالنسبة لي بسبب مقاومة رجال التعليم والحزب لذلك مثلاً. . . البعض من الزملاء انتقدني لأنني أدخلت بعض الطلاب الى مجلس ادارة الجامعة وهو أمر يحدث الآن بصفة عادية. وربما ما دعيت الى الوزارة وطلب مني أن أعضو العمداء الذي عيّنهم بزملاء آخرين. وقد رفضت هذا الاقتراح، وهذا بتقدم استقالي اذا ما أصرت الوزارة على ذلك. وهذا ما تم بالفعل. في شهر فبراير ١٩٣٤ استقلت، وكان هذا بعد عشرة شهور من بدء مهامي كرئيس للجامعة. وقد صممت الصحافة الألمانية والأجنبية عن هذا الامر بينما كانت أعلنت عن تعييني بشي من الضجة.

شيفيل: هل تغيرت علاقتك بالقوميين الاشتراكيين بعد استقالتك من رئاسة الجامعة؟

هايدر: بعد استقالي انحصرت على القيام بعمل كاستاذ. وخلال فصل صيف ١٩٣٤، قدمت درسا في المنطق. وفي الفصل الثاني ١٩٣٤-١٩٣٥، درسا حول هولدرلين (Hölderlin) وفي سنة ١٩٣٦ شرعت في دروسي حول نيتشه. والذين كانت لهم قدرة على الاستماع فهموا أن ماقالت في تلك الدروس كان موجها للقومية الاشتراكية. **شيفيل:** كيف تمت عملية تنصيب الرئيس الجديد؟ هل حضرت الحفل؟

هايدر: رفضت حضور الحفل الرسمي.

شيفيل: هل كان الرئيس الجديد عضوا في الحزب؟ **هايدر:** كان رجل قانون. وجرينة الحزب Der Alemenne أعلنت عن تسميته رئيسا بعنوان كبير: «أول رئيس جامعة قومي اشتراكي».

شيفيل: كيف تصرف الحزب معك؟

هايدر: كنت دائما تحت المراقبة.

والتي جاء فيها: «إذا ما تقدم هذا البحث خطوات الى الأمام في مجال دراسة الأشياء ذاتها، فإن المؤلف يتقدم بالشكر الى هوسرل الذي ساعده على تطويع موضوعه خلال سنوات الدراسة في فرايبورغ وذلك بفضل حسن توجيهه وقوة انتباهه الى الاحوال المتعلقة بالفيزيولوجيا والتي لم تجد الفرصة لكي تشره.

شيفيل: الآن لا فائدة في أن نساكلك هل أنت حقاً منعت الاستاذ الشرفي هوسرل من الدخول الى مكتبة الجامعة وإلى مكتبة منتدى الفلسفة عندما كنت رئيسا للجامعة.

هايدر: انها تنمية وخصامة.

شيفيل: ولا توجد ايضا رسالة يوجد فيها مثل هذا المنع؟ كيف رجّحت مثل هذه التهمة؟

هايدر: لست أدري. . . ولا أجد تفسيراً لذلك. وأستطيع أن أبين لكم استحالة مثل هذه التهمة بذكر حدث ليس معروفاً هو ايضاً. عندما كنت رئيسا للجامعة أقالته وزارة التعليم أستاذين يهوديين من مناصبها. الأول هو فون هاوزر الذي حاز بعد ذلك على جائزة نوبل. . . والذي كان في ذلك الوقت استاذاً للطب ومديراً للمستشفى الجامعي. والشاني فون فيفي وهو استاذ للفيزياء والكيمياء. ولكني استلمت أن أعيدما الى مناصبها بفضل اتصالات قمت بها شخصياً داخل الوزارة. أن أقوم بمثل هذا العمل، وفي نفس الوقت أنصرفت مع هوسرل الذي كان متفاداً في تلك الأونة، والذي كان استاذي وعلمي بمثل هذا التصرف، هذا غير معقول تماماً! ثم اني منعت ايضاً مظاهرة كان يريد الطلبة وبعض الاساتذة تنظيمها ضد الاستاذ فون هاوزر. في ذلك الوقت كان هناك مايسمى بـ «Privatdozenten» (أي الاساتذة بلا كرسي) الذين تجاوزوا الحد وكانوا يفسلون: «انها لفرضه لكي نتقدم الى الامام». وعندما اتصلوا بي طردتهم.

شيفيل: أنت لم تحضر دفن هوسرل.

هايدر: أريد أن أقول ان التهمة التي تقول بانى انا الذي سميت الى قطع علاقتي بهوسرل ليس لها أي اساس من الصحة. لقد كنت زرجي في ايار/ مايو ١٩٣٣ رسالة الى السيدة هوسرل باسمنا وذكرت فيها اعترافنا لها الدائم بالجميل. وأرسلت هذه الرسالة مرفوقة بباقة زهور الى هوسرل. وقد ردت السيدة هوسرل باختصار شديد. وأعلمتنا ان العلاقة بين العائلتين قد انتهت. ان كنت تقاسمت عن التعبير عن اعترائي بالجميل وعن احترامي وتقديري خلال مرض وسوت هوسرل، فهذا خطأ انساني. . . وقد اعتذرت عن ذلك أمام السيدة هوسرل في رسالة أرسلتها لها. . .



كارل ماركس (١٩٣٢)

التعليم في الرايخ وبعد ذلك جامعتي دعوة من برلين تطلب مني الالتحاق بالولفد فرقتنها . وقد بيعت نصوص المحاضرتين وما هي الملتافزيقا؟ ، وجوهر الحقيقة خفية ودونيا خلاف . وقد سحب خطابي الذي لقيته أثناء تنصبي رئيساً ، من المكتبات بعد سنة ١٩٣٤ بأمر من الحزب .

شيبغل : ثم تدهورت الأوضاع بعد ذلك؟

هايدغر : في السنة الأخيرة من الحرب اعفي خسبائية من أهم العلماء والفنانين من الخدمة العسكرية . ولم أكن أنا من ينهم بل بالعكس دعيت خلال صيف ١٩٤٤ للقيام بأعمال تحصين على غر والراين .

شيبغل : كان كارل بارت (Karl Barth) يقوم بالتحصين على الضفة الأخرى ، الضفة السويسرية .

هايدغر : الطريقة التي تمت بها الأحداث كانت هامة . دعا رئيس الجامعة كل الجهاز التعليمي وألقى خطاباً قصيراً عتراه مابلي : أن الاجراءات التي اتخذها مواقف عليها من طرف الأجهزة العليا ، ومن طرف الحزب القومي الاشتراكي . وهو سيقسم الجهاز التعليمي الى ثلاث مجموعات أولاً مجموعة لا يمكن الاستغناء عنها ، ثانياً مجموعة يمكن ولا يمكن الاستغناء عنها . ثالثاً مجموعة يمكن الاستغناء عنها تماماً . وكان في رأس قائمة من يمكن الاستغناء عنهم هايدغر وريتار وخلال فصل شتاء ١٩٤٤-١٩٤٥ ، بعد انتهاء أعمال التحصين على غر والراين ، قدمت درسا بعنوان : « الشعر والفكر » (Dichten und Denken) . وكان تكلمة لدرسي حول نيتشه اي انه توضيح لموقعي من القومية الاشتراكية . وبعد الدرس الثاني جندت في الميشتيا الشعبية (Volksturm) وكنت أكبر سناً من كل المجندين من الجهاز العلمي ا

شيبغل : وكنت على علم بذلك؟

هايدغر : نعم : قضية الدكتور هانكه (Hankel) .

شيبغل : كيف لاحظت ذلك؟

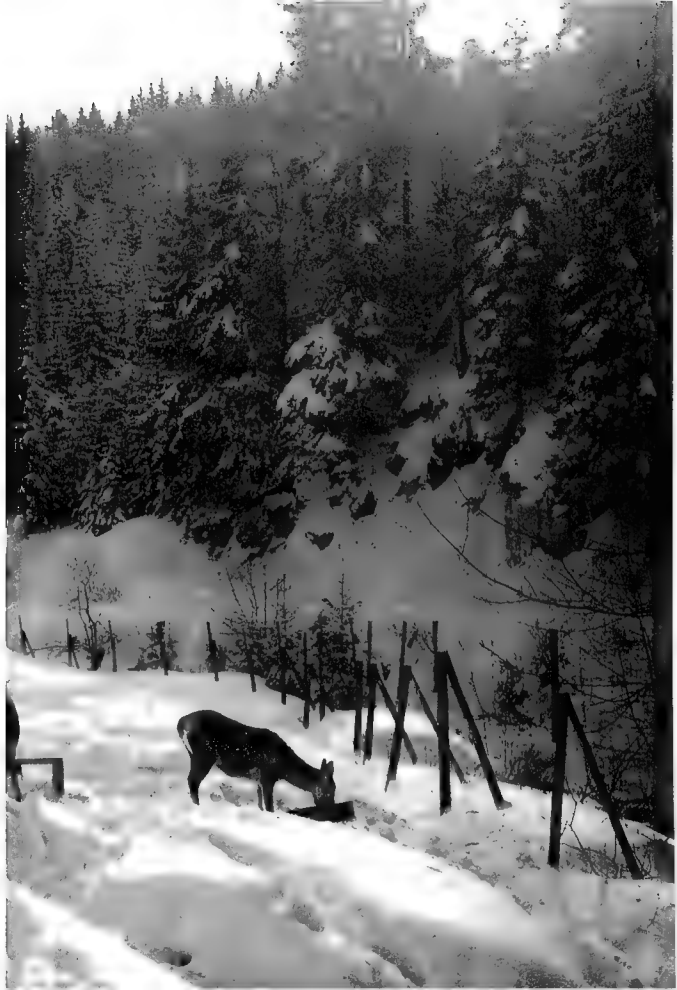
هايدغر : لقد جاء لزيارتي بعد أن تقدم لمناظرة الدكتوراه خلال فصل الشتاء ١٩٣٦-١٩٣٧ وساهم في المنتدى الأعلى الذي أشرفت عليه خلال صيف ١٩٣٧ . لقد أرسلته المخابرات لمراقبتي .

شيبغل : ولماذا جاء فجأة لزيارتك؟

هايدغر : بسبب الندوة التي خصصتها لنيتشه خلال فصل صيف ١٩٣٧ وقد اعترف لي بعد اطلاعه على الطريقة التي كان يجري بها العمل ، أنه لا يستطيع القيام بمهمة المراقبة وأنه أراد أن يعلمني بذلك حتى أتمكن من معرفة مايمكن أن يحدث في لي المستقبل .

شيبغل : كان الحزب يراقبك بشدة إذن؟

هايدغر : كنت أعرف أنه ممنوع الكلام حول كتيبي . . . مثلاً حول الدراسة التي قمت بها عن نظرية أفلاطون في المعرفة . وقد هاجمت مجلة الشبيبة المظلمة بخصاسة كبيرة محاضرتي عن هولدرلين التي لقيتها خلال ربيع ١٩٣٦ بالمعهد الألماني بروما . والذين يمههم الأمر يستطيعون العودة الى مجلة اريك كرييك (Volkim Werden) لكي يقرأوا الهجوم الذي شن ضدي ابتداءً من صيف ١٩٣٤ . وقد رفضت الحكومة الألمانية إرسال حضور المؤتمر العالمي للفلسفة الذي انعقد ببرايغ سنة ١٩٣٤ . كما أنني لم أحضر المؤتمر العالمي الخاص بديكارت الذي انعقد ببريس سنة ١٩٣٧ . وقد استغريت لجنة المؤتمر ببريس غيابي فأرسلت لي عن طريق الأستاذ بريبياتي أستاذ الفلسفة بجامعة السربون لتستوضحني الأمر ، ولتفهم الأسباب التي جعلتني لا أكون ضمن الوفد الألماني . وفي جوابي طلبت من لجنة المؤتمر أن تستوضح الأمر لدى وزارة





حيوانات
في
والغابة السوداء.

حياتي

فريدريك نيتشه (*)

خلال القصور والقلاع القديمة والناس وأهلي واصدقائي. ثم جاء وقت الدخول الى المعهد. وجاءت معه مصالح وجهود جديدة. وفي هذه الفترة بالذات ولد حبي للموسيقى برغم أن الدروس الأولى كادت أن تخنقه في المهد. ذلك أن معلمي الأول كان مصابا بكل العيوب الممكنة في هذا المجال. وكان فوق ذلك معليا شريفا دونيا مواهب خاصة.

ولمكنت ببساطة وبانتظام من الوصول الى الصف الثالث. وكان الوقت قد حان للانفصال عن العالم الامومي وللانصراف اخيرا عن حركته العادية والخالية بصفة تدعو لياس من أي معنى عملي. ومن الاكيد ان حكمة القواميس كانت في داخلي، ومن أن كل الميول المحتملة كانت قد استيقظت في، ذلك اني بدأت اكتب قصائد ومسرحيات سوداء ومضجرة الى حد الموت، كما انهكت نفسي لكي انظم مقطوعات سمفونية كاملة. واستطعت أن اتمائل مع فكرة كانت تهمس لي بأنه علي أن امتلك عليا وفنا كونين الى درجة اني اصبحت مهتدا بخطر السقوط الحقيقي في هاوية الهذيان والحيرة. وللخلاص من ذلك الخطر، كان علي أن اسجل نفسي في القسم الداخلي لمعهد «بفورتا» (Plösa) لمدة ست سنوات، حتى اتمكن من تجميع قواي ومن توجيهها نحو اهداف صلبة. لم اكمل بعد الست سنوات، ولكني رغم ذلك استطعت ان المس النتائج التي حصلت عليها خلال السنوات التي انقضت، ذلك اني احس تأثريا علي كل ما اقوم به حاليا.

وهكذا يمكنني ان اقي على كل ما حدث لي، سواء كان فاجعة أو فرحا. نظرة اعتراف بالجميل. لقد قادني الاحداث الى حد هذا الوقت كطفل. وربما حان الوقت الآن لكي امسك بناصية الاحداث، واخطو الخطوة التي تقضي بي الى الحياة. واعتقد ان الانسان يتطور بفضل كل ما كان في الماضي يحاصره ويحيط به. ليس علي أن يفك القيود. ومن غير المتوقع ان هذه القيود تسقط وحدها اذا ما أمر اله بذلك. ابن الحلقة النهائية التي لاتزال تعانقه؟ هل هي العالم؟ هل هي الله؟

(*) كتب نيتشه هذا النص في مطلع شبابه، يستعيد فيه بدايات تكوينه (الترجمة).

على طول الطريق الكبير الذي يربط بين «فايسنفلس» (Weissenfels) و«لايبزيغ» (Leipzig) مروراً بـ «لوتسن» (Lützen) تمتد قرية «روكين» (Röcken) وهي محاطة من كل النواحي بأشجار الصفصاف، والحسور والدردار المنقرضة، بحيث أنه من بعيد وحدها المداخلن العالية والقلمة القديمة للكنيسة يمكنها ان تنظر فوق القمم المحضراء. داخل القرية تمتد مستنقعات كبيرة الى حد ما، تفصل بينها قطع من الأرض. وحول ذلك حقول خضيرة واشجار صفصاف ضخمة. وفي مكان أكثر علواً يوجد بيت القس والكنيسة. والبيت محاط بالحدائق والبساتين. وقرى من ذلك تمتد المنقرضة للملونة بالصليبين وبالقبور نصف المهذمة. وبيت القس نفسه مظلل بالاغصان العريضة لسنطاط جميلة القامة. هناك ولدت في ١٥ أكتوبر/ تشرين الثاني ١٨٤٤، وهناك سميت «فريدريك فيلهلم». الحدث الأول الذي هز وعي وهويتا ببساطة هو مرض أبي. وكان رخصة الدماغ. الآلة التي كانت تزداد حدة يوما بعد يوم، وفقدانه القاسي لبصره، وشبهه الشديد النحول، ودموع أبي، والهيئة القلقة والمهمومة للطييب، واخيرا كلمات اهالي القرية الطائشة، كل هذا جعلني احس باقتراب المأساة. وهذا ما تم. ومات أبي ولم يكن عمري آنذاك يتجاوز الرابعة.

بعد أشهر فقدت أخي الوحيد. وقد كان طفلا مليئا بالحياة وبالمواهب. وفجأة أصيب بالشلل ومات بسرعة. وكان علينا في مثل هذه الحالة ان نغادر القرية. وفي مساء آخر يوم، لعبت مع اطفال كثيرين، ثم ودعتهم كما ودعت كل تلك الاماكن العزيزة علي. لم يكن باستطاعتي أن انام. ومتقلبا في فراشي دونيا توقف، قررت ان انمض أخيرا عند منتصف الليل. في الباحة كانت هناك عربات واقفة وعليها حيلة ثقيلة. وثمة ضوء خافت لفانوس كان يضيء الاركاب وحلما بدأ البهار يطلع، قرنت الخيول. وانطلقنا في ضباب الصباح باتجاه هذنا: «نومبورغ» (Naumburg). وبعد أن تحوّرت قليلا، حصلت نفسي على شيء من الحيرة ولكن دون ان انفصل عن عناد الطفل غير المستبر الذي كنت، وبدأت حال وصرولنا أتألف مع الحياة ومع الكتب. وهناك تعلمت كيف احب الطبيعة من خلال الجبال الرائعة والودية المحفورة بالانهار، ومن



مەن ئەسەرە ئالى ەلەمەن : لوتەلەلەس سەلەمە
فریدریک نیشە وەلەل رەل (Paul Fée) .

نيتشه والضوء

بياتريس كومونجي

النوم يظل بعيداً. ولا يأتيه. عندئذ يضع في كوب قطرات من الكلورال، ويهلهو يفرق في اللاوعي.

في الصباح لا يكون السماء أكثر صفاء من اليوم السابق. شيء يملأ النفس غمًا وبأساً ومع ذلك، يرتفع وراء الغندق جبل «الليغرو» (Allegro) أي الجبل الفرح، وفيه بشر أمل. ألم يعثر في «جنوة» خلال السنة التي مضت على سر (la geyra) (المعرفة الفرحة)؟ لم ينس شيئاً. وبرغم البرد يواصل التجوال؟ وما هو يتقدم برغم الصمت الجاثم ثقيلًا كما الموت. لقد اختار أن يعيش، بعصاه، ينطلق تحت الرذاذ في المسرب المألوي إلى «زاغلي». في الأفق تنكح السحب وتتجمع. ولا أمل في انفراج. ومع ذلك يواصل نيتشه السير. الطريق يشرف على البحر. وهو يمشي متجنباً البرك. ولا لون واحد لكي يبهج تجواله. الطبيعة، مثله تنظر الشمس لكي تزه. أشجار الصنوبر المغروسة على المحضاب ترسم أشكالاً سوداء في السماء، وأشجار الزيتون تلوح رمادية كما القطر. وهو وحيد في الطريق، ويسير بخطى سريعة رغم الوحل الذي يصير الأرض زلقة في بعض الأماكن. الحركة خلاص وهو يسلم نفسه لنغمها. صداد الليل كف قماما. وما هو يسير كما لو أنه تخلص من عبء قتل. في أسفل الطريق يبدو البحر مضطرباً. ولا مركب واحد. ولا سراع في الأفق. كل شيء يتداخل في المشهد الرمادي. والأشجار فقدت أسماها. أشجار الصنوبر والزند، والأروكارية تبدو كما لو أنها واحدة، بلون أخضر يميل إلى السوداء. ورغم ذلك يتوقف المطر، ويصبح السراكر سهولة. ويصعب الجسد أن فرحه يتزايد كلما ازداد الجودقاً. والأفكار التي ظلت إلى تلك اللحظة مكبلة وبعمدة، أخذت تستيقظ.

حولته، لم يعد الصمت غميساً. منذ ساعة وهو يسير. ولا ضجيج غير ضجيج الأمواج التي تصطدم بالصخور. وهو لا يرغب في سماع ذلك لأنه يذكره بآليات الطويلة والسبوة. ويغف نيتشه خطاه كما لو أنه يريد أن يتأكد من أن جسده في حالة جيدة «جولات طويلة، نمط حياة بسيط إلى أبعد حدود البساطة، استراحة في الهواء الطلق، اتعاب مواصله، البيت هذه هي الوسائل التي كان القيصر يستخدمها لكي يجتني من الأمراض؟» ارهاق الجسد بهدف تحرير الفكر: هذا ما كان يبغيه من خلال جولاته. غير أن هذه تبلغو كرافية، بالإضافة إلى انعدام الضوء. هو يرغب في أن تتخلص السماء من ضوء النهار الكافي. في رأسه، تسابق الأفكار. ومع ذلك تظل غير قادرة على تشكيل

نحن بحاجة إلى الجنوب. وبأي ثمن. نحن بحاجة إلى نبات صافية، بريئة، فرحة ورقية» (نيتشه)

مقدمة: خلال السنوات التي سبقت انهيار عقله المتفوق، كان نيتشه يشككي دائماً من العتمة، ومن تساوة «برد الشتاء الألماني الطويل». وكان به حين عثيف إلى الضوء، هناك على ضفاف المتوسط. وهكذا قطع جبال «الالب» بأطراف إيطاليا وجنوب فرنسا بحثاً عن «الحلاص» وعن «حررات أكثر سموًا». ورحلاً غمرته شمس الجنوب بضوئها الساطع، شعر نيتشه أنه تحرر وإلى الأبد من «العقلانية الجبرمانية للتصلية والصرامة»، وأيضاً من المسيحية وقبورها وأخلاقيها. وهكذا يمضي متتبها بالضوء بأطراف «الحياة المتوهجة والسليمة». في المسرب الذي يجاذي بحيرة «سيلغابلانا»، في «سلس ماريه»، يتوقف نيتشه فجأة: من عتمة عينيه للمتعبين، من تعب لثاليه البيضاء، من أوجاع الصراخ، ومن تجواله الطويل في البرد أوفى النور، ما يولد «زارا دشت» الرافض. ويمتد ذلك الحين يظل ملازماً له. وهو يرافقه من «سيلس» إلى «جنوة»، ومن «جنوة» إلى «نيس»، بحثاً عن سماء أشد صفاء، وعن هواء أكثر نقاءة.

وهذا الفصل الذي اختارته بعنوان «نيتشه والضوء» مأخوذ من كتاب «قصص نيتشه» لـ «بياتريس كومونجي» (Beatrice Commenge) (ولدت بالجزائر عام ١٩٤٩)، والتي تصف فيه بأسلوب شاعري عذب سنوات نيتشه الضوئية. وقد صدر الكتاب المذكور عن دار «غاليلاي» بإباريس في أواخر عام ١٩٨٨:

تري لم كان ذلك الحريف، خريف عام ١٨٨٢، فصلاً شديد الوحشة والرطوبة هناك على شواطئ «الشرق» أين ذهب الضوء؟ ولم كان الهواء بارداً. والأطمار أيضاً؟ منذ أسابيع ونيتشه ينظر الشمس. يوم ٢٣ نوفمبر/ تشرين الثاني، غادر نيتشه «جنوة» ليستقري في «إبالو» (Rapallo) و«زواغلي» (Zoglio) هناك وفي فندق صغير اسمه (Albergo della Posta) اثر على غرفة بمدة، ويشرفه تطل على البحر. النار التي يؤقدونها كل ليلة تمنحه وهم القليل من الحرارة. من فراشه، يسمع الأمواج في الليل. ليل دونها نجم. ودونها قمر. ووحيداً، يحلم بمرتفعات المكسيك، بضوئها، وبطقسها، الذين يمكنها أن يعيدوا إليه الصحة التي فقدتها. وكل يوم كان يسير على أمل أن يستعيد قدرته على نوم أفضل. غير أن

الحلقة المكتملة. هل وثب؟ هل رقص؟ هل صرخ في الصمت: وجنوبٌ وأبدية... لا. لقد انبهرت أنفاسه، فلم يستطع. انبهرت بسبب الرؤيا، وبسبب استمراب فكرة جديدة سوف تغير حياته. وهماوغيراً آخرها، وهماوستعطي الزمان لكي يمضي الي الأبدية. لقد أحس أنه سعيد بأنه عاش حياته مكتملة، وأنه تألم في قلبه وفي جسده خاصة: اليس جسده هو الذي كشف له أن الطريق دائماً ليس هو الذي، بأمراضه المتواصلة، أجبه على الابتعاد عن الناس، وعلى أن يصبح منذ ستين فيلسوفاً تائه، مطروداً من «بازل» كما «أمبيدوقليس» (Empedocles) من «أغريجانت» (Agrigento)؟ اليس جسده هو الذي يحس أنه تحرر هناك تحت شمس الصيف على ارتفاع ٦٠٠٠ ألف قدم فوق الاشياء البشرية؟ الأبدية ليست المأوى. الأبدية هي حياتنا، هنا والآن. هالعاليم يكتمل لأول مرة، ويبدو مملوفاً وناسجاً كما لو أنه كان في زمن آخر، وكما لو أنه سوف يكون من جديد. ليس المقصود أن نعرف واثناً أن نعيش. علينا أن نقول ونعم: للعالم، «نعم» للغرض، نعم للعافية. من سيكون رسول العود الأبدى؟ من يتمكن من أن يحمي للإنسان مثله الأعلى الأكثر وضرة وحسية، والأشد توافقاً مع الكون والذي لم يتعلم فقط أن يرضى بما كان ريباً هو كائن، ولكنه يريد أن يرى من جديد الاشياء كما كانت وكما هي، وإلى الأبد؟»

في طريق «زراغلي»، يظل الجنوب لاسرئياً. وفي ضباب ديسمبر البارد الذي يبلع الجسد حتى يلاص العظام، لا يلبغ الشمس السمت. ليس باستطاعته أن يجلس فوق جلع تينة بسبب البرد. وبسبب البرد أيضاً لم يكن قادراً على اخراج قلمه: يده زرقاوان. ومن جديد يعاود السير. الساعة تشير إلى منتصف النهار. وهي لا يزال يسير. يسير ويكتب في رأسه. وهو الآن يحس أنه أكثر اقداً وسجراً. وهماو يجتاز الغابة متجهاً إلى «رايالو». احياناً تتدحرج صخرة تحت رجله، فيفقد توازنه للحظة. المطر كفت عن النزول. غران الأرض غلّت رطبة بسبب الامطار الاخيرة التي لم تنقطع خلال الخريف. في طريقه، لا يلتقي أحداً. وهو وحيد مع «السبا» الصامتة لشتاء ينذر بالثلوج. وحيد كما هيراقليس الذي لجأ إلى الجبل لكي يتأمل ويفكر. وحيد كما فيلوكتس (Philoctetes) الذي لدغه ثعبان واهله قومه في جزيرة مقفرة. وحيد كبريتيوس فوق صخرته. وحيد كامبيدوقليس في طرق المنى. وفي تلك المحطات يتذكر كليات فيلسوف «أغريجانت»: من قمته إلى قمته، وثبت. خطايي لا يجب أن يتبع طريقاً واحداً. أم أنه يحفظ في ذاكرته بصورة الرسول «زارادشت»، أب الاخلاق وأله الشر والخير، والذي ينهي بها كتابه الأخير: «المعرفة الفرحة؟ وهكذا تتطابق الأقنعة لكن دون أن نلاحظه. منذ ثمانية عشر شهراً وهو يتظنر من يستطيع أن يقول «نعم» وهو رقص، ومن بإمكانه أن يحول الكلمات إلى أنغام وإلى الحان، ومن يتمكن من أن يضحك ومن أن يكون سعيداً، ومن يعيش في هواه التي تغفلت النقي، وفي كل يوم يولد من جديد مع الشمس. وحيداً، يتناول غذاءه في

النص. هو هناك منذ شهر غير أنه لم يتمكن من كتابة جملة واحدة. الملاحظات تراكب كل كل لياتين. يعضاوين. السبا الرمادية ليست وحدها المذنبة. ولا البرد. ولا ألوجاح الملعدة: ثمة وجه روسية بلا حقه. وجه «لويسالوي» التي التقعا في روما في الربيع. للحظة اعتقد أن ملاكاً أرسل اليه لكي يريحه من واثقال الوحدة والألم. معاً ذهبوا إلى «اورتا» (Orta) على ضفاف البحيرة وتحولوا فوق «الجبل المقدس» (Sacro Monte). ثم ذلك في مايو/ أيار في عتب أولى أزهار العسل. لقد صعدا إلى الهضبة، وسارا في الطريق الظليل، المحفوف بالفتنة، والذي يمضي باتجاه الكنائس، هناك وراء المقبرة. وقادتها يد غمراء مرسومة على الجدران من كنيسة إلى أخرى. كانت هناك عشرين كنيسة. وكان يتمنى أن يرى الفأ منها. وعلى القمة، أمام كنيسة «سان نيقولا» (San Nicola) توقفاً لكي يتأملوا جزيرة «سان جيولييو» (San Giulio)، جزيرة غريبة الموضع وسط البحيرة، جذ قريبة لكنها مع ذلك تبدو جذ نائية ولا سيال إلى الوصول إليها. وقد قال لها حزيناً: «وأنه أروع حلم في حياتي». وصدقته «ساليو». غير أنه كان يرغب في أكثر من ذلك. كان يريد الا تغافره. أمّا هي فكانت ترفض الزواج. ومع ذلك أمضيا معاً ثلاثة أسابيع، خلال أشهر أغسطس / آب، في «توتنبورغ» (Tautenburg)، في رعاية أخته «اليزابيث». كان يعتقد أنه عثر على «وريشته». أما كان ذلك وهماً؟

من المسرب، لمح نيتشه قرية «زراغلي» الصغيرة، الحدود الجنوبية لمملكته. أبداً لم يمضي إلى موارم ذلك. انها المسافة التي تلامم، مثلاً بد له، مع قواه المحدودة، قوى التماثل للشقاء أبداً. أمّا ولو فهي خطأ. خطوة خاطئة في طريق الناسك. لا ينبغي أن يحيد الناسك عن طريقه: عليه أن يظل وحيداً إذا ما أراد أن يخلف. تحته كان البحر بلون الزيتون الغضبي. الهواء شديد البرد بحيث لا يسمح بالوقوف. أين ضوء «اورتا»؟ ومتى يعاد اليه؟ ومتى يسبح ذلك الولد الذي يحمله في داخله منذ ثمانية عشر شهراً تماماً مثل «فيل من جنس الاناث»؟

كان ذلك في أغسطس / آب ١٨٨١، في «سيلس ماريا» وفي يوم كان يتجول فيه «على بعد ستة آلاف قدم من الانسان ومن الزمن». كان يسير منذ الصباح وحيداً في «رايالو»، كما هو اليوم. وكاد يصل إلى «سورلاج» (Surlej) على الناحية الأخرى من البحيرة، بحيرة زرقاء كسياه الصيف. وكان يسمع صبحج تيار يتدفق على منحدر الجبل بين أشجار الصنوبر والأرز. على ضفاف الماء، وعلى يساره تنتصب صخرة في شكل هرم، مراملها العديد من المرات دون أن يراها. كانت الشمس تغرب والهواء بدا نقياً. ولرأغض عينيه، لتصور نفسه فوق مرتفعات المكسيك، على ضفاف المحيط الهادئ، في «اواكساكا» (Oaxaca)، مثلاً، أوفي مكان آخر عال، هناك حيث ينخلص الانسان من بلاءة الذهن ونقله، هناك حيث يمكنه أخيراً أن يرقص!

غير أن نيتشه لم يغض عينيه. بل بالعكس. ولسوكان باستطاعته لتحول بأكماله إلى عين حتى يحفظ بكل تفاصيل تلك



فريدريك نيشه

على موقد. وطريق -بورتوفينو- تعد صالحة للسير. وفي الليل يشتد صخب الأمواج إلى درجة أنه لايمكن من النوم بالرغم من الأقراص. غير أنه يصمد مع ذلك: «إلى الأمام، ودائمًا باتجاه الأماكن الأشد علوًا» يكتب لصديقه بيتر غاست (Peter Gast) يوم ١٠ يناير. الأرض والحياة لا تختملان إلا شريطة أن يرتفع، ويعبر طائرنا منحرفًا باتجاه الشمال، وحده الله راقص يمكنه أن ينجز هذه المعجزة. وهو يبحث عنه!

إذن هو ينتظر. بصبر وبيقين. وهو يعرف أن الحرية تكفي بالوحدة. ويتأسس يبحث عن «سرّ الكيمياء» الذي يساعده على تحويل هذا الطين إلى ذهب. وخلال الليل والنهار، يعلم جدًا الذهب، الذي لا يزال دون اسم، والذي ربما ليس له سوى اسم واحد وهو «زارادشت»، اسم هس له به في شهر يناير «المقدس» عام ١٨٨٢: لماذا لا يعب على السررسول الفارسي، مكتشف الاختلاق «هذا الحلق المهلك»، سوف يجيبه كرسول وليس كفيلسوف. سوف يجيبه بشيّد أو بقصيد أو برقصة. الموسيقي أولًا، ثم الكلمات. والكسل يعبر عن رقصة الحياة، وعن «نعم» الكبرى. توازن بين الشيد، وبين القصيدة والرقصة. تمامًا مثلًا في التراجييدا الاغريقية.

خلال جولته الرعادية على ضفاف خليج «سانتا مارغريتا» هل كان يعلم بالضوء الأزرق لجزيرة اغريقية؟ ها قد بلغ الثامنة والثلاثين من العمر. أنه في سنّ النضج. سن «أميدوفليس» لما غادر اغريجانت، مسقط رأسه، وبدأ حياته الجديدة، حياة الرسول الناشئ. احتمالًا لاشيء تعبر بالنسبة لنيشته منذ صيف ١٨٧٠ حين كتب: «الرؤية الدينيّة للعالم» الذي أصبح بعد عامين: «موسل التراجييدا الاغريقية». وفي شهر يناير من عام ١٨٨٢ بإمكانه أن يعيد كتابة الأسطر التالية: «هذه الأناشيد، وهذه الرقصات، يظهر الإنسان أنه عضو لمجموعة متفوّقة. إنه ينسئ السير والتأهب لكي يطير في السهارات وهو يرقص». ثم ذات صباح، لا يمكن من التعرف على ما يحيط به الضوء أبيض الألوان. والبحر لم يعد له اللون القضي لأشجار الزيتون. إنه أزرق مثلًا هو في الأحلام وتزداد زرقته عمقا كلما انطلقت نظراته باتجاه الأفق. الطريق جفّ. والسير أصبح فيه سهلا. واشجار اليموزا التي كانت حين ميتة تفتحت، وتبرجت عن باقات بلون الذهب. يناير المقدس. أيام نقيّة وهادئة. وهما الكلمات تراقص من جديد تحت الظلم: «حين بلغ زارادشت ثلاثين سنة من العمر، غادر وطنه وبحيرة «اورمي» واتجه إلى الجبل. وحده اسم البحيرة اختفى. ولا يكتب نيشته سيرة ما. إن زارادشت ليس سوى قناع. نظرة باتجاه الشرق. إنه لا يريد أن يعيد الحياة للرسول «المسيح» الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد وأتيا هو يريد أن يعيث للحياة «نجمه اراقصة».

منذ أمه بعيد، ونيشته يسر. منذ ذلك الانفراج، وهو يعمل في الصبح بعض الأوراق، وقليلًا، وسادرا ما يعمل كتابًا. في منتصف النهار، حين تشتد حرارة الشمس، يتمسّد للحظة،

معظم الفندق. وأحيانًا حين تشتد الأم رأسه، يطلب طعامًا بسيطًا ويمسك في غرفته. في الظهيرة يقوده تجواله على طول خليج «سانتا مارغريتا» (Santa Margherita). نخل الشاطئ يساعده على أن يجلم بسهاء الشرق، بعيدا عن «أوروبا اللعنة والضبابية والأرطية والحزينة». وحالما يجاز آخريوت «سانتا مارغريتا» يجد نيشته نفسه وحيدًا في الطريق. الأرض مسبطة والسير أكثر يسرًا مما هو في طريق «زراغلي». والخطوات تنقب تساعده على التأمل والتفكير. ولولا الليل المباحث لكان واصل استكشاف مملكته. وهو بالكاد يجد الوقت لكي يصل إلى قرية «بورتوفينو» الصغيرة. بيوتها الصفراء والخمراء والتي تبدو وكأنها تستند بعضها إلى بعضها كالأطفال، ويتأمل بعض الصيادين وهم يفتحون شبكهم. وبعد ذلك يواصل السير في الطريق الذي ازداد عتمة. رذاذ دقيق يأخذ في النزول. وهما ويبحث الخطى للوصول إلى غرفته والجلوس بالقرب من المدفأة الصغيرة. بالرغم من أنه يشعر أن هناك ليلة بيضاء في انتظاره. في مثل ذلك الفصل تكون الليالي طويلة. طويلة إلى درجة أنها لا تكاد تنتهي، غير أنه يصمد.

إنه يصمد أمام كل شيء. أمام البرد، والوحدة، والألم، والياس. ويهترأ بالأحاسيس والمشاغرة يكتب إلى «لوة رسائل لن يرسلها أبدًا». يحاول أن يصف لها حالته: «كل يوم أشعر بالياس حين أسأل نفسي كيف باستطاعتي أن أعيشه. أنا لا أنام أبدًا. ماذا ترى يجدي السيرة لثاني مساحت في اليوم [...] منوًا على شيء من الجليد». كل مساء، يرف قليلًا في كبة الأقراص المنومة على أمل ألا يستيقظ أبدًا. غير أن جزءًا منه لا يكتف عن الصراع، وعن عجة الصراع. ذلك أن الصراع هو انتظار، وفترة حاض يجدها: «وحالة الخاض هذه هي الوحدة أساسًا لكي تعيد علاقتك بالحياة من جديد!». أعيد الميلاد وهو صامد. لاشيء ينبت عن عزمه. المرض وسيلة أخرى لمعرفة الحياة ودراستها. وربما يكون الوسيلة الأفضل لأنه يمر عبر الجسد. من دونه، هل كان باستطاعته أن يدرك معنى «العافية» وفي مساء تلك الليلة الأولى من عام ١٨٨٢، يكتب لصديقه «أوفر بك» (Overbeck): «وماذا سجدحت الآن؟ إن تجاوز نفسي في الحقيقة، هو أكبر فتوة بالنسبة لي: وأنا أفكر هذه الأيام في حياتي، قلت في نفسي أني لم أفضل شيئًا آخر إلا حدّ الآن». قلّني أذن العام الجديد، وليكن ثريًا ما بالفرح وأما بالأم: المهّم أن نظل على قيد الحياة، وأن نستنفد كل قوانا.

الشقاء رفيق حزين. غير أن النور يستبصر. يكفي أن نذهب للبحث عن كل يوم في مكان أكثر علوًا، وأشدّ بعدًا. وتزداد وحدة نيشته وهو ينتظر أن تحرق شمس يناير السحب الكثيفة (Sanctus) «وأي أفكر هذه الأيام في حياتي، قلت في نفسي أني لم أفضل شيئًا آخر إلا حدّ الآن». قلّني أذن العام الجديد، وليكن ثريًا ما بالفرح وأما بالأم: المهّم أن نظل على قيد الحياة، وأن نستنفد كل قوانا.

في شهر يناير المقدس الذي شهد مولد: «المعرفة الفرحة». وتتحول قلمه إلى شاعر: «حازمة»، حرة زبّور. وماهي تخفي أحياناً عبر الحقول وأحياناً عبر الورق. «القلم يتحول إلى راقص! في الرقص، لا يرى الحركة. وهو يجهل جمال الأرابيسك، ويسخر من تذكّريه، ومن عوج قدم. لا. الرقص حياة. انه «نعم» للحياة. وإذا ما كان هناك جمال حقيقي فإنه يولد فقط من تناسق بين الجسد والفكر. في ضوء يناير حيث يمكننا أن نحسّ برائحة الربيع وهو يقرب بطيئاً ونحجلاً من خلال رعشات لا مريّة في الهواء، يحلم الشاعر بعالم فيه يعرف الناس كيف يظنون «أولياء للأرض» حين يقصون، ويكتشفون الحياة من جديد من خلال أجسادهم.

لم يولد «زارادشت» من خلال التحليل ولا من البرهنة، وإنما من لون السياه ومن صفاء الهواء. ولد من أرق هزم ومن صداع سيّطر عليه. ولد من الطرقات ومن المسارب، ومن اليأس في غرفة معتمة ذات يوم ممطر. ولد من برد شمس الضلّات، ويزرّق البليدين، ومن حرارة تؤزم الساقين: كل شيء لابد أن يمر من الجسد. وهو الوحيد الذي كشف الطريق.

ولكن كيف يكون «زارادشت» كاتباً آخر غير راقص؟ أبداً لا يمكن لفكر مجرد أن يكون منشداً للحياة! إذ من يعرف كيف يسمع صوت جسده، من يعرف كيف يسير، ومن يعرف كيف «يكون من الطبيعة»؟ انه الراقص. الراقص وحده. من الذي يعرف كيف يكون في آن واحد من الأرض ومن السياه، وفي آن يكون حرّاً وخفيفاً؟ انه الراقص. من يعرف كيف يمتلك الموسيقى: الراقص. من يعرف الانتشاء والوجد: الراقص أيضاً. هل تمنح الحياة لنيته. زارادشت وقتاً كافياً لكي يتكلم مع البشر؟ هل تهديه مايكفي من الضوء، ومن البحر، ومن الجبل، ومن الطرقات المتوحدة حتى يرقص قدمه على الورق؟

لم يتبته نيته إلى أن الليل نزل فلما حين وصل إلى «إبالو». الفتن معتم تماماً. بالكاد يرى نوراً وراء النافذة. يجتاز البهو المظلم ويصعد مباشرة إلى غرفته. الكليات جاهزة. عشرة أيام كافية لكتابة الكتاب الأول. عشرون قصيدة بموسيقى مجهولة، تحفيز موجه إلى كل «معتصري الجسد». ألم يتعلم كل شيء من جسده الملهي؟ «الأم ليس حجة ضد الحياة أبداً». بل انه حين يمر ضحيته على أن تتجاوز نفسها، يساعد على أن ترتفع إلى الأعالي، وأن تعيش حلقة في الساعات تماماً كراقص. كالو حيّ.

ويغمض عينيه اللتين تكادان تكونان مريضتين بسبب قوة الضوء، ويكتب بعض كلمات أمثلها عليه الموسيقي المتدفقة في رأسه، وعضلاته التي ترغب في الرشوب. الجسد يساعد الفكر على أن يكشف نفسه: هذا هو درس الحياة العظيم. هذا هو أساساً درس المرض، والأوجاع المتتالية، والوحدة. هل علينا أن نمر بكل هذا لكي نكتشف معنى العافية؟

في طريق «بورتوفينو» لا يعرف نيتشه جيداً أن كان يرقص أو يغيّ أو يكتب. ترى هل عشر على الانسجام التام للموسيقى الأفرقية، أي على التوازن بين القصيدة والموسيقى والرقص؟ انه يرغب في أن تنفي جملة كما الموسيقى، وفي أن توقف كلماتها كما الرقص. طويلاً، يتوقف أمام صورة «صامته وكامته ترك نفسها تحمّل فوق البحر». كم من سنة أمضتها الريح لكي تقيم هذه الشجرة على الشاطئ؟ وحدها الشجرة تصمد. وفي كل عام، تنمي أغصانها الكبيرة. انها تحيا، وتكره وهي منتصبة على حافة الهلوة. في الظهيرة، يعاود نيتشه السير. خيران جسده يبدو كما لو أنه فقد الاتصال بالأرض. انه لا يرى مايراه الآخرون. انه «يجلّ في الساعات كالطائر». وهو محمول إلى البعيد وتقرصه آلاف الرعشات. ليس عقله هو الذي يتكلم وإنما جسده. وماهو يتهيا للرشوب، ولالرقص وللكتابة حتى يقدمه. يبطه ينزل نور المساء على «بورتوفينو». ويسير نيتشه حتى المنار، هناك وراء القرية، حيث يجده نفسه أمام المنظر العام خلّيج «إبالو» بأسره. بين اشجار الطقسوس والصنوبر، يلزم نيتشه دموع الفرح، كما في «سليس» أمام صخرته. انه يريد أن يثبت في ذاكرته الضوء والمشاهد التي أتته بالخلّاص. وفي مثل تلك الساعة يأخذ كل شيء لون البحر. حتى البحر. انه لم يعد لا فيلوكسات، لا أمبيدوقليس. انه ديونيسيوس (Dionysos) بكل بساطة، ديونيسيوس الذي أمثلته الالهة. وماهو يجتاز الأمل والعقل في آن واحد. اليس ذلك وجد الراقص؟ اليس هو الانتشاء؟ اليس هو صورة الفاجرة التي تخرج من نفسها لكي تنهب للقاء الرب؟ اليس هو الشبق المتوقّب؟

وماهو يعثر على الضوء، وعلى لون «زارادشت». ومن قبل امتلك الموسيقى. امتلكها منذ اشراق «سليس» - موسيقى على نمط النغبات الأولى للسفونية التاسعة لبيتهوفن: الموسيقي تنسق القصيدة. لقد أعاد ذلك أكثر من مرّة. ومنذ فترة طويلة، أي منذ تحليله للتراجيديا الأفرقية: الموسيقي بإمكانها أن تولد صورا. غير أن الصور ليس بإمكانها أبداً أن تولد موسيقى. في طريق «بورتوفينو»، يردّد الانغام الأولى في السفونية التاسعة لكي يساعد الكليات على الرقص. ويصبح سره خفيفاً، وسماوياً كما

مقاطع لنتيشه من «المعرفة الفرحة»

(١) سعادي

حين تعبت من البحث
تعلمت أن أقوم باكتشافات
منذ أن أصبحت الريح صاحبي
صرت أبحر مع كل ريح .



Ecce Homo (٤)

نعم أنا أعرف أصلي ومنشأني ونهبا كما الذهب
أتلّف نفسي متأنّجا
نورا يتحول كل شيء أسكّه
وفحيا كل ما أتركه
أكيد انني لخب!



(٢) جسارة

هناك حيث انت استبرأ بحث!
البيع في الاعاقا
دع اللؤماء يزعمون:
والجحيم يوجد دائما في الاعاقا! .



(٥) الحكيم يتكلم

غريب عن الشعب، ومع ذلك أنا مفيد ونافع له
أمشي في طريقي، مرة في الشمس
ومرة في السحاب وفي العتمة
ودائما فوق الشعب!



(٣) حوار

أ: هل كنت مريضا؟ هل شفيت؟
من كان طبيبي؟
هل أنا نسيت كل شيء؟
ب: الآن اعتقد أنك شفيت:
ذلك ان السليم هو الذي
بإستطاعته أن ينسى .



(٦) الكتابة بالقدم .

انا لا أكتب باليد فقط
قدمي هي أيضا تريد ان تكتب
حازمة وحرة وجسور
تشرع في الجري مرة عبر الحقول
ومرة عبر الورق .



حيرة الفلاسفة الجدد في فرنسا مغامرة مثيرة لفكر جديد: «الفلسفة في فرنسا»

فيلهلم شميدت

وهناك آخرون لم تتسلط الاضواء عليهم وهم اقل شهرة مثل: روجيه غارودي (Roger Garaudy) الذي اعتنق الاسلام أو رينيه جيرار (René Girard) الذي يقوم بتفسير الاناجيل أو إدغار موران (Edgar Morin) «البدوي» أو فيريلو (Virilio) «مفكر السرعة والاختفاء».

إن المرء ليرتكب هنا خطأ جوهرياً في اعتبار معضلة هذا الفكر أسمى منتهياً بمجرد ان تطلق عليه تسمية «دعوة اسواق الشرق»، انه الطراز الجديد لهذا الفكر الذي يُشرّ بتحول الفلسفة... فما هي الفلسفة اليوم؟ انها الانتباه الى اشكال الوجود الفريدة التي تزحف الى مركز الفكر... فالفلسفة غير موجودة حقاً بل إنها خيال الوجود الفلسفي في التفكير في الحديث وفي الصمت.

إن هدف كتاب يورغ ألثويغ (Jörg Althweg)، وأوريسل شميدت (Aurel Schmidt)، الذي يقدم عشرين صورة شخصية لبعض المفكرين الفرنسيين، هو تناول موضوع الحركة الفكرية الفرنسية (rive gauche) ومعالجته ببجدية... كتابها هذا هو عمل يستحق ان يكون موضوعاً للمناقشة، فهو يعتري - لحد الآن - أحد أهم المؤلفات الغنية بالمعلومات المتنوعة عن الفلسفة في فرنسا. كتاب لا يمكن الاستغناء عنه، يُنصَح بقراءته كل من يؤدّ المزيد من المعرفة حول هذا الموضوع... ان المرء ليتمنى ان يدخل بعض من هذه الحركة الفكرية الى ألمانيا التي لمّا تزال تعيش في جومن الحرية الفكرية... محور هذا التطور هو بلا شك نبته الذي عدّ لفترة طويلة مع ماركس وفرويد واحداً من «ثلاثي الفلسفة المقدس» في فرنسا، فهو لم يزل حياً هناك حتى الآن. واليوم يبدأ أربعة من الفلاسفة باحتلال مركز السيادة بدلاً من ذلك «الثلاثي»، فعدا نيته وهابدرغ طبعاً، يحلّ أفلاطون مركز الصدارة ثم يليه كانط.

الكتاب مزين بصورة لنيته، وهي ترتفع فوق رأس جبل دولوز (Gilles Deleuze). ان البعض يخاف مفكرين من طراز دولوز كخوفهم من الشيطان، ففريقهم يسلمو مريباً كرحلة عبر شعاب كردستان، على حدّ تعبير الفلاسفة كارل ماي (Karl May)، أم أنها خطة مختصرة في رؤوس هؤلاء المفكرين لغرض الهجوم على الضرب المسيحي؟ فان كانت رحلات دولوز الفكرية تذكرنا بشيء، فبالتأكيد بوجه رئيس قبيلة للهنود الحمر وهويسترف الخطي بحس مرفوع وموجهة نافذة في حربه الثقافية.

يورغ ألثويغ (Jörg Althweg) / أوريسل شميدت: «مفكرون فرنسيون معاصرون» (عشرون صورة شخصية) دار النشر C. H. Beck، ميونيخ ١٩٨٧، ٢٠٨ صفحة، السعر ١٦,٨٠٠ مارك ألماني.

الناسف فرينر هاماشر (Werner Hamacher) - «ينتشه الفرنسي» (مقالات قصيرة لـ: موريس بلانشو (Maurice Blanchot) وجاك دريدا (Jacques Derrida) ويسير كلوسوفسكي (Pierre Klossowski) وفيليب لاكلوا لبارت (Philippe Laclau) وجان لوك نانسي (Jean-Luc Nancy) وبرنار بوتر (Bernard Pautrat).

دار النشر ألثاين (Ullstein Verlag)، فرانكفورت / ماين / برلين ١٩٨٦، ١٩٢ صفحة، السعر ١٦,٨٠٠ مارك ألماني. مما لا يقبل الشك ان العالم يتجه بشكل ملحوظ الى تقبل المفهوم العام لضروب الحركة الفكرية المضادة، التي بدأت تكون في فرنسا منذ عشرات السنين... وقد كان هناك مايكفي من الشجاعة لبذل اللزوب المطروقة... فالفكر الجديد لم يعتبر «مداهمة الزمن» خطراً محدقاً فحسب، بل نظر اليها كتحدٍ مصيري. ايضاً هذا الفكر يجابه بقوة سياسة التطبيع وتوحيد الانماط والمعايير بسلاح والتنوع والاختلاف، بعيداً عن اللامبالاة وعن الاهتمام باستئالة الرأي العام، ويناضل من اجل تأييد الاختلافات والفرقات وتشجيع التنوع والتنوع.

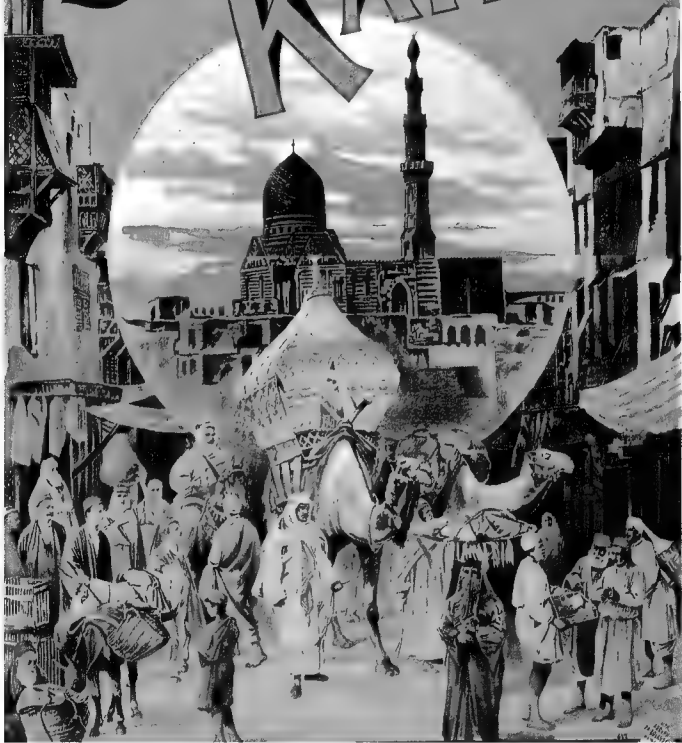
يعيش الفكر الفرنسي منذ عام ١٩٤٥ تقحاً ليس له مثل، يذكرنا «بروعة اسواق الشرق»... ولعلها علامة ولادة «ما بعد الحداثة» حيث تظهر شخصيات رائعة، تميّز أعمالها كزهور غريبة: دريدا (Derrida) وفوكو (Foucault)، «الغلب» (Roland Barthes) قارئ الدلالات المساجن، كلود لوي شتراوس (Claude Lévi-Strauss) باحث تقاليد الزواج في المناطق الاستوائية، ليوتار (Lyotard) قصاص ما بعد الحداثة (Postmoderne)، بودريار (Baudillard) «رجال الخيال المخدوع»، غلوكسمان (Glucksmann) «ديوجين القرن العشرين» ثم ميشيل سير (Michel Serres) جؤاب البحار وهرطقي كل الآداب والأنظمة.

الالهة، والتي يظهر من بين شياهاها مدى حدة صياغة نيتشه عن موت الألهة والعودة إلى صدر مذهب التوحيد كحربة ماضية. فالاله الواحد يستبدل باله الشرك والتنوع ديونيسوس المتوحش الذي قدم من الشرق. انطلاقاً من هذه الخلفية يركز جان لوك ناتسي البحث على الجانب الأبولوني، ويمالج موضوع الاخلاق الذي أصبح متداولاً منذ كتابي فوكوالأخيرين، ومنذ ابتداء الحركة التصحيحية المفاجئة من خلال إيتانويل ليفيناس. لم يفهم نيتشه، الملحد والأبولوني والأخلاقي بصورة صحيحة. نيتشه الذي طرح مسألة القيم التي تقوم على الحقيقة، فهو يكشف من خلال ذلك اعتبارات دنيئة، ويضع أخلاقية «مختلفة تماماً، ليس لها علاقة بقيم «المذهب الناثي» إطلاقاً». ان من يخلط بين البحث عن أخلاقية جديدة وبين الانسحاب والتفوق في الحياة الخاصة، هو معرض لتجاهل البعد السياسي لهذه المسألة، وهو يترك بذلك الساحة لأخلاقية كانت قد أدت في يوم ما إلى الكارثة، ويفرّط فرصاً يسعى الفكر الجديد بكل جهوده لاغتنامها.

لم يعد دولوز مجهولاً في ألمانيا. لقد كان هو الذي ابتدع في الأدب مفهوم التفكير البدوي، تفكير تجريبي متحرك، وليس تقليدياً متمركزاً، ذلك التفكير الذي يقوم بمغامرات في حملات استكشافية داعرة. فأن من الغرابة ألا يجد المرء دولوز في كتاب «نيتشه الفرنسي» الذي أصدره فيرنر هاماخ (Werner Hamacher) على إقبال القراء على كتاب «نيتشه الفرنسي» وكذلك تعبيره وتفسير البدو الرحل» يردّ أيضاً إلى نيتشه الذي كان ذا تفكير متجول ومتنقل... كما وصفه بلانشو (Blanchot) بشكل صائب. فمن خلال عرض برنارد نونرا (Bernard Nourra) وفيليب لأكو لا بارت (Philippe Lacoue-Labarthe) يستطيع المرء أن يرى أصالة والمعة فلسفة نيتشه في فرنسا، وكمن من الشاعرية والجمال تحمل بين طياتها. ثم دريدا الذي لا يجاري والذي يقدم نيتشه ويطلق عليه لقب «مفكر التوليد»، وبيير كلوسوفسكي (Pierre Klossowski) الذي وضع علامة على الطريق بكتابه «نيتشه والحلقة المفرغة» ١٩٨٦، وله في مجلة هاماخ دراسة كتبها عام ١٩٥٧ حول تعدّد

Berliner Gewerbeausstellung 1896.

Specialausstellung KAIRO.



بمناسبة معرض شتوتغارت للغرائبية:
انا عائد الى الشرق، الى الحكمة الاصلية الابدية!
- رحلة الخيال الى حديقة الشرق المجنونة -

شتيفان غرون / بينيديكت ايرتس

كل الاحترام والاحلاق ومن كل المشاعر، حينها يريد ادراك انه ليس هناك من طبع الزنجي ماله علاقة بالانسان.
ليس بعيدا عن ذلك المكان في «مارين شتراسه» (Marlenstrasse)، حيث وُجِدَ رامبولوروي، في ذلك الشارع حيث كان فريدريك هيفل يلقي محاضراته، افتتح معرض ضخم كان نقطة جذب لاكثر من ألفي زائر لعاصمة اقليم «شوابن».

عوالم غرائبية - احياء اوروبية :

ان الاتهام غير الاعتيادي الذي لقيه هذا المعرض، ليس مبعثا للغرابة، فلقد خلقت الغرائبية (Exotismus) في النصف الاخير من القرن العشرين اعجب الاشياء التي فاقت كل صور الغرائبية في التاريخ.

وليس من قبيل الصدف ان يساهم معهد العلاقات الخارجية في شتوتغارت في تطوير فكرة هذا المشروع الضخم ويدعم تنفيذه. فمن الواضح ان هم منظمي المعرض لم يكن منصبا على عملية الانشاء بعد ذاتها، بل ان النقطة الجوهرية كانت تدور حول مسألة تعاملنا مع الغربة، مع عوالم غريبة ومع اناس غرباء

مُستتعات الغرب...
اللغة على تيجان الشهداء
وبريق الفن...
وليذهب غرور المخترعين
ومحاسن النهايين
الى الجحيم
انا عائد الى الشرق
الى الحكمة الاصلية الابدية..

١٨٧٣ - ارنور رامبو (Arthur Rimbaud) (فصل في الجحيم).

بعد عامين من كتابته لهذه الابيات، وُجِدَ الشاعر الفرنسي رامبو (Rimbaud) صديقه بول فرلين (Paul Verlaine) في مدينة شتوتغارت الواقعة في مقاطعة فورتمبيرغ (Württemberg) وغادر الى افريقيا. من هذه الرحلة عاد.. فقط ليتموت على ارض الوطن. في شتوتغارت (عاصمة امارة فورتمبيرغ آنذاك) ولد ايضا الفيلسوف الالماني الكبير فريدريك هيفل الذي ورد في احدي محاضراته، وسجله طلبته في دفاتر ملاحظاتهم ماييلي: «ان الزنجي يمثل الانسان البدائي بكل وحشيته وجوعه، وعلى المرء ان يتجرد من



اوليف فريدلاندر: صورة
لائحة معرض صناعي اجم
في برلين عام ١٩٩٦.

ثم ممنعت فاختار على الطريقة التركية ، تلك الكتب الرومانية اغنت للمعرض أكثر من جميع السيوف المقوسة وأكثر من المنمنيات الخزفية الخلابة والذهب والاحجار الكريمة ، هذه الكتب هي الاصل الاصلية لـ «بوتونييا» توماس موروس (Thomas Morus) ، والرسائل الفارسية لمونتسكيو (Montesquieu) واطلانطيس الجديدة لبيكون (Bacon) ومقال مونتاني (Montaigne) عن آكلي لحوم البشر. في هذه الكتب يوجد مالا يمكن عرضه : الخيال الاوربي ، الاحلام والامال التي كان قد افضها «عصر الاكتشافات» والتي انتقلت الى بوتونييات الدولة في القرن السابع عشر وكذلك بوتونييات القرن الثامن عشر: هنا يتسع الاق لثلاثي انواع الخيالات الساذجة ، احلام . . . ابلسية جنسية ، قناعة فطرية وكذلك لنساج حياتية في المجتمعات التي كان يسودها نظام الاستبداد المطلق القديم الذي فرضته الازالة الالهية ، والذي حوّر على سبيل التجربة الى نظام يشر بحرية المواطنين في تقرير مصريهم . فمثل تاهيتي في شتوفنارت يظهر كمثال قليل فهم هؤلاء الفنانين الاوربيين لواقع تلك العوالم الغريبة ، ومن خلال ذلك يتضح كيف ينسج الخيال الاوربي لنفسه اسطورة «جزيرة الحب» السعيدة بكل سرعة وسهولة على الرغم من ان الرحالة الاوائل مثل -غيورغ فورستر (Georg Forster) - قد راقبوا الاوضاع بعين قاصصة وتمررفوا بدقة على النظام الاجتماعي الهرمي لهذه الجزيرة في البحار الجنوبية.

وبالطبع كان هناك ضمن مجموعة الكتب نسخة من «رحلة حول العالم» لفورستر . . . بين «انتصارات البحار الجنوبية» . . . التي تظلم هذه المخطوطات . «غيورغ فورستر الذي كان عمره ١٨ عاماً حينها رافق «الكابتن كوك» في رحلته الشراعية حول العالم ، كان ايضاً واحداً من الذين هتفوا عام ١٧٩٢ في ماينس (Mainz) باسم اول جمهورية المانية ، وقد قضى نحبهُ أخيراً في جحر صغير في باريس ، في زمان انتصرت فيه المفضلة . . .

وكتب فورستر الى رسالته الى الوطن :

والذي يحدث يجب ان يحدث . . . فعندما تم العاصفة ، يستريح الباقون ويتمتعون بالهدوء الذي يعقبه .
تاهيتي والثورة الفرنسية : انتصار الحريات المدنية في اوربا كان معناه نهاية الحرية لبقية العالم بشكل نهائي .
بشخصيات واسلام جزر الاحلام الاسطورية ، ويشعارات والحرية ، الاخوة ، المساواة في رؤوسهم اتحم المواطنون مواقع السلطة ليعودوا ويستعيدوا تلك العوالم الغرائبية بلا رحمة . . . ، واصبح المواطن العادي بورجوازيًا واصبح المهدوء الذي أعقب ذلك مرعباً .

في جوما بعد الثورة الفرنسية انكسرت الغرائبية واصبحت ظاهرة جالية فقط وموضوعاً مؤثراً كان بمثابة الموسيقى التي واكبت للتوسع الاستعماري .
ولقيت الخزرفة الشرقية اصحاب المواطن العادي . ارتدى غوته (Goethe) التعللات العربية الطفرة ، وحوّل الفنانين في

وحضارات غريبة . فالأمر يتعلق اذن باختلاقيات سياستنا الثقافية الخارجية . وقد أكدت وجهة النظر هذه أثناء انعقاد الندوة التي استمرت ثلاثة ايام والتي شارك فيها أكثر من سبعين فناناً ومفكراً من ثلاثين بلداً . رسامون وادباء وموسيقيون اوربيون ناقشوا كيف مسخت الحاجة الاوربية الى الغرائبي (Exotik) الحضارات الاصلية والازلال سمستها وتزييفها ، وماهي العواطف المرتبطة على ذلك . استغرقت الاستعدادات لهذا المعرض اربعة اعوام وقد هيّا المنظوم ٧٥٠ قطعة فنية من جميع انحاء العالم . . . من الخزف النقص واللوحات المشهورة الى الفن الغرائبي المبذل ، حُشدت في القاعة المعرض الرئيسية في دار الفنون التابع لنادي الفنانين في مقاطعة «فورمبيرغ» . اضافة الى ذلك ، عُرضت في عدد كبير من المعارض الخاصة ٥٥٠ قطعة فنية من تاريخ المسرح والهندسة المعمارية والموسيقى والادب مثله عدداً من جوانب الحضارة في اوربا . أكثر من ٢٠٠ معبر من كراكاو (Krakau) وفريسدن (Dresden) وميلانو وفيينا وباريس وحتى من نيويورك ساهموا في تجسيم وتصوير الخيالات الاوربية في عالم الفن والثقافة وفي الاعلان والسياحة التجارية وفن التصوير الفوتوغرافي والسنيما .

ولعل قول الفيلسوف ارنست بلوخ (Ernst Bloch) السالي يوضح مغزى المعرض : «ليس هناك في الغيرة اكثر غرائبية من المغرب نفسه» . ومع ذلك فإن عكس هذه الجملة صحيح ايضاً ، اذ ان تعامل المرء مع الغرائبي هو تعامله مع حضارته نفسها ، هو صراع مع المخاوف والامال ومع الاحلام والكوابيس . فما لا يجده الاوربيون في قارنتهم اولاً يستطيعون تحقيقه ، ينقلونه من شعوب وحضارات اجنبية ويؤولونه على طريقتهم الخاصة بوقاحة وجرة . وقد يكون بالامكان ايضاح هذا من خلال خروج قصير عن الموضوع نتناول تاريخ الغرائبية (Exotismus) الذي صوره معرض شتوفنارت بشكل رائع .-

بأي مرحلة ينبغي على المرء ان يبدأ بمناقشة تاريخ الغرائبية ؟

أينبدأ بالامبراطورية الرومانية ؟ ام بحملة الاسكندر على الهند ام بهيرودتس (Herodotus) ؟ ام ببناء جنائز بابل المعلقة ، عندما نقرعت البشرية الى شعوب غرائبية ؟ ام بآدم وحواء ؟ فاني مكان يمكن ان يكون اكثر غرائبية من الجنة التي شغلّت الفن والخيال ؟

في شتوفنارت كانت البداية بـكولومبوس (Kolumbus) ، فأتذكّك بدأ الاوربيون باستعمار بقية العالم وبذلك بدأ مايسمى بالتاريخ الحديث .

لا بد لزائر المعرض ان يُمرّ بفاع من المعارض تتضمن قطعاً سلبت من املاكها الاصلية في «عصر الاكتشافات» ، وان يطوف بانسواء والسوان عديدة من الفن الغرائبي الرخيص ، ثم مروراً بالفنان الزنوج وبالتاسيح وكذلك بقاعة الطرائف يصل اخيراً الى اهم واجل قاعة في المعرض ، هناك توجد بعض الكتب المهيّزة تتخلل تحفاً على الطراز الصيني واخرى مقتبسة من الفن الفارسي

(Nicaragua) وكرويتسبيرغ (Kreuzberg) والتحدّي الإسلامي، وعدائية ضد الأجانب بسبب الحضور الطائفي للغراثيين (Exoten) في بلدان أوروبا. وهكذا أصبح المشروع المغامرة ضحية للظاهرة التي حاولت وصفه، أي ما معناه أن الغراثية بدأت تعكس الخوف من التاريخ، لأن الصور القائمة للغريب في مجتمع ما، لها علاقة معينة بالتاريخ والتحوّل الحضاري.

عداء الأجانب ليس معناه فقط الخوف من الأجنبي، بل هو أيضا خوف من التغير والتحوّل في التاريخ. فلا شك أن للغراثية علاقة ودية مع الغرباء ولكن بقيمة مزدوجة حيال التاريخ، فالاتجاه لجعل الغرب مثاليا يتغذى من مقاومة التاريخ، حيث يبحث الإنسان عن الأصالة وينسى المعاصر، ويظهر الغراثي كشيء خارج عن حضارة البلد نفسه.

الأجانب، الشعوب البدائية، المتوحشون، المجانين، وفي بعض الأحيان النساء أيضا. ليس بين الأوروبي وهؤلاء من قاسم مشترك، لا شيء يمكن تعلّمه منهم، ليغير المرء نفسه ومجتمعه. إن صور الأجانب في مجتمع ما يمكن المرء أن تساعد على استقرار فرض التغير الملتصقة بهذا المجتمع، أمّا ما يجذب عن استيعابه فيظل غريبا عليه ويعمد بالتالي إلى عزله وتمييزه. إن عدم قدرة الأوروبيين على الحوار مع الحضارات التي اكتشفوها في القرن السادس عشر هو الذي شطّر العالم إلى عالم أول وثان وثالث، وعداؤهم للأجانب هو الذي خلق هذا المناخ الدفاعي في العلاقة بين الأوروبيين والحضارات الأخرى، بل أيضا تجاه بعض مجالات حضارتهم نفسها. وهو ما سيأه فريد والاعتراّب الداخلي».

إن الهجرة المعاصرة للشعوب وزحف الحضارات والثقافات المختلفة عبر وسائل الإعلام والحركة السياحية لموفر فرصة للتكفير عن الذنوب التاريخية وذلك بتقبّل الغريب، وبانفتاح الحضارات والثقافة على بعضها بعض، بهدف المزيد من الشراء والحوار والتحلق. وعلى الرغم من التكاليف الباهضة، يبقى معرض «شوتنفارت» مقصّرا في هذا المجال. إن «حي كرويتسبيرغ» الذي غادره سكانه الأصليون في حالة من الفرغ عندما جاء الأتراك - يمكن أن يعدّ نموذجا رائعا للتعبير عن الحالات الأوروبية المعاصرة، أكثر بكثير من التحف التذكارية الغراثية، ومن الحيوان الغراثي من الفن الأوروبي.

(١) كرويتسبيرغ : حي من أحياء برلين الشهيرة يسكنه اليوم المهاجرون الأتراك.

«شوابنغ» (Schwabing) ويأريس وفيينا مراسمهم إلى ما يشبه دكاكين أسواق الشرق الحائلة، وبدد الشرق بأسره وكأنه جدر كبير للحريم، والبحار الجنوبية وكأنها «بيت للمسرات» وبهجة الطبيعة للإنسان، وعرض سيرك هاغنبيك (Hagenbeck) في قصص الأفيال بشرّا من الصومال، وتُنتج الكتان في غينيا الجديدة بحماس، ونسجت النساء في مجاميع الأمهات في كل أوروبا ملابس لأطفال الزوج. ويذكرنا هذا بقول البابا بولس الثالث الذي صرح في عام ١٥٣٧ بأن : «لهندو الحرم بشر حقيقيون» وحتى الأفيال الفنية الغراثية تدخل عصر التكنولوجيا ويتم إعادة استنساخها، ويحتفل بانتصارات جديدة لتفاهات من الشرق والغرب، - قبل كل شيء في فن العمارة -. موقع مهرجان الغراثيات نفسه Wilhelm بشكل واحد من أشهر الأمثلة الغراثية، كمعابد منتزه برايتون (Brighton) وملحقاتها ومرورا بمصنع التبغ الغريب (Yenizda) في «دريسدن» الذي يشكل خليطاً مبهيناً من تاج محل وجامع أصفهان الكبير. ومرة أخرى تبحث أوروبا عن التجديد الكبير في عوالم بعيدة : فيعد غوغان (Gauguin) سافر في فرنسا الحالي كل من ماكس باكشتاين (Max Pechstein) وإميل نولده (Emil Nolde) إلى البحار الجنوبية وأجّه أوغوست ماكه (August Macke) وبأول كليه (Paul Klee) إلى شمال إفريقيا، وفي باريس بدأ الاهتمام بالفن الأفريقي يتزايد وظهر في عام ١٩١٥ كتاب كارل اينشتاين (Karl Einstein) الهامّ من فن النحت لدى الزنوج. واعتبر الغراثي نوعاً من البدائية واعتقد الفنانون الرخالة في القرن الثامن عشر أنهم غثروا على نموذج المجتمع الأصلي السعيد في تلك الجزر البعيدة. وكذلك اكتشف فنناو القرن العشرين - هنا في أوروبا - الفن الحقيقي الأول في أشكال خشبية وأقنعة تعكس لغة العالم الأولى . . . لغة الألوان والأشكال. وحتى الفنانون أخذوا بتأنيث مساكنهم - كالفسان ارنست لودفيغ كيرشنر (Ernst Ludwig Kirchner) بخلط من بيوت الاسكيمو والكهوف والحمام البدوية ووضعوا أدوات الرسم على مفاعد مكسوة بجلد النمر الإفريقية. وقد يكون غراثياً أن يرى المرء في شوتنفارت كذلك بازيليتس (Baselitz) وهوديك (Hödicke) وحتى «الفنية المتوحشين» (Die Jungen Wilden). لكن أمثال مثل صور النمر وحيران الكركدن المصنوع من الجبس تشير في نهاية الأمر إلى أن منظّم المعرض كانوا على شيء من الارتباك على الرغم من حسن نواياهم. إذ أن المرء يجاهد بالحاضر وبالتالي بالحوار مع أخيلة أوروبية من نوع آخر تماماً في أيامنا هذه.

نمور وكركدنات الماضي لها اليوم أسماء أخرى فهي تدعى الآن «باغوان» (Baghwan) و«مون» (Moon) ونيكساراغوا



Riquet PRALINEN

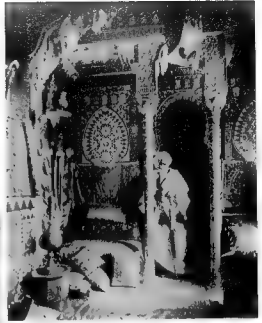


RIQUET & CO. A.G. FA. GEGR. 1745-LEIPZIG

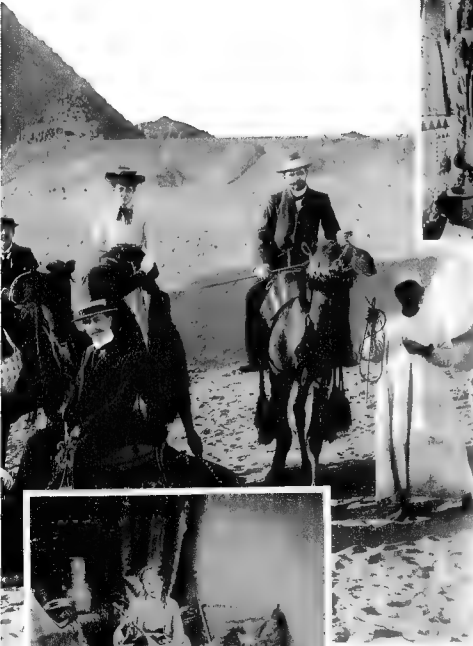
بالطبعة دعاية لأحد أنواع الشوكولاتة



يانطة غراية



بيبيديكت في صالون تركي



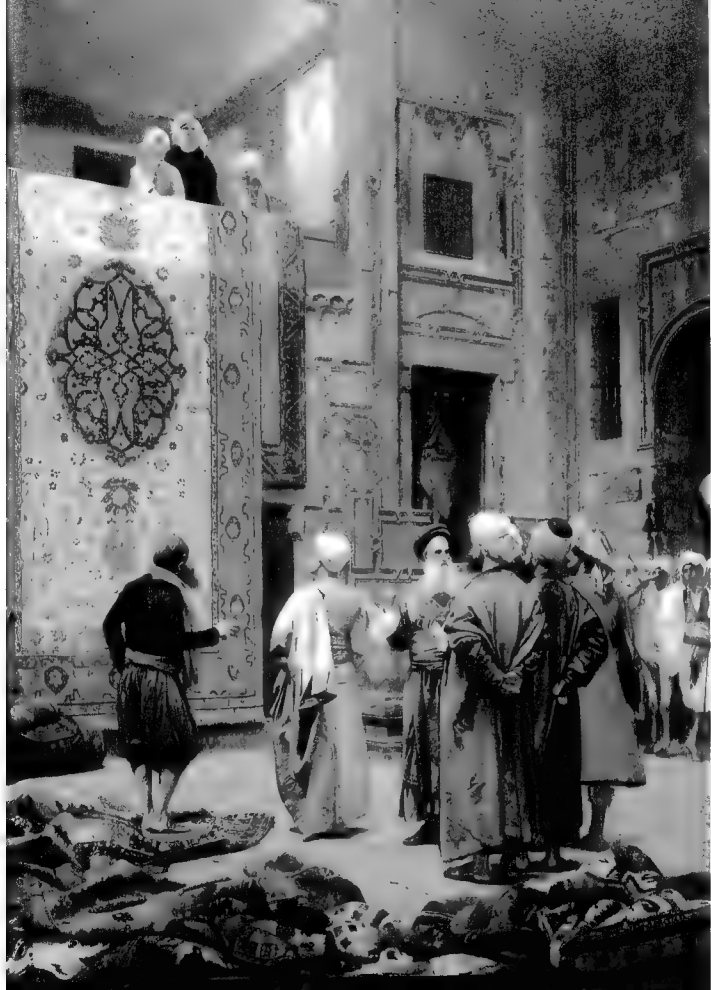
اموكة بلباس شرقي



فرانيس فرايت
بيليس تركي .
(١٨٩٨-١٨٢٢)



سليح اوردليون امام
الاحرامات





بول غوفان: لوحة والى اين تذهبين؟
(تأهتي - ١٨٩٢)

- الغرائبية في الفن -

فقد كان رجال من نوع ديلاكروا ييارسون الاباحية في ذلك العصر معتقدين ان لهم الحق الطبيعي في التصرف باجساد نساء معينات كما يريدون . فأن كانوا فنانين مثل ديلاكروا فقد افترضوا انهم يستطيعون التصرف باجساد النساء اللواتي كن يعملن عندهم ، بلا حدود . وهنا يمكن القول ان خيال ديلاكروا الشخصي لم يكن موجوداً في مكان مغرب من الهواء ، بل في محيط اجتماعي معين كان يتحدى احكام الاخلاق وقواعد السلوك على السواء . فمن ناحية حاول ديلاكروا ان يبرز وجهة النظر الاستفزازية في الجانب الجنسي لموضوعه ، ومن ناحية اخرى بذل جهده لتقليل الحدة الواضحة في لوحته التي تتجلى فيها سيادة الرجال على النساء . فقد تنصل من مخاوفه وشهوته من خلال وضعه لها في جو شرقي وكذلك ترشيحها وتصفيتها من الشوايب غير النموذج عام بأسلوب بايرون (Byron) . من جهة اخرى يتناول الموضوع ، مجموعة من النساء العاريات الجميلات اللواتي يُسَقَّن الى المجزأة ، وليس الرواية القديمة من ساردانابال . فعلى الرغم من ان شهوانية الامراء والحكام الشرقيين كانت الموضوع الرئيسي في مثل هذه الروايات ، فإن موضوع اللوحة هنا من اختراع ديلاكروا وليس بايرون .

ويشارك الفنان في المذبحة ويضع ساردانابال الراقد على السرير في مركزي الصورة الاحمر القاني . ولكن ساردانابال يقف كالفيلسوف بعيداً عن الصخب الشهواني الذي يحيط به : انه فنان التدمير الذي يتلذذ هيب السيناريو الذي وضعه لنفسه . ان تحدي ديلاكروا الصارخ الذي يمكن سميته «تحفظ المستشرق» ، هذا التحفظ المختال ، قد ساعده على ادانة تطرفه الشهواني ، الامر الذي يثبّت عن تحقّق الناحية السادية في اللوحة .

لكن هذه اللوحة لم تلق رضى الجمهور المعاصر لديلاكروا . فيغض النظر عن التسامي الجزئي للمسة الفنية العبقريّة فيها ، كان الجمهور والنقاد مُستأثرين من هذا العمل الغني حيناً عُرض لأول مرة عام ١٨٧٨ .

إن فكرة التملك الكامل للجسد الانثوي العاري تعود ايضاً الى المواضيع الفنية الامودوجية للوحات الاستشرائية كلوحة جيروم «اسواق العبيد» . فقد قامت هذه الفكرة على تجارب

إن المرء ليلحظ بجلاله التأثير الاستشرائي للغرائبية في لوحات الرسامين الاوروبيين المستشرقين اكثر منه في أي مجال آخر . ففي اللوحات الرائعة لـ : باورفنايد (Baurenfeld) وأتغر (Ingres) وساكارت (Makart) وجيروم (Gérôme) وديلاكروا (Delacroix) نجد العلاقة السببية بين هذا الشكل الفني وبين تركيب السلطة الايديولوجي والسياسي بصورة ملفتة للنظر . ان هذه الوثائق الفنية المنظورة هي في نفس الوقت انتمكاسات الرجل الغربي وامانيه وأخيلته الخفية ، وهي تعبر عن مكونات نفسه اكثر بكثير من تعبيرها عن الموضوع المصوري في كل منها .

فمن الامثلة الجديرة بالاهتمام اللوحة العملاقة «موت ساردانابال» (Sardanapal) للفناني ديلاكروا وكذلك لوحات زميله جيروم التي ينفي ان تعتبر هنا ايضاً امثلة لهذا النوع من الدراسات . فعلى النقيض من امثلة اخرى كثيرة لفن الرسم الغرائبي أو بالاحرى فن الرسم الاستشرائي ، لايتعلق الامر في لوحة ديلاكروا الشهيرة بسيطرة الرجل الغربي على الشرق الاوسط بل بسيطرة الاوربي المعاصر على المرأة ، تلك السلطة التي وجهتها وعبرت عنها الايديولوجية «الشهوانية» في زمن ديلاكروا .

مسرح الاحداث الشرقي كان بالنسبة للرسام نوعاً من شاشة السبنا استطاع من خلالها ان ينفخ في احواله واحلامه وشهوته المكتومة والممنوعة وان يتمتع بخيالاته المليئة بالرغبة بصورة متغربة عن الشرق . النص التالي هو مقاطع مأخوذة من مقال لمؤرخة الفن الامريكية ليندا نوكلين (Linda Nochlin) :

يقول احد الشعراء : «في الاحلام تبدأ المسؤولية» ، اننا نقف بالتأكيد على ارض صلبة عندما ندعي ان الاحلام تنطلق من فكرة التسلط ، احلام حول سلطة متزايدة (كما في حالة ساردانابال) ، خيالات غير محددة للرجل الذي يتمتع بجسد الانثى من خلال تدميره له . انه من غير المعقول ان يتصور المرء لوحة ديلاكروا عن الانتمكاس التصويري للمخيلات السادية للفنان وراء قناع الاستشراق . ومع ذلك فان من الاهمية نذكر الفرضي العارضة في لوحة ديلاكروا . انها قصة الحاكم الاشوري ساردانابال الذي مَرَّ كل ممتلكاته الثمينة ومن ضمنها نساءه ، عندما سمع نبأ بده الهزيمة واحرق نفسه بالتالي معهن .

الخصوص أولئك الذين يارسون هذا النوع من التجارة الشهوانية. ولعلّ بالإمكان القول إن هناك مسألة أكثر تعقيداً في استراتيجية جيروم حيال الإنسان الحساس المعادي، فمن ناحية يجد الرجل نفسه أمام التحدي الذي يجعله يُشبه نفسه بنظيرة الشرقي، ومن ناحية عليه أن يبتعد عن ذلك لأسباب أخلاقية. إن غياب التاريخ هو مسألة مشتركة في أغلبية الصور الاستشراقية، ويبدو الزمان في مثل هذه اللوحات وكأنه قد توقف، فالفنان يرحي للمشاهد إن عالم الشرق هذا هو عالم دون تحول، عالم ذو تقاليد وطقوس خالدة. إن الدهر عالم لم تمسه عمليات التحول التاريخية التي كانت تنقل على كواهل مجتمعات الغرب والتي أدت إلى تغييرات عنيفة فيها. إن التركيز على اندام الزمان وفقدان البعد التاريخي كان نوعاً من ذر الرماد في العيون، فمن خلال الحضور الغربي كان الشرق الأوسط في ذلك الوقت يعيش مرحلة تحول جذرية في النواحي التكنولوجية والعسكرية والاقتصادية وبالتالي -

وقبل كل شيء - الحضارية، وهذا هو عين التناقض. فبينما كان جان ليون جيروم، على سبيل المثال يلوحته «مُروّض العناب» التي رسمها في ستينات القرن الماضي في القسطنطينية، يريد أن يوحي أن الناس كانوا يراقبون الفسيفساء بحمول وكسل بينما كانت القسطنطينية تهار وتحول إلى انقاض (جيروم يبرز ذلك من خلال المحيط المعماري في اللوحة)، وبينما يشار من خلال هذا «المحار الأخلاقي» إلى حياة الكسل والحمول للإنسان الشرقي، كان عهد الإصلاحات قد بدأ، عهد الإصلاحات السياسية والاجتماعية والثقافية.

إن غياب البعد التاريخي والحس الزمني مرتبط بشكل واضح بفقدان ناحية أخرى لدى أغلب الرسامين المستشرقين، ألا وهي فقدان الحضور الخفي للرجل الغربي في تلك اللوحات. ففي المناظر الشرقية الخلابة ليس هناك أثر للرجل الغربي، وهذه ناحية يتميز بها الرسم الغرائبي الذي يدين بوجوده للحضور الغائب دائماً، أي حضور المستعمرين والسياح الغربيين.

إن اللوحات الاستشراقية تحتوي طبعاً على الرجل الغربي، فهو موجود دائماً فيها، ولكنه لا يُرى. إنه موجود كنظرة موجّهة تعطي المعنى وتخلق العالم الشرقي، مضيق إليه بعداً غيبياً. وهذه المسألة تقود إلى ناحية مفقودة أخرى هي أيضاً جزء من الاستراتيجية الزامية التي صرف نظر المشاهد عن الجانب المُستعمر في اللوحة. إذ يجب أن يكون الأمر مقتعاً بأن مثل هذه الأعمال تعكس واقع الشرق بصورة علمية دقيقة.

وهكذا أعتبر جيروم في عصره موضوعاً وعلمياً إلى حد مرعب وقورن في هذا المجال بالفصاحين الواقعيين في نهاية القرن التاسع عشر.

وخبرات الرجال المعنية آنذاك في بيوت الدعارة ونُشأت بصورة خاصة عن إمكانية تصرف الفنانين بالنساء اللواتي كنّ يقفن لهم كموديلات سواء من النواحي الجنسية أو الفنية.

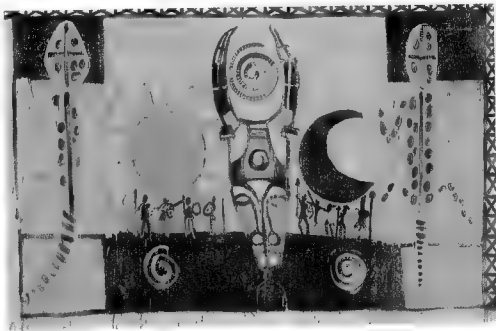
إن القصد من ابتداع هذا النوع من الشهوانيات لم يكن له طبعاً علاقة بالاهتمام بالبحث في علم الشعوب، فمن خلال حجب متعمد استطاع فنانون مثل جيروم أن يقدموا نفس الموضوع، وإن يعرضوا نساء عاريات مغلوبات على أمرهن أمام رجال مثاقين، وأحدى هذه الحجج مثلاً لوحته «سوق العبيد» في العصور القديمة الورلة «العانية» أمام المحكمة. فورا هذا النوع من الأثارة الشائعة تتوارى ورغبات وشهوات الأخلاقيين التي تُشبع من خلال التلذذ بأذلال وتخفيض الجاربات الجميلات. وتوصف الجوارب بالبريئات ويُسفن ضد أراדתهن إلى مكان غريب وغريبين يدعو للأسف أكثر عما يشرك الاستنكار وعلاوة على ذلك تغلّى عيونهن وليس أجسادهن المثيرة.

ماهو السبب الذي جعل لوحة جيروم الاستشراقية عن تسلط الرجال على المرأة الانثوي شائعة إلى هذه الدرجة؟ وما الذي أدّى إلى تكرار ظهورها في صالونات القرن التاسع عشر، في الوقت الذي اُثارت لوحة ديلاكروا «ساردا نابال» الأسياء والشتماء؟ بعض الإجابات تشير إلى اختلاف السياق التاريخي الذي ظهر فيه تلك الأعمال، والأخرى إلى طبيعة الأعمال نفسها. إذ أن التشكيل الأيديولوجي لخيال جيروم كان أفضل منه لدى ديلاكروا فيما يتعلق بموضوع المكائد والألعاب الجنسية، حيث يتوصل المرء إلى هذا التشكيل الأيديولوجي من خلال التركيب الشكلي للوحة. لقد كان عمل جيروم مقبلاً أكثر لأنه وضع في لوحته طبيعة باردة، وضعيفة بصورة عملية مُزيفة واستعمل تأثيرات عقلانية ومكانية مقنعة، واستعان كذلك بتجريبية فائقة في ظاهرها، بدلاً من الالتزام الغني الجسارف للمشاعر لدى ديلاكروا ومنظوره الشديد الذاتية وكذلك الوقفات الأدبانية الفاضحة لنفسها في الجانب الشهواني. إن أسلوب جيروم يستنكر الموضوع الذي رسمه، فمن خلال موضوعية حصرية في وصفه للأحداث، يضمن الفنان للشخص اختلافاً وتقيّزاً لا يطاق. جيروم يقول فعلاً: «لا تفكر، انني كأي فرنسي سقيم - سوف أتورط في مثل هذا الأمر، ولكنني لاحظ فقط بعناية أن الأجسام البشرية الأقل تنورا لاتزال منغمسة في التجارة بالنساء المعاريات، ليس هذا مرعباً»

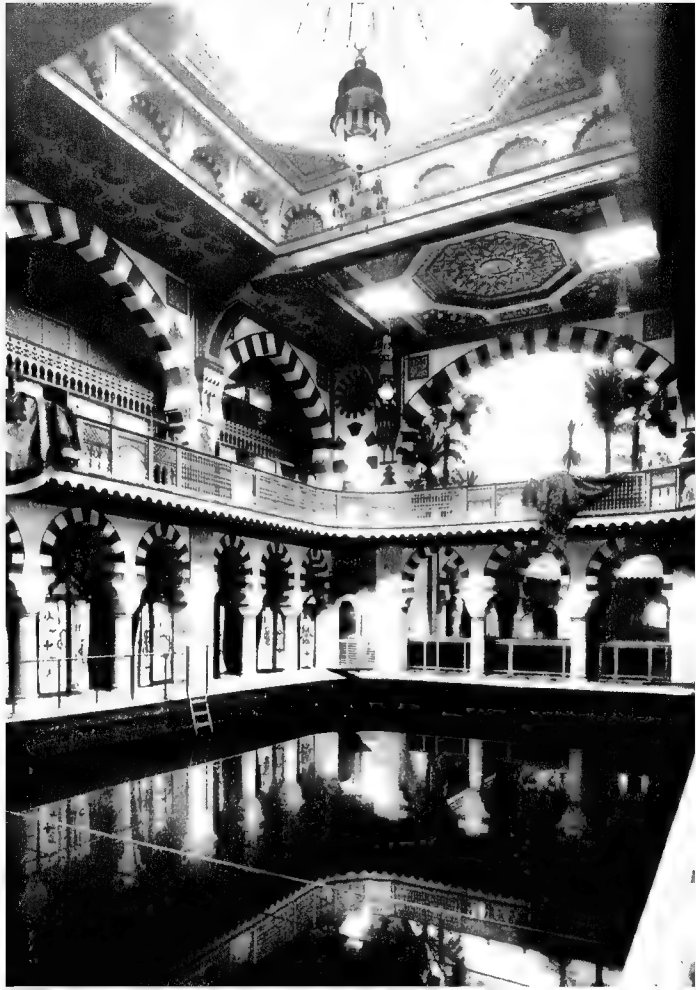
كيفية الأعمال الفنية الأوروبية لتلك الحقبة يتمكن الرسم الاستشراقي لدى جيروم من تمجيد نمطين أيديولوجيين للتسلط، الأول هو تسلط الرجال على النساء، والثاني تفوق الرجل الأبيض وسيادته على اجناس أخرى البشرية وأقل قيمة منه، وعلى وجه

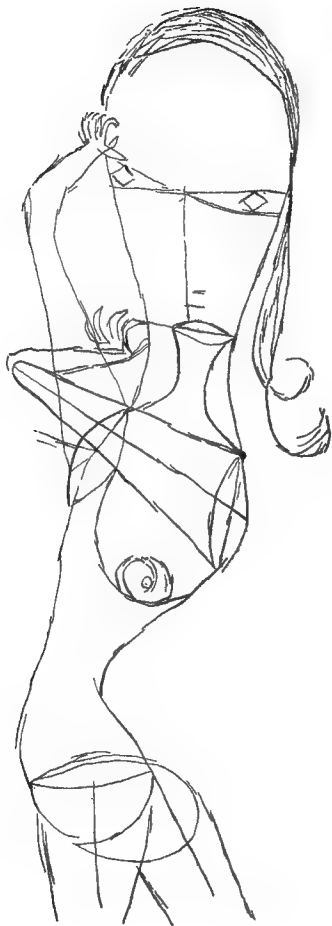


ماكس باكشباين.
مجموعة من
الراقصين
الصوماليين
(١٩١٠).



والتر هانز
وسميري غيورج
وكوتيل.
العيد الكبير
(١٩٠٤)





المرأة مستقبل الرجل

نيكولاوس سومبارت

من المعروف ان فن الرسم في صالونات فرنسا القرن التاسع عشر لم يكن ذا سمعة طيبة . وانا لا اريد ان يكون تقديمي للوحة جان ليسون جيروم (Jean-Léon Gérôme) و«غانية أمام القضاة» (Phryne vor den Richtern)، تدخلًا في النقاش الدائرين مؤرخي الفن، فانا اقدم هذه اللوحة المعروضة حالياً في قاعة الفن في هامبورغ مفرطاً ان الامر يتعلق بحادثي اهم لوحات القرن الذي عاش فيه الفنان الذي رسمها. اذ ان اهتمامي لا ينصب على اللوحة كعمل فني ولكن كوثيقة لتاريخ الحضارة. ففي هذه الوثيقة تظهر روح العصر عبر قدرة تعبيرية متميزة.

فيماذا نرى ؟ امرأة يُسرق ثوبها الذي يلف جسدها. وهماي تقف عارية عطفاً للأنظار المستائة والمليئة بالرغبة، كانظار مجموعة مبهوتة من الرجال تحلق فيها بشهوانية وطمع. نحن الرجال نشكل بالطبع جزءاً من هذه المجموعة المحملة في هذا المشهد.

في ذروة كلمة الدفاع الاخيرة امام المحكمة يعرض عاميها هيريدس (Hyperides) للقضاة الجسد العاري لموكتته (Hattre Phryne) التي أدبت بسبب جمالها وذكائها وتذلتها لحرمات الدين وتأسرها على الدولة، . . . يدافع عنها بالحجة الجنسانية التي تفيد بان من المستحيل ان تكون امرأة بهذا الجمال مذنبه. التراث يقول بان المحكمة قد برأت المتهمه. انها لقصة رائعة، ولكن لب الموضوع هو الظن الذي يدعوا الى الافتراض بانها يجب ان تكون مذنبه لانها جليلة، فالامر هنا لا يتعلق بالجمال بل بالحقيقة العارية.

في هذا التشكيل للمشهد الشهواني تعيش فصلاً تنويرياً مدهشاً، فهناك الحركة / الوقفة الرائعة الملتفة للأنظار، فحينما يمزق الثوب عن جسد الغانية، يتمزق الحجاب ايضا عن السر الابدني لمصان بعباية. فهي تجابه عالم الرجال المشدود بالحقيقة الانثوية. انه لتحذ صارخ لا يطاق لجمع المجتمع الرجال الابوي في ذروة نفوذه وتسلطه . . . وتدخل الانثى التاريخ.

ماذا تفعل هذه السيدة العارية هنا ؟ بين كل هؤلاء الرجال المتوحشين الذين يمدون ذكائباً لتفسيراً جديداً للعالم لانهم لا يستطيعون تغييره. فورا مظهرها المشين في الأدب والفن (مدام بوفاري لفلويبر) تكمن رسالة السيمونيين اتباع القديس سيمون

من المعروف ان فن الرسم في صالونات فرنسا القرن التاسع عشر لم يكن ذا سمعة طيبة . وانا لا اريد ان يكون تقديمي للوحة جان ليسون جيروم (Jean-Léon Gérôme) و«غانية أمام القضاة» (Phryne vor den Richtern)، تدخلًا في النقاش الدائرين مؤرخي الفن، فانا اقدم هذه اللوحة المعروضة حالياً في قاعة الفن في هامبورغ مفرطاً ان الامر يتعلق بحادثي اهم لوحات القرن الذي عاش فيه الفنان الذي رسمها. اذ ان اهتمامي لا ينصب على اللوحة كعمل فني ولكن كوثيقة لتاريخ الحضارة. ففي هذه الوثيقة تظهر روح العصر عبر قدرة تعبيرية متميزة.

فيماذا نرى ؟ امرأة يُسرق ثوبها الذي يلف جسدها. وهماي تقف عارية عطفاً للأنظار المستائة والمليئة بالرغبة، كانظار مجموعة مبهوتة من الرجال تحلق فيها بشهوانية وطمع. نحن الرجال نشكل بالطبع جزءاً من هذه المجموعة المحملة في هذا المشهد.

في ذروة كلمة الدفاع الاخيرة امام المحكمة يعرض عاميها هيريدس (Hyperides) للقضاة الجسد العاري لموكتته (Hattre Phryne) التي أدبت بسبب جمالها وذكائها وتذلتها لحرمات الدين وتأسرها على الدولة، . . . يدافع عنها بالحجة الجنسانية التي تفيد بان من المستحيل ان تكون امرأة بهذا الجمال مذنبه. التراث يقول بان المحكمة قد برأت المتهمه. انها لقصة رائعة، ولكن لب الموضوع هو الظن الذي يدعوا الى الافتراض بانها يجب ان تكون مذنبه لانها جليلة، فالامر هنا لا يتعلق بالجمال بل بالحقيقة العارية.

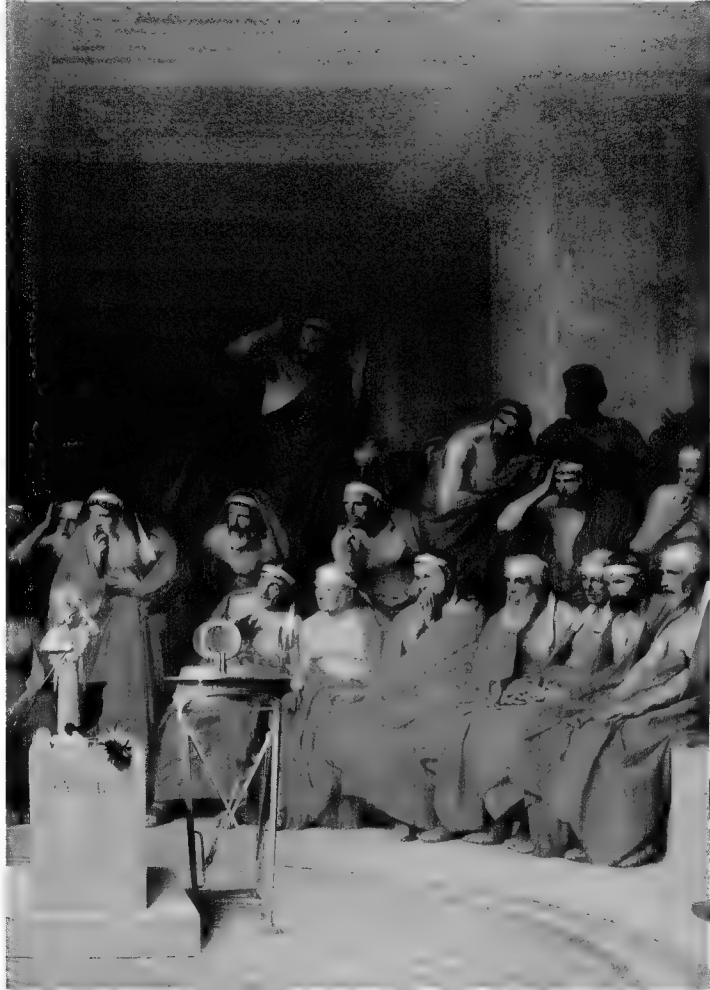
في هذا التشكيل للمشهد الشهواني تعيش فصلاً تنويرياً مدهشاً، فهناك الحركة / الوقفة الرائعة الملتفة للأنظار، فحينما يمزق الثوب عن جسد الغانية، يتمزق الحجاب ايضا عن السر الابدني لمصان بعباية. فهي تجابه عالم الرجال المشدود بالحقيقة الانثوية. انه لتحذ صارخ لا يطاق لجمع المجتمع الرجال الابوي في ذروة نفوذه وتسلطه . . . وتدخل الانثى التاريخ.

ماذا تفعل هذه السيدة العارية هنا ؟ بين كل هؤلاء الرجال المتوحشين الذين يمدون ذكائباً لتفسيراً جديداً للعالم لانهم لا يستطيعون تغييره. فورا مظهرها المشين في الأدب والفن (مدام بوفاري لفلويبر) تكمن رسالة السيمونيين اتباع القديس سيمون

ملاحظة :

الرجاء الانتباه الى التمثال الذهبي الصغير «الاثيني» (Athena) الذي لم يضعه جيروم، اعتباراً في المستوى الثاني للوحة. فهذا التمثال يُذكر بان مشاهدته الحقيقية ليست خالية من الخطورة. فحينها رأى تيريسياس (Theireias) الالهة عارية أصيب بالحلمى.

(١) مؤرخ سويسري للفنون والحضارة (١٨١٥-١٨٨٧) من اهم مؤلفاته : «أسطورة الشرق والغرب» .







فوس ويلندورف - حوالي ٢٠,٠٠٠ قبل الميلاد - حجر من فرائل التايل التي عثر عليها (المسحف التاريخي بريس)

يوهان ياكوب بَخُونُفُن : الابوي الذي اكتشف حُكْم المرأة قبل مائة عام

أوفه فيزل

موسس للمسجلات والنقاشات المسرحية بين المحافظين والليبراليين الذين كانوا يتحاربون وكيف حدث كل ذلك في القرن التاسع عشر. فشروحاته المليئة بالعواطف كانت مركزة على قبور التاريخ القديم وتصويرها للحياة والموت والخوف والأمل من خلال الرموز والميثولوجيات المحفورة عليها.

ثم توقف عن الكتابة لبضع سنوات، وبعد ما صدر له في عام ١٨٥٩ كتاب عنوانه «مقالة عن الرمزية في قبور القدماء»، ولكن احسداً لم يفهم ذلك الاكتشاف ورفض الناس الكتاب، وكان الاستكثار كبيراً، وبذلك عُرِلَ بَخُونُفُن عن طائفة العلماء بصورة نهائية، ولم يفاجأ أحد من افراد تلك الطائفة حينما اصدر كتابه «شرح الام» بعد ذلك، فقد كان ذلك الكتاب هراءً آخر في نظره. آنذاك كان يبلغ من العمر ٤٦ عاماً وكان يعيش مع اهله، وانه كانت قد توفيت قبل سنوات قليلة وكتاب «شرح الام» كان مهمل إلى الهم. تزوج بَخُونُفُن في عام ١٨٦٥ «لويزا اليزابيث بوكهاردت» التي لم تكن سلبية عائلة شهيرة، ويقال انها كانت جيدة جداً ونايقة. كان عصره حين تزوجها ٥٠ عاماً وعمرها ٢٠ عاماً وعاش معها في نظام منزلي قائم على المبادئ الرأسمالية كما عبر هو بكتيلته عن ذلك. ثم ألف بعض الكتب الأخرى وبلغ عامه الثاني والسبعين ولكن الشهرة جاءت بعد ذلك بفترة طويلة.

ففي بداية قرنا الحادي اكتشفه الـ (Koerniker) في ميونيخ وفهم لودفيغ كلايس وكارل فولفسكيل وجاءت نقطة التحول في العشرينات والثلاثينات، في علم النفس من خلال سيغموند فرويد وفيلهلم رايش وفي حركة تحرر المرأة وفي عالم الابد لدى جيرهارد هاوسمان وريلكه وتوماس مان وفالتر بينامين. ومنذ ذلك التاريخ وهو جزء لا يتجزأ من الثقافة العامة، ومنذ ذلك الوقت أيضاً والاساطير الثقافية تعرف على الأقل ما هو مفهوم «حُكْم المرأة» (Matriarchy) ومن هو بَخُونُفُن، مكشفتها. وقد كتب الكثير عن هذا الموضوع ولا يزال يكتب بدون انقطاع، مرة ثانية مرة رقصاً ومرة بشرح ومرة باعجاب ومرة باحتقار. ولا احد يعلم الحقيقة بالتحديد للظلال واسع جداً ولا يمكن الاطاحة به بهذه السهولة، فهو يمتد من عصور ما قبل التاريخ حتى التاريخ القديم ومن علم الآثار موراد بتاريخ الفنون والميثولوجيا وعلم النفس وحتى الانثروبولوجيا وعلم تاريخ الشعوب. ناهيك عن ان كتاب «شرح الام» لم يقرأه احد ورغم ذلك ثبت كالمصخرة ضد الامواج. غُسلَ عملاق في اكثر من ألف صفحة، صعب القراءة ولا يمكن الاطاحة به، مليء بعدد لا يحصى من التفاصيل التاريخية

في عام ١٨٦٦ ظهر كتاب بَخُونُفُن «شرح الام» الذي اصبح من أشهر مؤلفات القرن التاسع عشر. ومن المؤكد ان هذا الأمر قد شغله وكدر عليه مكانته العلمية برية. لكنه كان مستقلاً، فلو عاش في ايمان هذه لسة الناس مليوناً. كان بَخُونُفُن ينجح الى المعارضة في كل الامور. وهو سليل أسرة نبيلة وعريقة من «بازل»، وكان من شأنه ان يظل مع مصنع النسيج الذي تركه ابوه. لكنه أثر الرجل الى برلين، وهناك درس التدريس أولاً على اينديك (Boeckh) ثم القانون تحت اشراف سافيني (Savigny) الذي اعتبره بَخُونُفُن استاذته الدائم. ثم عاد الى «بازل» وحصل هناك على شهادة الدكتوراه، وسافر بعدها الى باريس ولندن في رحلة استغرقت عامين. في عام ١٨٤٩ عُيِّن استاذاً للقانون الروماني في جامعة بازل، وكان يبلغ من العمر ٢٦ سنة حينذاك. وقد كتب في صحف مدينة بازل مقالات احتجاج ضد المحسوبية وبهاية الاقارب، ثم تخلى عن منصبه في الجامعة وبدأ بالقاء المحاضرات كاستاذ مستقل دون ان يتقاضى راتباً، وكان الى جانب ذلك كاتباً في المحكمة الجنائية لفترة دامت ٢٥ عاماً. وكانت هذه مساهمته في اداء واجبه كمواطن في المجتمع. ورد في مذكراته: «لقد وهبني الله المنصب ولكن الشعب وحده هو الذي اعطاني الصلاحية لذلك». فقد كان متديناً وعافياً.

اشتغل لسنوات عدة في تأليف كتب عن القانون الروماني، لكن لم تلق نجاحاً لانه كان آنذاك يقاوم ضد التيار. وكتب ضد حرية الملكية وضد العقد الحرة (Freier Vertrag) أي ضد دعائم الليبرالية. ولم يكن مع مذهب «الحرية للجميع» وكتب ضد الليبراليين الذين كان يمثلهم في قلمه العلمي تيودور موسس. وكان حكمة على التاريخ الروماني المكتوب بانه مليء بثرة الرسائل وكلام التجار الفارغ. في ذلك الوقت سافر الى ايطاليا كرجل غني طبعاً وكاستاذ للقانون الروماني. وهناك تنور عقله بافكار جديدة عندما زار مقبرة فيا ايبا (Via Appia). وادرك فجأة ان موقعه الصحيح ولا شيء كان عليه ان يكرس حياته. وفهم آثار العالم القديم بصورة تختلف تماماً عن التاريخ المكتوب بغلانية وليبرالية في عصره وكذلك في عصرنا هذا. ان تدبنة وطيحه الرومانياتيكي مكنه من فهم الحياة في التاريخ القديم بشكل اعمق. وقد اصابت شروحاته عن قبور التاريخ القديم الهدف وكانت اقرب بكثير الى الاحساس بالحياة من وصف كتابات

الرجال حيال النساء وتكونت الحياة الزوجية، وهكذا عاشت امرأة واحدة مع رجل واحد، وسيطرت النساء وكان هن النفوذ في الدولة والحياة الزوجية على السواء.

بالتدريج اجبرت هذه السلطة على التراجع، أولاً في الدولة ثم في الأسرة، وكانت تلك مرحلة انتقالية إلى المجتمع الأبوي الرجالي، تلك المرحلة التي وصفها بختوفن بأنها عملية تحول روحية وانها تطور حضاري من الأنثوي المادي إلى الذكري الروحي، من المفطرة الانثوية إلى الحضارة الذكرية، من المادية إلى الروح. وفي النهاية تكون حكم الرجال، «انتصار الروح» بشكله المتطرف المتمثل بالأبوية الرومانية، بالسلطة اللاحدة للأب على أسرته، ثم «فكرة الدولة» بامبراطوريتها الرجالية.

لقد توصل بختوفن إلى هذه النظرية من خلال أبحاثه في رموز القبور، حينما كان يفكر في أسطورة إيزيس (Isis) وأوزيريس (Osiris) في مصر القديمة حيث عثر على إثباتات ذلك في أساطير العالم القديم. وكان ذلك فنه الكبير وتأويل الأساطير وتفسيرها. فعلى سبيل المثال لم يكن هناك أي تصور عن «حكم النساء» في الأوربسي (Orestie) ثم عثر بختوفن على دلائل لدى المؤرخين الاغريق. فقد ورد في وصف هيرودس لد (Lyktar) في آسيا الصغرى، انهم كانوا يسمون أبناءهم على أسماء امهاتهم وليس على أسماء الآباء. فبعد بضع سنوات من صدور كتاب «شرح الأم» جاءت المصادقة على ذلك من قبل علم تاريخ الشعوب وظهر كتاب «المجتمع القديم» (Ancient Society) لهنري مورغان (Henry Morgan) عام ١٨٧٧ الذي أصبح بعد ذلك تقديراً لكتاب فريدريك أنغلز (Friedrich Engels) «أصل العائلة» (Ursprung der Familie) وكان هنري مورغان قد اكتشف مبدأ الصلة ذا الحظ الواحد لدى الـ «Irokoese» الذين كان نظامهم أموميًا. ثم جاء اعتراض قوي من قبل علماء تاريخ الشعوب الذين كانوا قد درسوا عدداً كبيراً من المجتمعات التي كان الأطفال فيها يُسمون بأسماء الامهات (matrilinear) وليس الآباء، وكانت سلطة الرجال موجودة

والميثولوجية. مشتت من الاسماء التي ينسأها المرم بمجرد قراءته لصفحات تالية من الكتاب. كانت ليست سيفة ولكنها مريكة من خلال الحركة الدائمة للأفكار. فافكاره تحوم دائماً حول محور واحد وتعيد دوراتها حول بدايات تطور البشرية وتسلط المرأة (الأم).

يقول بختوفن انه على الرغم من ان النساء كن الجنس الاضعف جسدياً فقد فرضن ارادتهن على الرجال من خلال رجحان كفتهن في العبادة ومن خلال الطقوس الدينية، على القوة الجسدية للرجال. فرجحان الكفة في الشئام الدينية ولّد حكم المرأة. ففي البداية لم يكن الزواج (الحياة الزوجية) سائداً بل ساد «الهيرتزوموس» (Heirismus) أي نظام العشيقات، وهذا ما معناه الجنس الجماعي الحر (عدة نساء مع عدة رجال). أن اصل التقليد ان يُسمى الأطفال باسم الأم لا باسم الأب يعود إلى ذلك الزمان، كما روى هيرودس (Herodotus) للشعراء. فلم يكن من السهولة معرفة هوية الأب لعدم استقراره مع امرأة واحدة. ويرى بختوفن ان نظام العشيقات كان سببه تعسف الرجال إزاء النساء. على النقيض من ذلك بدأت مقاومة النساء في الامازون وشئن الحرب ضد الرجال، فقد كانت الامازونيات يعشن حياة غير مستقرة وملاى بالحروب، لكنهن مالبثن ان تخلين عنها بعد ذلك وينبن ممدناً في المناطق التي احتلنها وهكذا تكونت سلطة المرأة المنظمة و«شرح الأم» (Mutterrecht) الحقيقي، وانتهى تعسف



الوقوف المهاب، وفجأة أصبح بالامكان ان يناقش موضوع السلطة وبدأ عهد جديد لهذه الكلمة وأصبح الأبوي رجلاً عليه ان يبرر موقفه. لقد اعطاه بختوفن بعض الحجج لهذا الغرض، ولكن ذلك الأمر المتعلق بالأبوي المادّي والدكتري الروحي أي بالتطور اللاريجي من الفطرة الى الحضارة كان مبالغاً واضحة. ففي نهاية القرن التاسع عشر غاب ذلك التفاوت بين الرجل والمرأة ثم تلاشت قوة الاقتناع وغطت عليها الفكرة القائلة بان تسلط المرأة كان موجوداً في زمان ما حقاً. وشجع ذلك حركة تحرر للمرأة (Frauenbewegung) لأن تلك الفكرة كانت قد هزت خرافة تفوق الرجل الطبيعي على المرأة.

يوهان ياكوب بختوفن كان يعني في الحقيقة شيئاً آخر، ولكن ذلك لم يلعب دوراً كبيراً، فلقد كتب ضد التحرر وضد الديمقراطية. وكانت الأخيرة بالنسبة له هي المبدأ الأنثوي للسواد الأعظم اللامتبين، الذي ساد في بداية التطور البشري ثم حل محله المبدأ الذكري العقلي في التنظيم الاجتماعي «وحسن الحظ»، حيث ليس هناك مساواة. كتب بختوفن في مقدمة كتابه «شرع الأم»:

«ثبت التاريخ بشكل متكرر ان أوضاع الشعوب تظهر على السطح في نهاية تطورها. فدفرة الحياة تفود النهاية مرة ثانية الى نقطة البداية. ان البحث التالي يقوم بواجب مكروه، هو إثبات هذه الحقيقة الحزينة من خلال عدد من الحجج غير القابلة للدحض». وأذن، فقد قدّم للنساء والديمقراطية - وإن لم يشأ ذلك - خدمات جليلة.

في كل مكان. وعلى أساس ذلك استنتج أدوارد وسترمارك (Edward Westermarck) في كتابه «تاريخ الزواج في البشرية» (History of Human Marriage) ان تسمية الأطفال بأسماء الامهات وليس الآباء (Matrilinearity) ليس لها علاقة بتسلط النساء خلافاً لرأي الأثاريين، فمنهم جات المصادقة عندما اكتشف أرثور إيفانز (Arthur Evans) في حفرياته في كنوسوس في جزيرة كريت العالم الأنثوي للـ «مينور» (Minore) القدماء. وحينما عُثر على عدد كبير جداً من التماثيل الأنثوية في حفريات اثار العصر الحجري المتأخر، وُجد بعضهم آلهة أنثوية كانت حتى بالنسبة لبختوفن في اساطيره إثباتات متكررة على الغلبة الأنثوية في العبادة والطقوس الدينية. ولأنزال الآراء مختلفة ومتضاربة حتى يومنا هذا، فتقديم البراهين لايزال شائكاً وصعباً جداً. فمن تسمية الأطفال باسماء الامهات لايمكن للمرء ان يستنتج سلطة النساء، فالتاريخ هو غير الاساطير، وروايات مؤرخي الأغريق هي في آخر الأمر ليست أكيدة. فالعالم الأنثوي للـ «مينور» كان مُلوكه من الرجال فقط. فمن عدد كبير من الآلهة الأنثوية لايمكن استنتاج رجحان كفة النساء في الدين أو المجتمع.

وماذاً يبقى؟ لقد كان كتاب بختوفن قد وُجّه الانظار الى مجتمعات تلعب فيها المرأة دوراً يختلف عنه تماماً في بلاد الأغريق وفي روما وبقية العالم الغربي. فهذا الكتاب لفت الانتباه الى مجتمعات خائلية من سيطرة الرجال (Patriarchat)، وكان أول من زعزع الآسان بالامسة التي يسيطر فيها الأب والتي «بدايات» بآدم وحواء واستمرت حتى القرن التاسع عشر كصرح للرجال لايطال. ان «شرع الأم» قد اظهر نسبية وجهة النظر هذه وادخل القلق في نفوس الأبويين (Patriarchen). وهنا لم يُمد الأبوي ذلك الشيخ





الكيان النسوي في الاسلام - ملاحظات حول كتاب فاطمة المرنيسي الجديد

أردموته هللر

الموضع السائد في العالم الاسلامي لم يشوه المرأة وحدها بل انه عم على المجتمع الاسلامي بأسره. ان كتاب فاطمة المرنيسي هو تحليل ورائع لحضارة انبثقت عن مجتمع قبلي فوضوي كان هدفه الملح هو خلق دولة الله على الارض، وانطلاقاً من مبدأ (احكم وأمر). فكان اول ما نوحب هو كبح جماح الحرية الجنسية التي كانت مثالية قبل الاسلام والتي أصبحت فيما بعد أداة لخدمة ألهة الحكم أو بالأحرى الدولة المتمثلة بجلالة مجتمع الرجال. لقد ابتكرت كل الحضارات المتعددة طرقاً للسيطرة على الدافع الجنسي، فتتلمذت الحياة الجنسية في حضارة الغرب المسيحي يقوم على جعل المحرمات جزءاً من التفكير الاجتماعي. أما في العالم الاسلامي فقد كان الأمر على العكس من ذلك، فالنظام مفروض من خلال اجراءات وقائية وتدابير احتراسية شديدة الصرامة. وبالرغم من ذلك لم يلغ الاسلام الجنس في حد ذاته تماماً. حيث ان التصور المسيحي للمرد الخاطئ الجسد والروح، بين الغريزة والعقل وبين الخير والشر هو أمر غريب على الاسلام. فلم يكن هناك في الاسلام قدس كيولس، الذي قسم المرأة الى ام وعاهرة أو فيلسوف مثل فريدريك شيلر الذي حاول تجويز الصراع بين الروح والجسد بايتداعه فكرة المرأة الروحية. كذلك كان تفكير الرجال في الاسلام بعيداً كل البعد عن فلسفة وحب المعرفة والجنس المحايدين كما عند كانط وفيخته وهيجل وميتافيزيقاهم المشوهة حول الجنس والأخلاق. فبينما كان بولس الذ أعداء النساء في الدين المسيحي، والسذي ذهب به الأمر الى أن يرى ان من الحكمة ألا يلمس الرجل المرأة ولأنه لم ينجذ في الجسد خيراً، كان محمد يصرح بما يخالف ذلك تماماً: «أحب شيتين الى نفسي هما العطر والنساء» الحياة متعة والمرأة هي التمتع الكبير.

- أموار والخير والشر -

لقد وضعت الحضارة الاسلامية نظرية للغريزة الجنسية سبقت مفهوم الشهوة الجنسية ولفريد واعتبر الجنس في الاسلام القوة الطبيعية المحركة للحياة والعنصر الجوهري لاستمرار بقاء البشرية. فالجنس من حيث ذلك اذن أموار الخير والشر وتقويمه الاخلاقي يأتي جواباً على السؤال التالي: - الى أي مدى ينفع الجنس النظام الاجتماعي؟ أوبعضه؟ ففي الاسلام ادعت الغريزة الذكرية في نموذج المجتمع الابوي كسلطة خلافة فرضتها الإرادة الالهية، أما الجانب الانثوي من هذه الغريزة فقد اعتبر عنصراً هداماً لزم لجمه وكبح جماحه.

إن العلاقة بين الرجل والمرأة هي إحدى العلل الجوهرية التي أدت الى تدهور العالم الاسلامي: العلاقة هذه داه اشقى المجتمع وحكم على نصفه الانثوي بالعيش في شلل تام. تعود هذه الأحكام الى الفيلسوف العربي الاندلسي ابن رشد الذي عاش في القرن الميلادي الثاني عشر، في زمن كانت الحضارة العربية قد تحطت مرحلة الذروة، حينما كانت بغداد ذلك المركز السياسي الروحي الزاهي مهددة من قبل هجم جنكيزخان. وتلا ذلك التدهور السياسي فترة احتضار طويلة وصلت الى ذروتها المؤقتة من خلال الحركة الاسلامية المتعصبة في ايامنا هذه.

لم يصف ابن رشد بليلك حالة العالم الاسلامي في زمانه فقط، بل ان هذا الوصف ينسحب ايضاً على عصرنا هذا ويتناول وضعا يعتبره المنحرون من المفكرين العرب المعاصرين آفة العالم الاسلامي الاساسية. فليس من العجب اذن ان يحتل عدد من النساء مكانة دائمة في مثل هذا المحور. فحينما ظهرت الصالونات الادبية في مصر العشرينات كان للنساء مايكني من الشجاعة لاصابة الجمعيات الرجالية بالذعر من خلال افكار مثل الوجود النسوي الذي خلقه قطاع الحشمة المصطنعة منذ ايام شهرزاد وحتى الآن.

احدى تلك النساء الشجاعات هي المغربية فاطمة المرنيسي - استاذة علم الاجتماع في جامعة الرباط والتي يصدر لها كتاب جديد ظهر ايضاً بالانكليزية.

فاطمة المرنيسي - الجنس، الايديولوجية، الاسلام، ترجمته عن الفرنسية ماريا لوزيا كروت وبرونيلدا فينجر ميونيخ - دار النشر Frauenbuchverlag ١٩٨٧ / ٢٠٦ صفحة السعر: ٢٤ مارك ألماني.

تبحث فاطمة المرنيسي موضوعها هذا من خلال دراسة تفصيص التراث الاسلامي واستناداً الى تحقيقات صحفية واستفتاءات متعددة. المهم انها تكتب كل ذلك - وقيل كل شيء - كمعينة بالامر... كأمرأة. كانت جدة فاطمة قد بيعت الى احد رجال الطبقة المتوسطة في مدينة فاس، وامها كانت أمية. فاطمة نفسها انتفعت من حركة التحرر الوطنية في الاربعينات، حينما سمح للفتيات لأول مرة بدخول المدارس والجامعات. الفتيات اللواتي يستطعن اليوم كفاطمة التفوق والنجاح في الحياة العامة ولكنهن يقين خاضعات للتقاليد الاجتماعية في حياتهن الخاصة - تلك التقاليد التي كانت تحدد العلاقة بين الجنسين في العالم الاسلامي في زمن الخلفاء وأمرأة المؤمنين ولاتزال. فهذا

لاشك ان التحجب الاجباري والتصريق بين الجنسين واغلاق الابواب بوجه المرأة ومنعها من المشاركة في الحياة الاجتماعية هي صيغ مختلفة للتعبير عن احتشام مُزَيَّف للحضارة، بل انه رمز لقصور مجتمع رجالي تحكمه الغريزة المرضية للذكور وتجعله عاجزاً عن التعامل معها.

ترى فاطمة بان الرجل يخفي عجزه هذا من خلال رفاقته على المرأة وسجنها وحرمانها. فبالعكس، ان فرض الحجاب على المرأة وسد الابواب في وجهها لم يكن الا وسيلة وقائية لحماية الرجال منها، كما كتب قاسم امين الذي لم يكن الوحيد الذي عبر عن هذا الرأي، فالعالم الاسلامي باجمعه يعتقد بان المرأة هي الاكثر فعالية وعدائية في الحياة الجنسية.

ان كلمة الفتنة وكذلك ختان النساء يعكسان خوف المسلمين المتأصل من غريزة المرأة الجنسية «الفشافة بالرجال». فقد نعت المسلمون التمسكون بالتقاليد جاذبية المرأة بالفتنة التي ليس للرجل خلاص منها، والتي كان النبي عمده نفسه تحت رحمتها. ثم أصبح مصطلح الفتنة مرادفاً للقوضى والتخريب ولما ساءه فرويد وشريعة الغاب».

كان معنى التمدن لدى أكثر المفكرين المسلمين هو السعي الى السيطرة على سلطة المرأة المدمرة للرجل، ولم يخطر ببالهم بتاتا ان خطورة المرأة هي امر له علاقة جدلية بعدم تمتعها بالحقوق التي يتمتع بها الرجل. فلقد أدى استبعاد المرأة في جميع المجتمعات دائماً الى النتيجة التالية :-

اذا لم يكن للمرأة مصدر آخر لفرض نفوذها سوى جاذبيتها الجنسية، فليس أمامها الا استعمال هذه الهبة الطبيعية أوحى اساءة استعمالها بنفس القدر الذي يجرمها مجتمعها الرجالي من حقوقها وحرمانها.

وحينئذ تصبح النساء كالضباع ويبدأن بابتكار استراتيجيات جنسية لاطلاقه للرجال بها كما هو الأمر دائماً. ولاشك ان كليات شونيهاور هذه تبين صحة وصواب حديثه.

فرضية فاطمة المرزبني تقول :- ان تنظيم العلاقات الاجتماعية في العالم الاسلامي مردود الى الخوف من المرأة. ففصل الجنسين وزواج المصلحة وكذلك تعدد الزوجات الذي يؤدي الى عدم الالتزام بالحياة الزوجية واختياراً حرية طلاق الرجل للمرأة هي اساليب ضغط موجهة الى مقاومة الغريزة الجنسية الانثوية وفرض الرقابة عليها.



- الشورية /- حاملة الشر

تذكرنا هذه التسمية بأوروبا في القرون الوسطى ، حيث اعتبر حلة النظام الاجتماعي المسيحي الجنس الآخر عنصراً هداماً للبشرية لا يمكن علاجه إلا بقبضة حديدية شديدة الصرامة . ففي الوقت الذي كانت المسيحية قد بدأت بتخفيف حدة الفصل بين سلطة الدولة أي الكنيسة وبين الحياة الجنسية وحيث عُرِفَ الجسد بأنه حيواني ومُعَادٍ للحضارة ، لم يكافح الاسلام الجنس بذاته ، بل انه قَسَمه الى خير وشر واذلت المرأة تباً لذلك لانيها كانت الجفزة الشريرة ، في حين كانت الحضارة كلها متوجهة لاشباع الرغبات الجنسية للرجال .

تكتب فاطمة :- « اذا كان صحيحاً ان الحرية والاباحية الجنسية هما رمزاً للبرية ، فلقد مَدَّن الاسلام الحياة الجنسية للانثى فقط . اذ ان حياة الرجال الجنسية كانت ولا تزال تتضمن اباحية تحرر الرجل من القواعد التي وضعها المجتمع الاسلامي لنفسه بموجب والعقد الذي يحل العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة في الحياة الزوجية فقط . وبموجب ارادة الله المتمثلة بالشرعية . هذه المسألة تسري من جهة أخرى على المسيحية ايضا ولكن كحكم اخلاقي وليس كقانون يخضع من يخالفه للمحاكمة .

إن تمتع الرجل بحرية الطلاق يلغي المرتبة الاخلاقية للحياة الزوجية الى الحد الذي يمكن الرجل من تبديل زوجته حسب تغير رغباته الجنسية ، « وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيمت اعداءهن قنطاراً . . . » « قرآن كريم » آية ٢٠ من سورة النساء .

ومن لا يريد ذلك ! تفضلوا . . . فهناك زوجة جديدة من آن لآخر وحسب ماتشتهون .

لواقام الاسلام اخلاقياته الجنسية على مبدأ المساواة ، لأقر له بكل ما في الكلمة من معنى بأنه يتعامل مع الجنس بصورة أكثر واقعية من الغرب المسيحي وبأسلوب يتلاءم مع الطبيعة البشرية ، بعيداً عن أي رؤية طوباوية . ولكن ، عندما يستلني الاسلام نصفه النسوي من حق اتخاذ القرار في الحياة الجنسية ، فانه بهذا يلحق الضرر بالعلاقة بين الجنسين أكثر مما استطاعته مسيحية القرون الوسطى . ان الاسلام لم يحمّد ويحيط المرأة فحسب ، بل انه حكم على المجتمع بأسره بالشلل والعداية .

تسلسل فاطمة الرئيسي افكارها بطريقة مذهشة وتقدم من خلال دراساتها التحليلية والميدانية حججاً قاطعة وبراهين دامنة تؤكد ان فكرة ابن رشد لا تزال صحيحة الى حد الان .



بانوراما لافلام المخرج السينمائي الكبير يوسف شاهين: الرجل المرثي أبدا

سامي شاهين

وهكذا، راح شاهين، يخرج فيلماً تلو الآخر، مثل «ابن النيل» ١٩٥١، «المهرج الكبير» ١٩٥٢، «سيدة القطار» ١٩٥٢، «نساء بلا رجال» ١٩٥٣، «صراع في الوادي» ١٩٥٤، «شيطان الصحراء» ١٩٥٤، «صراع في الميناء» ١٩٥٦ «وانت حبيبي» ١٩٥٧ «ودعوت حيك» عام ١٩٥٧ أيضاً. خلال سبع سنوات، ظل شاهين، يقبل الافلام الاميركية الاستعراضية، تارة، وافلام (الحركة) تارة أخرى. قصص وصراعات، مرة من اجل امرأة، واخرى قصة الغيرة والسعي لامتلاك قلب الاخر، ولم تكن هذه الافلام بالنسبة ليوسف شاهين، سوى (دروس) في تعلم التقنية (ولتذكر قول الممثل كمال الشاذلي).

ومع مجيئ العام ١٩٥٨، ينجز يوسف شاهين فيلمه الجريء «باب الحديد». الفيلم الذي لم ينته اليه أحد إلا بعد عشرين عاماً من انتجائه. فلقد هاجم النقاد، والجمهور أيضاً، صانع هذا الفيلم، بجرأته على تصوير مشاهد قاسية من المجتمع. لا بل هذا هجوم بعنف شديد. قال شاهين ذات مرة «كنت واقفاً امام صالة العرض، في ذلك الوقت، وإذا بأحد المخرجين، بعدما علم انني خرج الفيلم، يعصق على الأرض، ويقول «هوده فيلم ده». وكان رأي هذا المخرج البسيط، مطابقاً لرأي النقاد آنذاك. وبقي هذا الفيلم، موضوعاً في الارشيف دون اي اهتمام. الى ان اكتشفه الفرنسيون ليصبح واحداً من كلاسيكات السينما العالمية، بل وواحداً من أفضل مئة فيلم في تاريخ السينما العالمية. فيعرضه التلفزيون الفرنسي، أكثر من مرة، ويعرض في لندن ونيويورك وطوكيو وبرلين، وعواصم أخرى، وكأنه قد أنتج البارحة فقط. حتى انه في العام ١٩٨٥ وأثناء مهرجان نانت (Nantes) للقرارات الثلاث (فرنسا) الذي خصص اسبوعاً تكريمياً لافلام يوسف شاهين، طلب الجمهور الفرنسي عرض «باب الحديد» للمرة الخامسة ومع ذلك كانت الصالة مكتظة بالجمهور! وبعد «باب الحديد» صور شاهين فيلم «جميلة» عن المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد، وكشف فيه بشاعة الاستعمار الفرنسي. وبعد هذا الفيلم، عاد شاهين، مرة أخرى، ورسم الفشل «باب الحديد» جماهرياً، الى تصوير أفلام كاثي بداماً في الخمسينات مثل «حبنا الى الأبد» ١٩٥٩، «بين ايديك» ١٩٦٠، «نداء

«مرضاش يخافم القمر السبا مرضاش تدوس البشر بعضها مرضاش مهاجر الجذور أرضها مرضاش...» طوال مسيرته السينمائية الممتدة من العام ١٩٥٠ وحتى الآن، صنع المخرج السينمائي الكبير يوسف شاهين، أكثر من ثلاثين فيلماً واثنا طويلاً، بالإضافة الى بعض الافلام التسجيلية. مع ذلك، فهو العام ١٩٥٠ الى العام ١٩٦٩، أي خلال مايقارب العشرين عاماً (اثنين وعشرين فيلماً)، لم يتمكن من ان يشير الانتباه كمخرج، الا في فيلمه الرائع «باب الحديد» عام ١٩٥٨ كممثل تصويره وإخراجيه. وكذلك فيلم «الناصر صلاح الدين» عام ١٩٦٣، كمخرج شاب تمكن من ادارة فريق ضخم من العاملين معه، وصور معارك كبيرة، تنافس، بجهاها، العديد من الافلام العالمية، خصوصاً الاميركية. ومع بداية العام ١٩٦٠، صار يوسف شاهين مخرجاً، لا فقط يشير الانتباه، وانما واحداً من المخرجين الكبار في السينما. ولعل المقطع، اعلاه، المقطع من اغنية فيلم «حدوتة مصرية» يلخص اتجاهه الجديد، في مخاطبة الوجدان الانساني، وحس الحياة والاخر، بعيداً عن الفهر والظلم والحق. ولد يوسف شاهين في الاسكندرية في ٢٥ يناير ١٩٢٦، في عائلة كاثوليكية. درس في مدرسة الاخوة المسيحيين، ثم المدرسة الانكليزية حتى الشهادة العليا، وبعد سنة من الدراسة في جامعة الاسكندرية وهو أمر لم يرق له، سافر الى الولايات المتحدة الاميركية، ليدرس التقنية السينمائية والتفتيل في جامعة باسادينا وقد عاد في العام ١٩٤٨ لينخرط في العمل السينمائي في مصر. في العام ١٩٥٠، بدأ شاهين بإخراج أول فيلم طويل له «بابا أمين» من تمثيل فائق حمامة وكمال الشاذلي. هذا الفيلم الذي قال عنه، الممثل الكبير كمال الشاذلي في العام ١٩٨٣ في تونس: «كان العمل في الفيلم مع الشباب يوسف شاهين، أكثر من مفاجأة لي وللعاملين. كنت قد عملت في افلام كثيرة مع مخرجين آخرين، ولكنني لاحظت ان هذا الشاب البافع، قد ادهشنا حينما صار يأمر بإخراج الكاميرا من الاستديو والخروج الى الشارع: الحياة. كما كان يهتم كثيراً بزوايا الكاميرا، وحجم اللقطات وضربتها...».

السينما. فمن المعروف ان هيئة السينما كانت، قد وقعت تحت سيطرة مجموعة من الضباط، ويوسف شاهين لم يكن قادراً على الصمت، لذلك حزم حقائبه ورحل الى بيروت. بالرغم من انه مثل «السكسة التي لا تمشي خارج الماء» أي انه لم يكن باستطاعته العيش خارج مصر.

في بيروت، عمل شاهين كمخرج منفذ للفيلم الاستعراضي الغنائي «ببائع الخوام» مع فيروز ونصري شمس الدين، ثم خاض تجربة اخرى في اسبانيا في فيلم «رمل من ذهب» مع فنانة حمامة.

ظل شاهين مزقاً في منفاه، غير قادر على الابداع، حتى جاءته اخبار تقول، ان الرئيس عبد الناصر شخصياً قد طلب عودة يوسف شاهين الى مصر وفورا. وهكذا تولى الصحافي الكبير محمد حسنين هيكل والصحفي المعروف لطفي الخولي والوزير عبد القادر حاتم، الاتصال بيوسف شاهين، وبإبلاغه برغبة الرئيس في عودته الفورية الى مصر.

ففي سنتي غيبابه، كان الكثير من سيطروا على مؤسسة السينما في مصر، خصوصاً العساكر، قد (شاغبوا) على يوسف شاهين عند الرئيس عبد الناصر متهمين اياه بأنه «يحب الاموال» ويتدخل كثيراً في شؤوننا، ويوقع صوته، ويثرثر ضد النظام... لكن الرئيس عبد الناصر، كان يرد عليهم، كما يقال في مصر، بأن «عليكم ان لاتنسوا أن شاهين هو الذي عمل الناصر صلاح الدين».

وهكذا، صور شاهين في العام ١٩٥٨ فيلم «الناس والنيل» مع سمحان حسني وعزرت العاليل ومحمود المليحي، فيلم عن «فناة السويس» وقد جاء نتيجة لاتفاقية تعاون بين مصر والاتحاد السوفيتي.

وفي العام ١٩٦٩، وعن رواية لعبد الرحمن الشراوي، أخرج شاهين فيلماً هاماً في مسيرته للسينائية وهو «الارض» هذا الفيلم الذي شكل نقطة كبرى في حياة شاهين، اذ أنه اكتشف، اكثر من اي وقت مضى، الطبقات المحسوبة في المجتمع، وترسخت عنده اكثر فاكتر مفاهيم الاشتراكية، التي اعتنقها منذ طفولته، ودون دراية بمعنى هذا المصطلح. وبعدما صور مجموع الفلاح وجبه لارضه ومقاومته للاقطاع، صور شاهين في العام ١٩٧٩، حالة الانفصال عند المثقفين اليساريين العرب، في فيلمه «الاختيار». وتبدأ الصحافه، وكذلك النقاد، بالتحدث عن شاهين كأهم السينائيين العرب، ونال في العام ١٩٧٠، التانيت الذهبي في مهرجان قرطاج السينائي في تونس.

بعد ذلك بنجح شاهين فيلماً تسجيلياً عن الاطفال لصالح (اليونسيف) ويصور فيلماً كبيراً بانتاج مشترك مع الجزائر هو «العصفور»، هذا الفيلم الذي اثار ضجة كبرى في العالم العربي واحدث نوعاً من المظاهرات، لا ليل ان الجمهور، في عودهم كثيرة، حطم زجاج نوافذ صالات العرض وابواها، فالفيلم يكشف بقوة وجراحة، حالة الفساد والتخايل في اجهزة السلطة وبين

العشاق» ١٩٦١، «رجل في حياتي» ١٩٦١، حتى توصل الى اخراج فيلم «الناصر صلاح الدين» ١٩٦٣، بمساعدة للنتيجة الكبيرة اسيا.

ولقي «الناصر صلاح الدين» نجاحاً كبيراً، اقل مما كان متوقفاً، وحال هذا الفيلم، مثل حال «باب الحديد». اذ تعود اليوم معظم الدول العربية، بما فيها مصر، الى عرض هذا الفيلم، وكأنه قد صنع لثبوته. وقد تم عرضه مؤخراً في القاهرة، ولاقي اعجاباً شديداً، بل ان هناك من تساءل عن سنة اخراجه، وكثيرون لم يصدقوا بأنه قد اخرج في العام ١٩٦٣. فبالاضافة الى المهارة الفنية العالية التي صورها يوسف شاهين، المارك الكبيرة التي دارت بين المسلمين والعرب ضد الصليبيين، صور، ايضاً، وبعميداً عن الشعارات الشوفينية ومشاعر الحقد تجاه العدو، اطلع الصليبيين الغزاة ومميجتهم ومكائدهم واطرحاتهم المتعصبة وغير الانسانية، وكذلك المرفقة الداعية الى «حماية المسيحية في الشرق»!



يوسف شاهين

لقد أدى الممثل احمد مظهر (بدور صلاح الدين الابوي) افضل ادواره على الشاشة السينائية، كذلك فعل صلاح ذو الفقار (بدور عيسى الصوام). وفي كل مناسبة يعرض فيها هذا الفيلم، يبتدي الكثيرون اعجابهم بمهارة شاهين، وفي ذات الوقت، يتذكرون فيلم «القنادسة» الذي لقي فشلاً ذريعاً، رغم تكاليفه الانتاجية التي وصلت الى ٣٥ مليون دولار. بينما اخرج شاهين «الناصر صلاح الدين» بمئة الف جنيه مصري آنذاك!!

وما ان ينتهي شاهين من تصوير فيلم «فجر يوم جديد»، حتى يقرر ان ينفي نفسه اختارياً الى لبنان حيث يبقى لمدة عامين. فقد كانت سنوات السينات، قاسية بالنسبة له. كان الرئيس عبد الناصر قد بدأ بتصفية الشوعيين، بلا راحة، ويوسف شاهين، وان لم يكن شيعياً، الا انه كان دوماً يساريًا وصديقاً حياً للشيعيين والماركسيين وكل التقدميين. كان شاهين ولم يزل، معجباً وبعباً للرئيس الراحل جمال عبد الناصر، لكنه لم يجتمل ما كان يتعرض له اصدقاؤه، كما لم يجتمل ان يحتاج المسكر مؤسسة



مشاهد من فيلم «اليوم السادس»



باتفاقية (كامب ديفيد) بين مصر وإسرائيل. واخرون رأوا ان يوسف شاهين قد تعاطف كثيرا مع يهود الاسكندرية. وانه صور بعض المشاهد فيها (بعض الصهاينة) وهم فوق نفس الباعرة التي يسافر بها بطل فيلمه.

وكان يوسف شاهين، يجيب على هذه الانتقادات العنيفة بطريقتين: الأولى، ضرورة مشاهدة الفيلم مرة أخرى، والثانية، ان قادة منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى رأسهم ياسر عرفات، قد شاهدوا الفيلم وابدوا اعجابهم الشديد به. وكان شاهين يستغرب ان يكون البعض (ملكيا أكثر من الملك) كما قال مصرحاً: «اني اعرف نفسي جيداً، واعرف مواقفى وعدائى الشديد لاسرائيل الصهيونية، ولكن عندما وجدت هذا النقد المزيّف والعنيف، وجدت ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الوحيدة التي بحثت لها ان تكون الحكم الفاصل بين ما هو لصالح فلسطين او ضدها، ولذلك سافرت الى بيروت وعرضت الفيلم على قادة المقاومة الفلسطينية».

واذا كان البعض قد اخذ على شاهين انه صور بعض (الحاخامات) على ظهر السفينة التي تحمل بطل فيلمه وهويته الى نيويورك، فان آخرين رأوا في العلاقة بين العامل اليساري (احمد زكي) وسارة (نجلاء فتحي)، علاقة تزواج بين عربي ويهودي، عذوب الى ابعد من ذلك.

فاذا كان والد سارة (يوسف وهي) الخائف من جيّه القوات الألمانية النازية، يقول (فلسطين يا ارض اليعاد) فان سارة تكتب رسالة لزوجها احمد زكي، تخبره فيها بانها حامل، وانها قررت الحرب مع عائلته من البلاد (اسرائيل) لانهم هناك يزيقون الواقع والمهوية، ويسارون الاضطهاد والقمع وكل الاعمال العنصرية. وهي برسالتها هذه، - رسالة فتاة يهودية - تكشف عن جوهر الصهيونية: العرقية، الانانية، الخقد، البطش بالآخر. مكونات دولة اسرائيل الحديثة. فاما كل هذه الحقائق التي يبرزها يوسف شاهين، يتساءل المرء، عن مدى زيف شعارات تلك البلدان التي هاجمت الفيلم ومنعت عرضه، كما يكشف عن زيف افلام كتابها وتبعية هؤلاء (الكتبة) الميكانيكية لايدولوجيا السلطة.

واذا كان شاهين قد اتى «اسكندرية ليه» بذهاب الولد الحالم الى امريكا ليلدرس في جامعة باسادينا التي درس فيها شاهين نفسه، فانه في «حديثه مصرية» عام ١٩٨٧، يرينا الولد وقد صار خرجياً سينمائياً، ويحصل على عدة جوائز تقديرية. وفي هذا الفيلم، يختار شاهين بداية لفيلمه وهي حين يكون منهمكا في تصوير اخر لقطات فيلم «العصفور»، وتشاهد محسنة توفيق، وهي تصرخ (حنحارب... حنحارب). ويصنف دوره نور الشريف) ويضطر الأطباء الى اجراء عملية جراحية على القلب وتلك العملية التي كانت تفصل بين موتى وحياتي، كما يقول شاهين.

وهكذا يحول شاهين العملية الجراحية الى مراجعة: محاكمة لكل مسار العائلة، والتاريخ ولساره هو نفسه مع الآخرين. فالاب

اسباب كثيرة وراء الهزيمة. وينزعج الرئيس انور السادات ايها انتزعاج، من ظهور هذا الفيلم، خاصة وانه في تلك الفترة كان يريد أن يؤكد أنه قد خرج منتصراً في حرب اكتوبر ١٩٧٣، وكان يريد فيلماً، بل افلاماً، تجسد هذا الانتصار، في الوقت الذي اخرج شاهين فيلماً عن الهزيمة ومطالبة الجماهير بعودة عبدالناصر ورفض وقف اطلاق النار، وضرورة مواصلة حرب التحرير العربية. وهكذا يعود شاهين مرة أخرى، الى قضاء فترة متقلداً، بين العواصم المصرية، بين دمشق وبغداد وعدن وبيروت وغيرها، ثم يعود الى القاهرة.

وفي العام ١٩٧٦، يصور يوسف شاهين، واحداً من أهم افلامه على الاطلاق، وهو «عودة الابن الضال» مع ماجدة الرومي واحمد حمز وشكري سرحان وهشام سليم. ومع هذا الفيلم يتخذ شاهين اتجاهه اخر في مساره السينمائي. فهو في هذا الفيلم، يصور غمقز العائلة العربية الكبيرة، ويتخذ موقفاً جريئاً ويدين قوى التخاذل وروح المساومة عند حركات اليسار العربي، ويكشف انتهازية الضباط الوطنيين ذوي الاصول البورجوازية الصغيرة، وخبائثتها لشعاراتها الوطنية. فطلبة (شكري سرحان) الذي كان ضابطاً في الجيش هو اليوم يمتلك مصنعاً صغيراً وداراً للسنيشا، في المنصع يضمطهد العمال (وياكل) حقوقهم، بل ويحتكرهم، وفي صالة العرض يقدم لهم الافلام التي تدفع مشاعرهم، والتي تتحدث عن الصراع العنيف من اجل التفوق الفردي، وهناك علي (احمد حمز) المهندس الذي كان مدافعاً عن العمال وحقوقهم، والذي ذهب الى المدينة وافرغ في ملذاته، ثم تم التامر عليه، ودخل السجن، وعندما يخرج من السجن، لمقابلة الرئيس، لكي يشرح له الحقيقة، ويكشف له عن المجرمين الحقيقيين، يشاهد الجماهير وهي تشيع جثان الرئيس، وهكذا، تموت الحقيقة التي اراد ان يقبلها علي. فيعود الى قريته خائباً وخنوفاً، ليعيش تحت سيطرة طلبة.

ويقوم يوسف شاهين، عرساً كبيراً، لزواج علي، الذي يكشف في ليلة الزفاف، بان طلبة لم يكف باستلاب اسلاك الاسرة والعمال بل وقد سرق (شرف) علي نفسه. وتنتهي حفلة العرس بمعاركة عنيفة، يموت فيها علي وطلبة والعروس والام، بينما يهرب الشاب (هشام سليم) مع عائلة عايلة صديقة نحو الاسكندرية. والاسكندرية عند شاهين، هي دوماً للملاذ الاكبر. وفي «اسكندرية ليه» الذي نال الدب القضي في مهرجان برلين السينمائي، (انتاج مشترك مع الجزائر، كذلك عودة الابن الضال)، يبدأ شاهين بتصوير سيره الذاتية. فالشاب (شاهين) نفسه وهو يلعب الدور محسن عي الدين، غارق في حلمه الاميريكي. بين استعراضات استروايز وعمل مسرح مشابه في مدينته، الى جانب حكاية هذا الشاب، يصور شاهين فترة هامة من تاريخ مصر ويطرح اسئلة كثيرة. وقد هوجم هذا الفيلم في عواصم عربية كثيرة، بل ومنع عرضه في العديد من الدول العربية. ذلك أن كثيراً من النقاد، رأوا في الفيلم، بداية الترحيب

حوارا حضاريا سلعيا بين شاب مصري وعالم فرنسي يدهي الحضارة بينا يحمل نوابا عدوانية . ذلك ان شاهين يؤمن بعمق بأنه ليس هناك شعب عدواني بكامله . ولذا هو يدعوا لاستخدام (السلاح الفكري جيدا . . . والسلاح الفكري هو الاقتناع ، وان الاقتناع بين شخصيتين ليس عملا ملمحيا . . . كما يقول شاهين . وهو يريد ان يصنع فيلما ملئاً بالمبارك الحرية ، كما فعل في «الناصر صلاح الدين» وانما اراد في «وداعا بونايرت» غنائية الوجدان الانساني . وقصد عرض هذا الفيلم لأول مرة خلال مهرجان «كان» لعام ١٩٨٥ ، غير انه لم يحصل على أية جائزة مثلما كان متوقعا من طرف بعض النقاد العرب ، وربما من طرف شاهين نفسه

بعد ذلك اتجه شاهين الى رواية الكاتبة اندريه شديد «اليوم السادس» ليصنع منها فيلما يحمل نفس العنوان . وكعادته غير الكثير من الرواية لتلائم مع السينما التي يصنعها . وهنا يقول شاهين «ان الكاتبة اندريه شديد ، بعدما شاهدت الفيلم ، قررت اعادة كتابة الرواية على اساس الفيلم الذي صنعته . وقد اهدى شاهين فيلمه هذا ، الى المخرج والممثل الامريكي (جين كيلي الذي ملا شبابتنا بهجة) . كما جاء في مقدمة الفيلم .

واليوم السادس» هو امتداد اخر لافلام السيرة الذاتية للمخرج نفسه . فاذا كان الشاب في «اسكندينية له» غارقا في الحلم الامريكي وحسب المسرح الاستعراضى ، والتجارب البسيطة التي يقيمها ، فهو هنا في «اليوم السادس» ، يرينا الحياة اليومية التي كان يعيشها هذا الشاب ، التأثير باستعراضات وحركات جين كيلي .

فـ (عوكة) يعيش احلامه البعيدة عن الواقع : الكوليرا ، الاحتلال البريطاني لمصر ، ونشوء تنظيمات وطنية هاهناك ، بينا (صديقة) قامت بالدور المغنية الفرنسية (الدايد) تعيش تمزقها الخاص ، تمزقها من زوجها المشلول ، العاجز ، ومع طفلها الوحيد المصاب بالكوليرا ، وفي الوقت ذاته تعاني من قسوتين : قسوة المجتمع الذي تعيش فيه ، وقسوتها هي نفسها ضد نفسها

وهناك شخصيتان رئيسيتان في هذا الفيلم : (عوكة) الشاب الذي يداعب قوته (روز) ويعيش كمخرج في المدينة ويحمل بان يصبح نجما استعراضيا في السينما ذات يوم . وهو يخفي في اعماقه ، قصة حب قديمة لـ (صديقة) . وشخصية (صديقة) التي ارادها شاهين نموذجا للمرأة التي تدمر حياتها بنفسها ، كي ترضي المجتمع الذي تعيش في وسطه . فزوجها مشلول منذ سنوات وغير قادر على الحركة ، وطفلها الصغير مصاب بالكوليرا ، وهي تعرف حب عوكة لها ولكنها تخشاه ، لانه يفكر كل اصحابها ، وهذا ما لا تريدة هي .

ويسبدوان موقف شاهين ، نفسه ، قد توافق مع موقف المجتمع الذي تعيش فيه (صديقة) ، لذلك نراها ، تلهب بعيدا ، بعد موت طفلها ، دون ان تقبل حب عوكة ، لانها تكبره بعشرين

(عمود الميجي) عاجز عن القيام باي شيء ، بينا الام مهتمة بـ (الحجاري السايون) كما يقول الاب ، بل ويحاول تزويج ابنتها من التاجر الذي يتعامل مع الانكليز ، لانه «يلعب بالفلوس لعب» ، خوفا من ان يقتصبها عسكري انكليزي (بينما البلد كله مقتصب ، كما يرد الابن) هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، تشاهد مسار المخرج يحيى بدنا من «باب الحديد» و«جميلة» وانتهاء بـ «الناصر صلاح الدين» و«المصفورة» . . . ويرزق لنا يوسف شاهين في هذا الفيلم الصعوبات التي تواجه المبدع الحقيقي في البلدان العربية ، وكذلك تجاهل وسائل الاعلام الغربية ايضا ، لانتاجات العالم الثالث .

كما نشاهد ، انه بعد الفشل الذي لقيه «باب الحديد» - انذاك - يحاول ان يجاري المنتجين ، بكتابة سيناريوهات تحتوي على مشاهد اغراء مبتذلة . وعندما يحاول ان يصنع فيلما يقول فيه بعض الحقيقة ، مثل «المصفورة» يهدده القريب بفحصه من خلال



يوسف شاهين

اسرار حياته الشخصية : (اذا بلستم فاستروا) يقول الزبيب . ويرد المخرج : (فاستروا) مش انتحروا) . وهو يرد بذلك على عقلية رجعية متخلفة تمسك بزمام السلطات في اجهزة الانظمة العربية . وفي العام ١٩٨٤ ، ونتيجة لاتفاقية ثقافية بين مصر وفرنسا ، يصنع شاهين فيلمه «وداعا بونايرت» . وهو ليس عن بونايرت وعزیزته ، بقدر ما هو مثل ما ارادها شاهين ، استكبالا للمسار الذي بدأه ، بسلسلة افلام السيرة الذاتية . وقد واجه «وداعا بونايرت» عند انجازه مشاكل كثيرة في مصر ، هوجم من قبل الشاعر عبد المعطي حجازي ، وكذلك من الصحافي لطفي الخولي ، لانها يعتقدان بأنه ليس من حق شاهين ان يستفرد بعمل فيلم يتحدث عن جزء هام من تاريخ مصر . ولكن شاهين يتنصر ، بعدما يقتنع الجهات المصرية والفرنسية ، بالسنياريو الذي كتبه ، والذي ارادته جزءا من سيرته الذاتية .

لقد احتج يوسف شاهين ، على موزعي فيلمه ، لانهم قدموه باعتباره فيلما من الافلام التاريخية الضخمة : بينا شاهين اراد

وإذا كان «باب الحديد» فاصلة بين سلسلة افلام معينة، فإن «عودة الابن الضال» كان فاصلاً كبيراً، بل منعطفاً هاماً جداً في مسيرة شاهين السينمائية والفكرية. ففي هذا الفيلم يكشف شاهين عن التمزق الذي يعيشه العالم العربي، من خلال تمزق أسرة، تسودها العلاقات الغفنة وروح المساومات والشهوات (اللاصحية) كما يسميها شاهين.

في «عودة الابن الضال» كان طلبة (شكري سرحان) هو نموذج الضابط الوطني، الذي سيطر على الأسرة/ الدولة. فصار يروج لهم الافلام الرديئة/ الثقافة (من خلال صالة العرض التي يمتلكها) ويستغل عماله في مصنعه (خيانة الطبقات المسحوقة في المجتمع)، بينما يعمل (علي) (أحمد عز) نموذجاً للشكف النقابي، الذي غرق في ملذاته في المدينة عندما اندمج في طبقة اخرى من المجتمع - طبقة الحفلات والسهرات. وتؤدي به هذه الحياة الى السجن. فهو في كل الاحوال، لم يكن من تلك الطبقة، بل اداة يبلدها، وعندما يعود على اقربه، خائفاً وكذا قوى التحرر العربية اليوم) فإن العمال يحاولون تذكيره بمواقفه وشعاراته القديمة.

ولكن بعد فترة قصيرة من المراوغة، الامر الذي لا يعجب شاهين، لأنه لا يعيش الصراع الذي لابد ان يحدث، نجد على وهو يعمل سلاحه لقائلاً طلبة، ذلك العسكري. انها رسالة واضحة من يوسف شاهين لحركات التحرر والتنظيسات اليسارية. . والفيلم تصوير دقيق لما يعيشه العالم العربي اليوم بكل فئاته واحزابه. فالانظمة البورجوازية، لم تكف بخيانة شعابها، وانما مارست قمعا وحشيا ضد شعوبها، وهذا مايقوله بوضوح «عودة الابن الضال» بالإضافة الى ان هذا الفيلم، يبقى من اجمل الافلام الغنائية العربية على الاطلاق.

ولما شعر شاهين بأنه عاجل في «عودة الابن الضال» لب المشكلة العربية، ينتقل الى سبرته الذاتية الى ما يرغب هوان يقوله بكل صراحة ووضوح.

وذهب شاهين الى ابعد ما توقعه الآخرون، في نقد المثقف والاسرة والمجتمع. ففي «حداثة مصر» نجد عفونة العلاقات الداخلية في المجتمع. وقد انتقد الكثيرون شاهين لجرأته هذه. ذلك انه يرثى الى الابد العاجز، والطفل المهمل، بينا الام تغازل رجلاً آخر. تلك الام التي تكبت في افعالها رغبات عميقة مزججة منذ زمن طويل. ويعيش الابن - السينمائي، منشغلاً بلهاه وبافلامه، تاركاً، زوجته تأمل وتتوهم بسبب أنانيته واستغلالها لغيرها ولا مبالاته الفاتلة. وكلما وجد صعوبة التجا الى (هزيمة) تلك المرأة الشعبية القتية (سلطة اللسان) والجرئة. هزيمة، وحدها تكشف ايضاً، حالة الانقسام عند هذا السينمائي، عندما يسأل الشاب الذي يعشق ابنته عن (أصله وفصله).

وظل شاهين جريئاً حين، اخرج «وداعاً بونابرت» وصور من وجهة نظر اخرى، حلة نابليون على مصر، كمحملة غازية استعمارية، لكنه ايضاً بين بعض الانجازات الحضارية التي جلبتها

عاماً. ويعتبر شاهين ان موقف (صديقه) يدخل ضمن مفهوم صراع الاحيال السائد في مجتمعاتنا العربية.

وهكذا، فإن شاهين ومنذ العام ١٩٥٠، بداية عمله في السينما وحتى العام ١٩٧٠، كان يصور كل عام فيلماً واحداً واحياناً، فيلمين في كل عام. ولكنه منذ «الاختيار»، صار يخرج كل عامين فيلماً واحداً، واحياناً فيلماً واحداً كل ثلاثة أو أربعة أعوام. وإذا كان شاهين قد صنع حتى اكثر من ثلاثين فيلماً (ومعظمها تتماز بتقنية عالية) الا ان القاد وبجي السينما سوف يتذكرون، دوماً، عشرة افلام منها وهي - حسب سنة انتاجها - «باب الحديد»، «الناصر صلاح الدين»، «الأرض»، «الاختيار»، «العصفور»، «عودة الابن الضال»، «استكبرية ليه»، وحده «مصرية»، «وداعاً بونابرت»، «اليوم السادس».

يوسف شاهين... الوعي الاجتماعي - السياسي

منذ طفولته، لم يكن يوسف شاهين، يحب السينما، فحسب، وإنما كان يحلم بالعمل فيها ومن خلالها يعبر عن احلامه ورؤيته لما حوله. وكان شاهين مغرباً، في مراهقته، بعالم الاستعراضات الغنائية الكبيرة، حيث الرقص والدخان والالوان والحركات شبه (الهلوانية) وحكايات الحب التي تنتهي بالنهايات المرسومة جيداً.

وبعد العام ١٩٥٨، بدأ الوعي النقابي عند شاهين، عندما أصبح يلتفت الى فئات اخرى من المجتمع، وهذا ما قاده الى اخراج «باب الحديد» وكان قبل تلك المرحلة، لما يزل متأثراً بالسينما الاميركية، وصراعات (البطل). «باب الحديد» كان نقطة تحول كبيرة في مسار يوسف شاهين، فهو، الى جانب تطوره العسكري واحتكاكه الشماي باليسار المصري، وايضاً الى جانب النهضة الثقافية الكبيرة في بداية الستينات، وقمة صعود الناصرية، وشعارات التناخي بين المواطنين، بعيداً عن المعتدات الدينية، كشعار (الحلال والصلب)... هيا الظروف، لانجاز «الناصر صلاح الدين» وفيه بين شاهين قوة السامع والمعالجة عند القائد الاسلامي الكبير صلاح الدين الايوبي.

كما قاده وعيه الفكري الى المنفى، عندما بدأ نظام عبد الناصر باعتقال وتعذيب الشيوعيين. ثم جاء «الأرض» ليتوج فضيحة الفكري وموقفه من طبقات المجتمع، بانحيازه الى الفلاحين والعمال، وإلى طبقات المجتمع المسحوقة. لكنه في «الاختيار» صار يجمل فئة اخرى من المجتمع، وهي فئة المثقفين وموقفهم من الهزيمة. ذلك المثقف الذي يعيش حالة انقسام مدمرة. ومع فيلم «العصفور» أصبح شاهين يعلن رايه بكل قوة، مدنياً العناصر التي ادت الى الهزيمة المصرية في ١٩٦٧. . . ومطالباً بمواصلة تحمل المسؤوليات والاعداد لحرب التحرير.

من موهبة واحدة وهي السيناريو، وعلى الرغم من أن النقاد يسخرون، دوماً، من أفلام المخرج حسن الإمام، إلا أنه ظل أميناً للأفلام التي يصنعها، بل وشكل مدرسة في السينما المصرية، ويجالو الكثير من المخرجين الشباب، تقليده ولكن بشكل رديء. وما يقصده المخرج الكبير حسن الإمام (نعم المخرج الكبير)، هو أن شاهين، رجل شديد الحساسية، سريع الاستيعاب، قوي المخيلة، كما أنه يحب السرعة في قول الأشياء، بعيداً عن المطر واللف والدوران. وهذا ما لا يرتاح إليه كثيراً المخرج العربي.

وإذا كانت معظم أفلام يوسف شاهين الأخيرة عبارة عن لوحات تتطلب من المخرج تجميعها، وربما تفسيرها بأكثر من تفسير، فإن شاهين لا يستطيع التركيز على موضوع واحد، يبدأه، ثم يسرح عالم فيلمه وأخيراً ينتهي به بدونه أيضاً. غير أن شاهين، وهو دوسا يفعل ذلك، يعطي المخرج كمية كبيرة من الصور: اللوحات، التي غالباً ما تأتي للمخرج البسيط، صعبة ومقلقة. وشاهين يرد على هؤلاء الناس بأنه لا يبيع (الحشيشة) ولا يريد متفرجاً يدخل إلى أفلامه لكي يخرج مرتاح الصبر!

إن يوسف شاهين هو من أكبر المخرجين الذين يعتمدون على القطع السريع. وهونافس كبار صانعي السينما في العالم، خصوصاً في أمريكا. وهذا ما يدل على القدرة العالية للمخيلة عند يوسف شاهين، الذي لا يستطيع أن يتخيل أي جملة بقولها بعداً عن أن تكون مرئية. وهو بهذا يعدّ الرجل المرئي الأكبر في عالم السينما العربية. ورغم أن شاهين لا يحب (الأميركان) فهو يخرج من طراز أميركي، متأثر بالسينما الأميركية وأسير هذه السينما مهما حاول أن ينفي ذلك.

ولسؤال شاهين الاعتماد على أسلوبه هذا، أسلوب اللوحات الكثيرة، فإنه يسبق في مطب الشكل (المسرعي). وهذا ما حصل في «اليوم السادس» إذ أن هذا الفيلم، كان مسرحياً، في أغلب مشاهد، ومساحة الحوار فيه تغلبت على الصورة بشكل لا تجده في معظم أفلام شاهين السابقة. بينما فيلم «وذاعا يونابر» كان، من السرعة، بحيث كان للمخرج يبقى مندهشاً، وهو يجالو تذكر اللمعة السابقة. فاشهد عند شاهين غالباً ما يكون عبارة عن لفظة والمكس صحيح.

لقد قال يوسف شاهين، في معظم أفلامه الأخيرة، أشياء كثيرة، لم يستطع أي سينائي عربي التحدث عنها، كما أطلق شاهين، سينما السيرة الذاتية كأول مخرج عربي يتطرق إلى هذا النوع من السينما، وهكذا نجد أنه في السنوات الأخيرة، أصبح العديد من المخرجين العرب الشباب يسرون في هذا الاتجاه. إن شاهين هو شاعر السينما العربية، وهو السينائي الأكبر في العالم العربي، وهو واحد من كبار المخرجين في السينما العالمية. وهو الرجل المرئي حقاً، والماشتق الكبير للسينا التي تسيطر على حياته تماماً بحيث أننا لا نستطيع أن نراه يعيش منفصلاً أو بعيداً عنها.

معها تلك الحملة، كما أنه أكد أن شعب مصر ليس أقل قيمة من الشعوب الأخرى. فلقد استطاع (علي) بحواره وقوة حبه لوطنه، وخلفيته الحضارية، انتاع العالم الفرنسي كاتاريلي بخطا كل معانيه حول الشعب الذي جاءوا لاحتلاله. وهكذا هزم العدو، من خلال السلاح الفكري، والمخاطبة الوجدانية. كما يقول شاهين.

غير أن شاهين لم يكن شجاعاً حقاً، في فيلمه الأخير «اليوم السادس» فلما (صديقة) ترفض حب الشاب (عوكة) لأنها تكبره بعشرين سنة. وشاهين موافق على هذه النظرية، بالرغم من أنه، كما يقول دوسا، لا يؤمن بصراع الأجيال. بل أنه يؤمن، بأن صاحب التجربة الكبيرة، عليه أن يمد يده لمن يحتاج إلى التجربة، بعيداً عن الفوارق الأخرى، المأشوية. إن صديقة في «اليوم السادس» بقيت، حتى آخر لحظة، قاسية مع نفسها، وقامعة لحب الشاب عوكة. وشاهين وقف موقفاً، حليماً. وأهوى القصة، برحيل صديقة، وتركها للشباب وحبه. بالرغم من أنها كانت تملك في أعماقها رغبة قوية لذلك الشاب، الذي لم يجالو هو الآخر لها. وربما لحوال الشاب (اغصانها) لكان من المؤكد أنها ستقبل تلك العلاقة، وتذهب بعيداً عن منافع مجتمعه القاسي. لكن شاهين. فضيل، كما يحب دوسا، لعبة (العيون) التي تصرح بكل نوايا أصحابها.

السيناريو. . . والاخراج

في بداية فبراير من هذا العام، توجهنا إلى شاهين بالسؤال عن عمله الجديد. فأجاب، بأنه ينتظر أن ينتهي من كتابة السيناريو الذي كتبه حتى الآن أربعة مرات، وسيعيد كتابته مرات أخرى، ربما، ولكنه كان متأكداً من أنه سوف يقوم بتصويره قبل نهاية هذا العام ١٩٨٨.

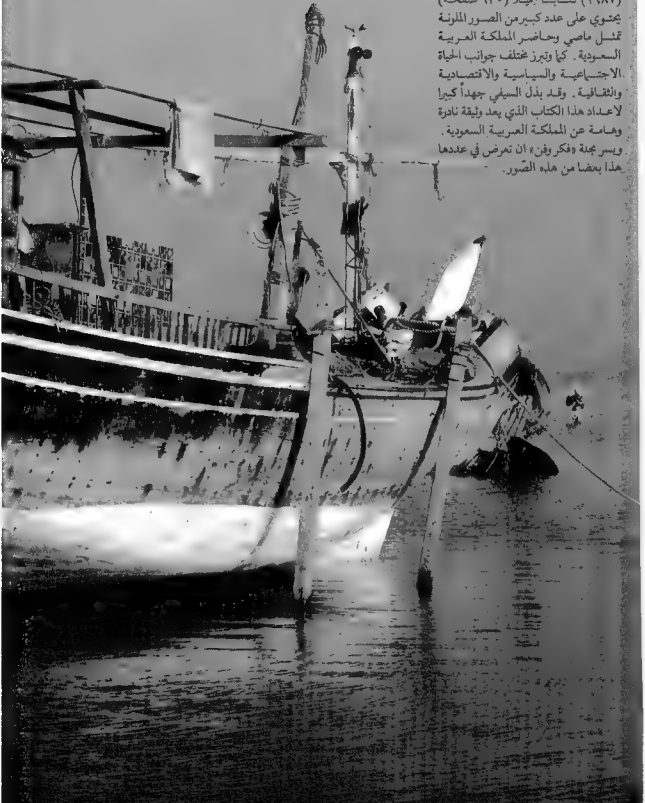
وحكاية يوسف شاهين مع السيناريو، طويلة، والعديد من النقاد ويحيي شاهين، يرون أن شاهين لا يستطيع كتابة سيناريو لوحده، خاصة وأن تجربته بكتابة السيناريوهات مع آخرين، قد أثمرت عن أعمال كبيرة مثل «باب الحديد» و«الأرض» و«المصفر» وأفلام أخرى قديمة، رغم موضوعاتها البسيطة، والتي تمكن شاهين من أن يصنع منها أفلاماً تجارية جيدة.

غير أن يوسف شاهين، لا يؤمن بهذه الآراء. . . وهو يصبر على أن قادر على كتابة سيناريوهات أفلامه. لأنه هو الذي يتخيل ما يريد بالضبط. وربما كان هذا صحيحاً جداً بالنسبة لأفلام السيرة الذاتية. . . ولكن أيضاً هناك موضوعات كثيرة يمكن التعاون فيها.

لقد قال مرة المخرج الراحل حسن الإمام، «إن الله أعطى يوسف شاهين أكبر موهبة سينائية عندنا، ولكن الله حرم شاهين

المملكة العربية السعودية من خلال الصور:

أنجز مصوّر جزائري يدعى السيفي يعيش في ألمانيا الاتحادية (ميونيخ) منذ أكثر من عشرين عاماً خلال العام الماضي (١٩٨٧) كتاباً جيلاً (٦٣٠ صفحة) يحتوي على عدد كبير من الصور الملونة تمثل ماضي وحاضر المملكة العربية السعودية. كما وتبرز مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. وقد بذل السيفي جهداً كبيراً لأعداد هذا الكتاب الذي يعد وثيقة نادرة وهامة عن المملكة العربية السعودية. وبسر محبة وفكر رفيع أن تعرض في عددها هذا بعضاً من هذه الصور.





مرور مائتي عام على ميلاد أب الاستشراق الالمانى : فريدريك روكرت : عبقرى اللغات

وأثناء تلك الفترة أيضاً، ألف المسرحيات، مستمداً بعض موضوعاتها من الأساطير الشرقية، ومن حكايات ألف ليلة وليلة. ورغم فشله في هذا المجال، فإنه واصل تأليف الروايات التمثيلية. وكانت آخر مسرحياته مستمدة من التاريخ الارمى القديم.

وكن كل من عاصروه، سافروكروت الى ايطاليا، وفيها أقام مدة طويلة. وبعد عودته، زار مدينة فيينا التي كان يعيش فيها جوزيف فون هامر- بورغستال (Joseph von Hammer-Purgstall)، استاذ اللغات الشرقية. وعلى يديه تعلم اصول اللغة الفارسية في أسابيع قليلة. وفي هذه المرحلة بدأت حياة روكروت الفعلية.

أقام العالم الشاب في مدينة صغيرة. وكتب على نسخ ما كان بين يديه من الكتب والمخطوطات الشرقية. ورغم انه كان يشكو العزلة عن أسواق العلوم الشرقية، فإنه وضع في تلك الفترة اساساً متيناً لأثاره المستقبلية. ولم يكتب بنسخ الكتب بغاية الاجتهاد فحسب، بل اضاف الى الفنون ملاحظاته الشخصية، وصنح أخطأها. كما ترجم ما استحسنه من كل الفنون التي اطلع عليها. وتأثراً بملولانا جلال الدين الرومي، صاغ أشعاراً على طريقته. كما صاغ أيضاً أشعاراً على طريقة حافظ الشيرازي. وبعد ذلك شرع في ترجمة القرآن. وفي عام ١٨٢٢، ترجم مقامات الحريري ترجمة رائعة قريبة من الاعجاز.

وزعم نفوره من التدريس، فإنه اضطر الى قبول منصب استاذ في جامعة أراين (Erlangen) في بافاريا الشمالية وذلك بسبب المضايقات المادية التي كانت تضغط عليه بشدة.

وخلال اقامته في أراين، احسن بالسعادة وسط كتبه ومخطوطاته وبين افراد عائلته. وقد ترجم في هذه السنوات قسماً كبيراً من الاشعار العربية المشهورة، ومنها ديوان الحماسة لامي ثم بكاملها، فضلاً عن ترجمات اخرى عن الاداب الهندية والفارسية. وفي هذه السنوات ايضاً نظم آلاف الأشعار التي وصف فيها تجاربه الذاتية، ويسنانه الذي كان مغرماً به، وكل ماحدث لعائلته التي كان متفانياً في حبها. الى جانب كل هذا نشر قصائد وحكايات استمد مواضيعها من كتب التاريخ الاسلامي.

تحفل المائتا هذا العام بمرور مائتي عام على ميلاد أب الاستشراق الالمانى : فريدريك روكرت Friedrich Rückert (١٧٨٨-١٨٨٨) وبهذه المناسبة، تقام في كل من مدينة «شفابنغورث» (Schwäbengurt)، حيث ولد، و«ارلاتن» (Erlangen) و«كوبورغ» (Coburg)، حيث عاش ودرس، احتفالات تتضمن معارض، ومحاضرات، وقراءات لشعاره، وحفلات للرقص المصوري والشرقي. وتتواصل هذه الاحتفالات من ١٤ مايو/ أيار ١٩٨٨ الى شهر ديسمبر/ كانون الأول القادم. ومعلوم ان هناك جائزة احدثت عام ١٩٦٥ باسم «جائزة فريدريك روكروت»، وهي تمنح كل ثلاث سنوات لشخصية أدبية أو علمية ساهمت مثلاً ساهم روكروت في تقارب الثقافات والشعوب.

ولم يكن فريدريك روكروت مستشرقاً كبيراً، وإنما قلداً للآداب الشرقية فحسب، وإنما كان أيضاً شاعراً ملهماً. وكان الشعب الالمانى يردد اشعاره بمحبة كبيرة خلال القرن التاسع عشر. ولا يزال الاطفال الالمان يرددون الى حد يومنا هذا أبياتاً من القصائد العذبة التي كتبها. وقد صنف الموسيقار الموهوب «شوبرت» الحاناً من قصائد روكروت الغرامية.

ولد فريدريك روكروت عام ١٧٨٨. وهو ينسب الى عائلة حاكم في مدينة «شفابنغورث» تقع شمال بافاريا. وقد وصف في أشعاره الطيبة الخلاصة التي نشأ بين أعضائها. وعندما شب، درس اليونانية واللاتينية في جامعي هایدلبرغ وينا (Jena)، ودافع عن أطروحته في اللغات القديمة وفلسفة اللغة التي تقدم بها عام ١٨١١. وقد انتهى في بحثه العلمي هذا الى ان اللغة الالمانية تتضمن على امكانيات سائر اللغات. ولهذا هي تشكل اللغة المثلى التي بإمكانها ان تبي خصائص كافة اللسان. وقد اراد هذا الرأي الجديد مناقشات عنيفة بين اساتذة اللغة. غير ان العالم الشاب ظل متشبهاً برأيه هذا. وبعد سنوات طويلة اظهر ان الروح الالمانية هي وحدها التي تتمكن من استيعاب خزان الاداب الاجنبية، دون ان تفقد خصائصها الذاتية.

لم يقن روكروت بالحيلة الجامعية ولا بالتدريس. ولهذا السبب، ترك جامعة فينا، وعاش شاعراً حراً وذلك في فترة حروب الاستقلال في المانيا. وقد نظم قصائد حماسية دعا فيها قومه لمقاومة نابليون. ولا تزال هذه القصائد مشهورة الى حد هذا الوقت.

وكان في شيوخه قد نسي النطق الصحيح لعدد من الكلمات مع انه كان يحفظها من ظهر قلب، يعيد كتابتها. ذلك انه لم يسافر قط الى بلاد الشرق، ولم يشاهد رجلا من العرب أو من الفرس أو من الهند طوال حياته. وكان تعلمه للغات مقصورا على الكتب وحدها. واهتم روكرت بالدراسات اللغوية المقارنة. ورغب في تأليف كتاب عن النحو المقارن للغات السامية. إلا انه عدل عن ذلك في مابعد.

وكان هدف روكرت الاعلى في بحوثه هو البرهنة على ان اللغات كلها فروع من أصل واحد، وإن من عرف الكثير منها، وجد مفتاحا الى قلوب الناس، واستطاع ادراك الوحدة الاصيلة للبشرية، تلك الوحدة المسترة وراء اللهجات المختلفة. وكان مقتنعا بأن اللغات لاتعدو في مختلف أشكالها ان تكون افصاحا عن الروح الالهية المطلقة (الواحدة) التي تنعكس فيها على وجه ثلاثي: في الفرع السامي للغات، وفي الفرع الهندي - الجرمانى، وأما الفرع الثالث فيشتمل على كل ما تبقى من اللسان، من الصينية الى هجات القوقاز. ولا شك ان هذه الافكار لا أساس لها من الصحة. غير انها بنت تلك التخيلات التي كانت سائدة في ذلك العصر في ألمانيا. ومع ذلك فاما تدل على هدف روكرت الاسمى وهو ان يثبت بواسطة بحوثه العلمية وتراجمه الشعرية عن اللغات الاجنبية وسدلة الاحساس عند كافة الاقوام، وأن يبرهن بذلك على ان العشق هو في الاقاليم السبعة، وفي قديم الزمان وحديثه. ولذلك كتب عند ترجمته «ديوان الحياصة» ابياته العجيبة التي يقول فيها: ان الشعر في اللغات جميعها لغة واحدة لدى العارفين. قال روكرت واصفا موهبته الخاصة أنه أحب اللغات في حد ذاتها، وانه يعجب ويسر باللغة كلفة. ونحن لانجد في الغرب شاعرا أقرب منه الى روح الشرق. كما كان يتمتع باستعداد فائق للتعبير عن المفاهيم والمعاني. ومع تبحره في اللغات الشرقية، كان ولوعا باللغة الألمانية التي تعمق فيها حتى لم يكمل اشتقاقاتها. كما وضع الفاضل لكل من الكلمات العربية أو الهندية التي لم يوجد لها مقابل باللغة الألمانية. وقد قال فيه أحد فقهاء اللغة ولو ان اللغة لم تكن موجودة في عصره لصارت لروكرت اليد الطولى في ايجابها وتشكيلها.

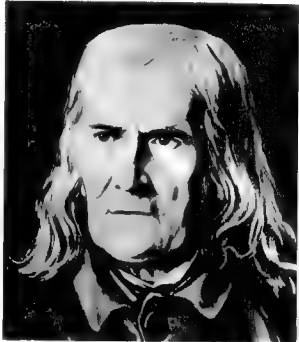
وفي عام ١٨٤١ دعاه الملك الروسي الى برلين التي أقام فيها سبع سنوات. وفي عام ١٨٤٨ عاد الى موطنه البافاري، وهناك عاش بين كتبه ومخطوطاته الكثيرة الى ان فاضت روحه، وكان يقارب الثمانين من عمره. وكان الثعب والوجهاد قد بلغا منه حداً بلغا بعد حياة مليئة بالاعمال. وربما مضى الى الراحة الابدية وهو يردد ما قاله زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن عيش
ثانين حولا لا بالك بسام

أنا ماري شميل

وكانت مكتبة روكرت من أخرى المكتبات. وكانت تحتوي على كتب باللغات التالية: اليونانية والألمانية واللاتينية والعقالية والرومانية والفارسية والسانسكريتية والتركية والعربية. بالإضافة الى مراجع أخرى بالعبرية والكردية والأرمنية والبشتو والفارسية القديمة، وبلغات جنوب الهندستان مثل التاميلية، والملايالية، والبرسية والآرناوية، والفيلندية، والأشورية، والآرامية، والحبشية، والقطبية. . .

وقد روى أحد أبناء روكرت ان والده تعلم نحو الحمسين لغة. ومن خلال مذكرات ابنائه وأيضاً من خلال أسماؤه، يمكننا أن نتبين ان هذا العملاق كان اذا ما أراد تعلم لغة، كرّس لها نفسه لمدة لا تزيد على الستة أو الثمانية أسابيع، بحيث لا يشغل في تلك



فريدريك روكرت

الفترة بأية لغة أخرى. ويظل هكذا حتى يفهمها ويدرسها ويترجم عنها. وروى أحد تلاميذه واسمه ياول ده لاجارد (Paul de Lagarde) ان روكرت لم يكن يدرس على الطريقة المعروفة التي تنهج الى توضيح المسائل من الوجهة اللغوية والنحوية. كما انه لم يكن يهتم بقدرة اللغة كعلم مستقل. ولم يلتزم تلامذته قواعد النحو والصرف، بل كان يشرح المثنى طلبته كما يبينه للأطفال عند بدء تعلمهم اللسان. . . وبذلك كان يأخذ بيد التلميذ الى قلب اللغة ليتعرف على أسرارها، وتوافق العبارات فيها، وتشابك الكلمات. واحيانا كان يترجم الشعر العربي أو الفارسي الذي قرأه على طلبته ارجحاً الى شكل منظوم.

وكان لروكرت خاصية أخرى تتمثل في أنه لم يمعن بأشكال الكلمات كما ينبغي، بل كان يفسر بعضها ملحناً في التلفظ بها.

العالية الثانية ووقتنا الحالي . ولا يتطرق الى
الاسس التاريخية الا بما يساعد على فهم
الحاضر

هذا وقد بذل الناشران والمؤلفون
الجهود في توفير المعلومات
والتحليلات المركزة، موفرين بذلك قاعدة
علمية نقدية سواء للانسان المعاصر المهتم
بشؤون المنطقة، أو للعالم المتخصص
لدراسته هذا الجزء من العالم وتفهم مشاكله
الخاصة. فامامنا عمل يتوجه الى قطاع
عريض من الجمهور المهتم بالأحداث في
الشرق الأدنى والشرق الأوسط على حد
السواء، وذلك في مجالات السياسة
والاقتصاد والثقافة والتاريخ الحديث.
أسلوب الفصول المختلفة مبسط وسلس
يستوعبه القاري المعاصر، مع التغاضي
عن إضافة الحواشي العلمية والتأملات
النظرية. وينتهي كل فصل من فصول
الكتاب بقائمة تضم المراجع الأساسية
التي يتركز عليها المؤلف في طرحه، مما
يعطي القاري صورة شاملة عن مستوى
البحث العلمي في جميع المجالات
المعالجة.

Udo Stenbach, Rüdiger Robert
Der Nahe und Mittlere Osten
Politik-Gesellschaft- Wirtschaft- Geschichte-
Kultur
Band 1 Grundlagen, Strukturen und
Problemlfelder 344 Seiten.
Band 2 Länderverhältnisse 548 Seiten.
Verlag Leske und Budrich, 1998.

أودو شتاينبخ وروديغر روبرت:
الشرق الأدنى والشرق الأوسط.
السياسة والمجتمع والاقتصاد والتاريخ
والثقافة.
الجزء الأول: الأسس والبنيات
والمشاكل. ٨٤٤ صفحة.
الجزء الثاني: وصف وتحليل للبلدان
المختلفة.
دار النشر (لنيسكه وبودريش) في أوبلاند،
١٩٨٨. ٥٤٦ صفحة.

مهمة هذا المرجع الذي شارك في
وضعه محسون من العلماء الألمان والأجانب
هي نشر المعلومات بشكل شامل حول
الشرقين الأدنى والأوسط، فهو يعالج
جغرافيا كل البلدان الأعضاء في جامعة
العلوم العربية، أي المحيط الجغرافي فيما
بين موريتانيا والمغرب غربا وبحران شرقا،
شاملا القرن الأفريقي وإسرائيل، ومتطرقا
الى «الحزبان الشمالي» بين تركيا
والباسكستان. ويركز في تسلسله التاريخي
على التطورات في فترة ما بعد الحرب

معص لئالات البخارية
على طراز الشرقي
في دهرنداد.



ولسد علي هاشمي في مدينة قم المقدسة، وتتبع المؤلف مساراته منذ أيام الطفولة الأولى، من معيشته في محيط الأسرة الهادي، وحتى خروجه إلى الشارع وانخراطه في المسجد. ويصف دراسته في الكتاب، ثم الوقت الذي أمضاه يدرس علوم الدين على يد الأسام الخميني. فيحكى لنا عن حاشه للثورة الإسلامية في بدايتها، وخيبة أمله فيها إزاء مشاهدته من عدم مقدرة قادتها ووحشية سياسة (الجمهورية الإسلامية). ومن خلال هذه الأحداث يطلع القارئ على خلفيات مجتمع يعود تاريخه إلى ألفي عام، وتبرز من خلال الماضي شخصيات تاريخية، منها الشعراء والفلاسفة والقادة السياسيون والقضاة، يصفهم المؤلف في مقالات تثير إعجاب القارئ.

وتعبر سيرة علي هاشمي عن الأمل في نشوء حضارة جديدة ومجتمع حر بارزهم من الآلام والمآسي التي تكتنف الأوضاع الحالية.



Volker Stierling (Herausgeber): Lust an der Erkenntnis. Die Philosophie des 20. Jahrhunderts. Piper Verlag, München 1987 510 Seiten.

فولكر شيرلينغ (الناشر): متعة المعرفة - فلسفة القرن العشرين دار النشر «بيتر» ميونخ ١٩٨٧ - ٥١٠ صفحة.

يحاول الناشر في كتابه هذا عرض أفكار أهم الفلاسفة في القرن العشرين، ووصف الآراء الفلسفية ذات التأثير الكبير. وهي جميعاً أفكار فُرِضت على الوعي، وفكر الراغبين مدغمها التي لا تحصى.

يتصف تصور شيرلينغ للفلسفة بشموله ولا تحده، إذ يعرض الفلسفة في إطارها الواسع، من الفلسفات الشيوعية كفلسفة النازية حتى فلسفة الاستهلاك السائدة في يومنا هذا.

يتسلسل العرض تاريخياً ويعرف بتعدد الأفكار والاتجاهات الفلسفية التي برزت في القرن العشرين، أخذاً بنظر

التعاون السياسي والاقتصادي، والتصريحات الصادرة عن المجموعة الأوروبية وجمهورية ألمانيا الاتحادية حول قضايا معينة خاصة بسياساتها تجاه دول المنطقة. كما يعطي الكتاب أمثلة حية للوضع الراهن في العلاقات الثنائية بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وبلدان الشرق الأوسط.



Roy Motehede: Der Mantel des Propheten oder: Das Leben eines persischen Mullahs zwischen Religion und Politik. Verlag C.H. Beck, München 1987 380 Seiten. Aus dem Englischen übersetzt von Klaus Krieger.

روي متحده: معطف الرسول أوجية رجل دين فارسي بين الدين والسياسة. دار النشر (بيك)، ميونخ ١٩٨٧. ترجمه عن الانجليزية كلاوس كريغر، ٣٨٠ صفحة.

منذ سقوط نظام الشاه في عام ١٩٧٩ وإيران عمت أنظار العالم أجمع. وتثير التغيرات العميقة السائدة فيها باسم الإسلام ردود فعل مختلفة ليس في العالم الغربي فقط، وإنما في البلدان الإسلامية كذلك. ويصعب حتى اليوم على من يراقب تلك التطورات من الخارج، أن يكون صورة واضحة عن جمهورية إيران الإسلامية. ونحن نرحب بهذا السبب بصدد عمل جديد يحقق في ما يحدث داخل إيران. ومؤلف هذا الكتاب الغزير بالمعلومات هوروي متحده، مستشرق أمريكي ومتخصص في التاريخ الإسلامي من مواليد عام ١٩٤٠ في نيويورك، ودرس في جامعات كامبريدج وهارفارد. وهو اليوم استاذ في جامعة برنستون بالولايات المتحدة. يسرد روي متحده في كتابه سيرة رجل دين إيراني دفعته ثورة عام ١٩٧٩ بقيادة الإمام الخميني إلى الانخراط في خضم الصراع بين الدين والسياسة. وكتب المؤلف وقائع حياة بطله المسمى علي هاشمي من وحي قصة حياة شخص يعرفه المؤلف معرفة وثيقة.

وللكتاب جانب آخر على قدر كبير من الأهمية إضافة إلى كونه موسوعة غزيرة بالمعلومات القيمة. فهو دليل على أن الدراسات الاستشرافية في ألمانيا الاتحادية شرعت تتحولوا يقرها من مثيلتها في الولايات المتحدة وإنجلترا، فيما يخص بدراسة التاريخ المعاصر لهذه المنطقة. فهذا النوع من الدراسات الاستشرافية له تراث عريق هناك. ويعود الاهتمام بدراسة تاريخ الشرق المعاصر في ألمانيا الاتحادية إلى السبعينات فقط. ونحن نرى أن علوم الجغرافيا والسياسة والاجتماع والاقتصاد تتجه، كل في مجله إلى دراسة الشرق المعاصر، إلى جانب مجالات الاستشراق الكلاسيكية مثل علوم اللغة العربية والإسلاميات والدراسات العثمانية. وينامي عدد المؤسسات العلمية المهتمة بدراسة الشرقين الأدنى والأوسط بتنامي محاولات ألمانيا الاتحادية انتاج سياسة مستقلة تجاه دول المنطقة، سواء على المستوى الثنائي أو في نطاق المجموعة الأوروبية. وهذا في حد ذاته يتطلب معرفة متعمقة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية السائدة في دول المنطقة. ويُعد هذا المرجع بجزأيه مساهمة فعالة بهذا الصدد.



Reihe Berichte und Dokumentationen: Die Bundesrepublik Deutschland und der Nahe Osten. Dokumentation. Herausgegeben im Auftrag des Auswärtigen Amtes. Druckhaus Neue Presse Coburg, 1987, 260 Seiten.

مجموعة تقارير وثائق: جمهورية ألمانيا الاتحادية والشرق الأوسط. وثائق. صادر بتكليف من وزارة الخارجية. مطبعة نوبه بريسه في كوبورج، ١٩٨٨، ٢٨٠ صفحة.

هدف هذا الكتاب الوثائقي هو عرض سياسة جمهورية ألمانيا الاتحادية ودول المجموعة الأوروبية تجاه الشرق الأوسط، وهو يجتري على مقتطفات من كلمات لسياسة مرموقين حول اسس

بين أهم أحداث حياة شوبنهاور وبين خلفيته الفلسفية، بأسلوب مبسط ومفهوم، وهذا إنجاز جيد لو أخذنا بعين الاعتبار أن هذه الخلفية إنما تتمثل في نظريات كانط وهيغل وفخته. . . وهكذا فإن ترجمته لحياة شوبنهاور هي بحق تصريح بالحلب للفلسفة ككل.



Grass in zehn Bänden. Herausgegeben von Volker Neuhäus. Luchterhand Verlag in Darmstadt und Neuwied 1987, 8468 Seiten.

قلمت دار النشر (لوخترهاند) في دارمشتات ونويغيد مجموعة أعمال الكاتب الألماني المعاصر غونتر غراس في عشرة أجزاء، بمناسبة عيد ميلاده الستين، أصدرها فولكر نويهاوس. . . وتحتوي المجموعة، بجانب أعماله الشعرية، على الروايات والمسرحيات والمقالات، ويلمح بها فهرست مفصل يجعل من السهل استعمالها على القارئ، بل ويتيح له فرصة المقارنة بين الموضوعات المختلفة وكيفية معالجتها من قبل المؤلف في تاريخ تطوره الأدبي. . . وهناك طبعان من المجموعة، طبعة مغلفة بغلاف سميك وطبعة على شكل كتب الجيب.



Göthes Werke. Herausgegeben im Auftrag der Großherzogin Sophie von Sachsen, 143 Bände, insgesamt 62000 Seiten. Deutscher Taschenbuch-Verlag München, 1987.

إعادة طبع مجموعة أعمال غوته الصادرة في فيسار.

مجموعة أعمال غوته. صدرت بتكليف من الدوقة صوفي فون زاكسن. 143 جزء، 62000 صفحة. دويتشر تاشنبوخ فولاغ. ميونخ 1987.

منذ سنوات طويلة وهذه الطبعة من أعمال غوته غير موجودة في سوق الكتب وفي متناول القراء، حتى أن علماء الأدب الألماني وعشاق غوته يتداولون الأجزاء الغليلة التي قد تظهر في مكتبات الكتب القديمة بأسعار خيالية. ولهذا عزمت دار

ولدت في رحابه مجموعة من أعمال الفلسفة الحضرية كان المؤلفها هدف واحد بالرغم من خلافاتهم الداخلية العديدة، ألا وهو النقد الوضعي لجميع الأوضاع الاجتماعية الناتج عنها اغتراب الفرد، والتغلغل في الواقع بواسطة منهج الديالكتيك التقدي العقلاي والأساليب التجريبية، بغية بناء عالم أفضل وأكثر تنويرا.

ولم تفقد الأسئلة المطروحة من جانب المعهد حدتها، حتى بعد عودة طاقمه إلى فرانكفورت في عام 1950، بالرغم من أن إصادة النظر في النظريات التي طرحها أدورنو وهوركهايمر معا مازال متواصلة. وهدف الكتاب هو الحفاظ على تلك الأفكار وجويتها، انطلاقا مما صاغه يورغن هابرماس (Jürgen Habermas) صالان تراث المعهد بعد وفاة مؤسسه.

يقول هابرماس:

«إن التأمل الذاتي للعلوم وربطه بطرح أسئلة عملية، قاعدتها عقلانية، مع أخذ القرارات السياسية، هذا كله يوجدته رباط واحد وهو النظرية النقدية.»



Rüdiger Safranski: Schopenhauer und die vielen Jahre der Philosophie. Hanser Verlag, München.

روديغر سافرنسكي: شوبنهاور وسنوات الفلسفة الأولى. دار النشر (هانزر)، ميونخ.

«يكفي أن يفتح أحدهم كتابا من كتي ويلقي عليه نظرة، حتى أكون قد كسبت اللعبة».

شوبنهاور، كاتب هذه الكلمات، ولد منذ 200 عام، وبهذه المناسبة طالعنا دار النشر (هانزر) بمجموعة أعماله الكاملة في خمسة أجزاء، أصدرها لوديغر لوتكههاوس، وبجانبها سيرة حياة هذا الفيلسوف بقلم روديغر سافرنسكي، يحاول المؤلف فيها تقييم هذا الفيلسوف العبقري ضمن التراث الفلسفي الذي ينتمي إليه والذي كتب فلسفته كرد فعل عليه. ونجح سافرنسكي في محاولته الربط

الاعتبار حتى فلسفات الحياة البوية، وغير مقتصر على الأطار الأكاديمي، أوعلى الاعلام البارزين، وإن كانت للأخيرين حصصة الأسد في الكتاب. وهكذا يدخل الى جانبهم مفكرون لم يلجسوا العالم الأكاديمي، ولكن كان لهم تأثير فعال على تطور الفكر. ومن الجانبين، أدورنو (Adorno) ويزرغسون (Bergson) وبلوخ (Bloch)، وكامو (Camus) ونوربرت إلياس (Norbert Elias) وهابرماس (Habermas) وهابيدغر (Heidegger) ولينين (Lenin) وكارل بوبر (Karl Popper) وبرتراند راسل (B. Russell) وسارتر (Sartre) وفيتغنشتاين (Wittgenstein) أنه كتاب يتعش متعة المعرفة حقاً.



Roll Wiggershaus: Die Frankfurter Schule. Geschichte - Theoretische Entwicklung - Politische Bedeutung. Hanser Verlag, München 1987, 785 Seiten

رودلف فيغزرهاوس: مدرسة فرانكفورت. تاريخها وتطورها النظري وأهميتها السياسية. دار النشر (هانزر)، ميونخ 1987، 785 صفحة.

عندما نتناهي الى سمعنا لفظة مدرسة فرانكفورت (Frankfurter Schule) أو تعبيرة النظرية النقدية (Kritische Theorie) فإننا نتذكر بصورة آلية عددا من الأسماء الشهيرة مثل أدورنو (Adorno) وهوركهايمر (Horkheimer) وإيريك فروم (Erich Fromm) وفالتر بنيامين (Walter Benjamin) وهيربرت ماركوزه (Herbert Marcuse) وهي جميعا أسماء تشير إلى ما هو أكثر من مجرد نظرية.

ينطلق مؤرخ الفلسفة فيغزرهاوس في كتابه من فرضية أن مدرسة فرانكفورت تعكس التاريخ الثقافي والسياسي الألماني، من عصر جمهورية فايمار وحتى اليوم. فيبدأ بالتاريخ لمعهد البحوث الاجتماعية الذي أصبح منذ عام 1920 مركزا للمفكرين اليساريين في ألمانيا، ويعد طردهم منها في عام 1933، فكان المعهد من مواصلة عمله في المنفى في الولايات المتحدة. ولقد

النشر (دويتشر تاشنوخ فيرلاغ) على إعادة طبعها من جديد، وذلك بمناسبة مرور مائة عام على صدور الجزء الأول من هذه المجموعة الشهيرة لأعمال الكاتب الألماني الكبير، والتي صدرت آنذاك في ١٤٣ جزءاً.

هذه المجموعة المسماة باسم (مجموعة فاينار) تحمل أيضاً اسم (مجموعة صوفي) على اسم الدوقة صوفي فون زاكسن-فاينار، لأن حفيد غوته منحها خلفات جده عند ولادته، وكانت هي التي أعطت الأمر بإصدار هذه المجموعة القيمة.

والجموعة مقسمة إلى أجزاء مختلفة وتحسني على كل الأجيال الشعرية والمؤلفات الأخرى واليوميات والخطابات والحوادث والأعمال غير المكتملة. وعملت أجيال من العلماء على نشر المجموعة، حتى ظهر الجزء الأخير منها في عام ١٩١٩.



Ernst-Peter Wleckenberg (Herausgeber):
Einführung ins 18. Jahrhundert mit 18 Erstdruckungen
von Texten von Goethezeit. C.H. Beck Verlag,
München 1988, 562 Seiten mit 40 Abbildungen.

القرن الثامن عشر. يتضمن ١٩ نصاً من عصر غوته لم يسبق نشرها بعد. دار النشر (بيك)، ميونيخ ١٩٨٨، ٥٣٣ صفحة، ١٠ و١٠ صورة.

بمناسبة الاحتفال بمرور ٢٢٥ سنة على تأسيسها، أصدرت دار النشر بيك هذه المجموعة القيمة، تحتوي على نصوص من القرن الثامن عشر، كلها سبق وأن نشرت في كتب صادرة من نفس دار النشر ويضمّ المجلد نصوصاً تعطي صورة حية عن المناخ الثقافي في عصر التنوير الذي كان عصر نهضة في تاريخ الأدب الألماني، مع ٤٠ و٤٠ رسماً بريشة فنانين من نفس العصر.

ويقدم الناشر ١٩ نصاً من عصر غوته لم يسبق نشرها، منها خطاب لغويورغ فورستر (Forster) كتبه لابنته وهي في سن السادسة من العمر. ورسائل بقلم يوهان

هاينريش فوس (Voss) والرسام تيشباين (Tischbein)، كما تتضمن المجموعة خطاباً رسمياً بقلم غوته ونصاً لشيلر عن الثورة الفرنسية. إنها كلها وثائق من ذلك العصر الذي قال عنه غوته بأنه حاول جاداً تحقيق حلم الانسانية في تحسّن أوضاعها وتجاوز ما هي عليه. ونود أن نذكر هنا أن دار النشر بيك تساهم مساهمة فعالة في نشر الأدب العربي في سلسلتها السابعة بالمكتبة الشريفة.



Annette Schimmel, FRIEDRICH RÖCKERT:
Lebensbild und Einführung in sein Werk. Herder-
Taschenbuch, Band 1371, Herder Verlag,
Freiburg, 1987.

انثري شimmel: فريدريك روكرت، صورة حياته ومداخل إلى أعماله. كتاب الجلب (هيردر)، المجلد رقم ١٣٧١، دار النشر هيردر، فرايبورغ ١٩٨٧.

إن روكرت لسعيد الحظ إذ كانت العلامة القديرة الأستاذة انثري شimmel هي من اضطلع بكتابة سيرته، لما بينها من تشابه في القدرة اللغوية وفي غزارة العلم. وهي أول من حصل على ميدالية فريدريك روكرت من مدينة شفايفورت، مسقط رأسه. وتقدم لنا الأستاذة انثري شimmel في الذكرى المئوية الثانية لميلاد روكرت سيرة عالم اللغة القدير والشاعر الموهوب، الذي كان أول من ترجم الشعر الشرقي إلى اللغة الألمانية. وتعد انثري شimmel من أكثر العلماء معرفة بأعمال روكرت، كما أن لها العديد من المؤلفات حول التصوف الإسلامي والحضارة الشرقية وفن الخط. كما وترجمت الشعر من اللغات العربية والفارسية والأوردية والتركية والهندية إلى الألمانية. فقرأها

تكتب عن روكرت مقبرة تماماً أنه اداد خلق الشعر العربي باللغة الألماني من جديد، فقدم بذلك للغاية الألماني كنزاً ثميناً من كنوز الأدب العالمي، حيث العديد من الأدباء والشعراء المعاصرين له على الاهتمام بالشعر. ومندف الأستاذة انثري شimmel من كتابها هذا هو تذكرينا بها انجزه روكرت الذي لم يلق التقدير الذي كان يستحقه في حياته. ذلك أن موهبته المزدوجة كشاعر وعالم لغة أعاقته في الوصول إلى الشهرة التي يستحقها في المجالين وكان يردد أنه قد أصبح مستشرقاً لأن الشعر لا يعمل أسرة.

وهكذا نرى أن الشاعر العالم والعالم الشاعر يقف كل منهما في طريق الآخر ويعينه عن التقدم. وهذه الأدوار التي لازمتها طيلة حياته، تبعها السيدة شimmel في الجزء الأول من الكتاب. لم يكن روكرت راضياً عن حياته، سواء خلال الفترة التي أمضاها ككاتب حر في برلين أو كأستاذ في إرلانغن. وحتى قوت عياله الكثيرين لم يكن متوفراً في كلتا الحالتين. أما سنواته الأخيرة فقد أمضاها في كوبيورغ، وحتى هنا في الاقليم كان العالم كله في متناول يده من طريق الكتب التي كان يدرسها والأعمال التي كان يترجمها إلى اللغة الألمانية.

كان تصور المؤرخ هيردر (Herder) حول عالمية الأدب هو محور حياته منذ البداية، فطرح في رسالته لنيل الدكتوراه والمقدمة في عام ١٨١١ النظرية التالية: وإن لثنتنا نحاول أن نكتسب صبغة عالمية فهي اللغة العالمية حقاً تضمّ إليها كل اللسانة الغربية عليها، وتجعل منها جميعاً لغة واحدة.

وإن نأسف اليوم لكون الجمهور القاري في ألمانيا يكاد يجهل تماماً كل ما تقدمه الأدب العربية والفارسية والتركية من روائع، فلا بد أن نقرّ بأن لغياً موهبة لغوية مثل روكرت دوراً أساسياً في هذا النقص، موهبة تجمع بين المقدرة على استيعاب اللغة وبين عبقرية الشاعر المبكر.

العصر الروماني الذي عُرف بحبه للشرق الى اللغات اللاتينية والفرنسية والانجليزية والألمانية. ولأشأن روكرت هو أفضل من ترجم لشعراء فارس الكلاسيكيين، فقد أعاد نظم الآثار الشعرية الفارسية، مثلاً فعل الشعر العربي والشرقي عامة، بأسلوب لم يحاكيه أحد فيه، وللأسف أنه لم يشهد صدور ترجمته لحدائق سعدى الشعرية، إذ أنها ظهرت بعد وفاته.



GEDICHTE SAADI's, (Musih ad-Din Saadi) Aus dem Persischen von Friedrich Rückert. Herausgegeben von Ferdinand Rühner. Kirsch, Eberwein Verlag, München 1968, 300 Seiten.

قصاد سعدى (مصلح الدين سعدى). ترجمها عن الفارسية فريدريك روكرت. من إصدار فريدون راينر كيرش. (دار النشر ارنفريت، ميونيخ ١٩٨٨، ٣٠٠ صفحة).

أصدرت دار النشر (ارنفريت) في ميونيخ مجموعة أعمال الشيخ سعدى (١٢١٣-١٢٩٢) بترجمة فريدريك روكرت، وذلك بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على ميلاد هذا المشرق والشاعر البليغ. وسعدى من شعراء الأدب الكلاسيكي في إيران، عُرف بأبيات الوجد حتى قبل ظهور الشاعر حافظ الشيرازي، وأشعاره غنية بالحكايات ذات المغزى الأخلاقي، وهي قصص قصيرة تتخللها مواضع وتعاليم وإرشادات صيغت شعراً ونثراً.

فنجده في (البستان) الصادر في عام ١٢٥٧ يصف لنا عاصم الناسان وسأوته، بينما اختار لمجموعة (جلستان) الصادرة في عام ١٢٥٨ نغماً خفيفاً، فهي ورود لاتغير السنوات ولا الشهور من لونها وأريجها، كما يقول عنها المترجم، يتغنى فيها الشيخ العلامة بالله والطبيعة والصداقة والألفة، مراقبا تقلبات الحياة وتطورات الزمن بدهو فلسفي، نغمته الرئيسية هي الحب، غير مفرق بين حب الله وحب الانسان، مثله في ذلك مثل جميع شعراء المتصوفة.

ومنذ القرن السابع عشر وسعدى هو أكثر شعراء فارس شهرة في أوروبا، ترجمه

Mewlana Dschelaleddin RUMI Das Meer des Herzens geht in tausend Wogen. Ghaselen. Aus dem Persischen von Friedrich Rückert. Dagvayl Verlag, Frankfurt am Main, 1986, 96 Seiten.

مولانا جلال الدين الرومي : والبحر القلب ألف موجة». من شعر الوجد. ترجمه عن الفارسية فريدريك روكرت. دار النشر داغويل فرانكفورت ١٩٨٨، ٩٦ صفحة.

بنشرها هذا الكتاب، تنوّه دار منشورات «داغويل» بفضل روكرت في تكييف الشعر العربي الألماني بالتراث الاسلامي، وذلك بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على ميلاده.

مولانا جلال الدين الرومي من أهم المتصوفة في الاسلام، تركت تعليمه آثاراً لا تحصى، ليس فقط على معاصريه وأتباعه على المفكرين في تركيا وإيران على مدار العصور.

ولب تعاليمه يكمن في المحبة والتسامح يواجه بها العظيمة واضطهاد الغريب. وبالرغم من أن الرومي كان متصوفاً تركي الاصل إلا أنه كتب عمله الرئيسي وهو «الثنوي» بلغة المتقنين في عصره وهي الفارسية، مثله مثل أعماله الأخرى. ويحتوي الكتيب المنشور على اشعار من الوجد يتضمنها «الثنوي» والديوان الكبير، قام روكرت بترجمتها لأول مرة الى الألمانية في القرن الماضي.

وجلال الدين الرومي من مواليد عام ١٢٠٧م وسقط رأسه «بلخ» في جمهورية تركمنستان السوفيتية، وتوفي عام ١٢٧٣ في قنبة، وتلقى تعليمه على يد والده بهاء الدين وليد والعلامة الفارسي فريد الدين العطار. لى هجمة المخول، التفت الى بشدا ثم غادرها الى دمشق، ليستقر بعدها في قنبة بتركيا. حيث أصبح معلماً في مدرسة «التنزيات» حيث ولدت طريقة الدراويش الدويراني التي أسسها، وهنا كتب أيضاً أعماله الادبية.



Ion 'Ate Allah Bedrängnisse sind Teppiche voller Gnaden. Übersetzt und eingeleitet von Annermarie Schimmel, in der Reihe «Texte zum Nachdenken»-Handbüchchen. Verlag Herder, Freiburg im Breisgau, 1987, 126 Seiten.

ابن عطاء الله : «الهموم بساطٌ للرحمة». ترجمته وقدمت له انيساري شميل. في مجموعة (نصوص لتأمل). مكتبة (هيرد). دار النشر (هيرد)، فرايبورغ ١٩٨٧، ١٢٨ صفحة.

كتب ابن عطاء الله، استاذ الحكم الموحدة، المنقبة، (كليات الحكمة) في القرن الثالث عشر، في مصر. ومنذ ذلك الحين يحكمه مصداق عزاء الملايين من الناس في العالم الاسلامي، تخفف عنهم وتبث فيهم الأمل والقدرة على الصمود. ماقي هذا الصوفي المصري المتمني الى الطريقة الشاذلية يسبح في حكمه بعظمة الله سبحانه وتعالى وعظمة ملكوته. وتعطي هذه الحكم التي تصدر لأول مرة باللغة الألمانية، للقاري، هنا لمحة عن عالم التصوف الاسلامي، عالم مازال مجهولاً للكثير من المتقنين.

من الكتب الجديدة في هذا السيل العامر للمتشورات حول الإسلام نجد هذا الكتاب، وهو محاولة ل إعطاء القاريء الأورويي الغربي صورة عن الإسلام كنظام فكري ودين وسلوك وبهج تشريعي. ومؤلف عالم في التاريخ ودبلوماسي، من مواليد لوزان، يعيش اليوم في لندن. ويمزج إياهه بالدين الإسلامي بمحاولة للدفاع عنه ضد من يحاول النيل من اسمه ومبادئه.



Karl Eselborn (Herausgeber): ÜBER GRENZEN. Berichte, Erzählungen, Gedichte von Ausländern. Deutscher Taschenbuch Verlag, München 1987 286 Seiten.

Heinz Friedrich (Herausgeber): CHAMISSOS ENKEL. Zur Literatur von Ausländern in Deutschland. Deutscher Taschenbuch Verlag, München, 115 Seiten.

كارل إيسلبورن: (عبر الحدود). نصوص وقصص وقصائد لأجانب يعيشون في ألمانيا الغربية يتكلمون بالألمانية. دار النشر (دويتشر تاشنبوخ فراغ). ميونيخ ١٩٨٧، ٢٨٨ صفحة.

هاينتس فريدريك: أحفاد شاميسو. حول أدب الأجانب في ألمانيا. دار النشر (دويتشر تاشنبوخ فراغ). ميونيخ، ١١٢ صفحة.

يقدم لنا الناشران في هذين الكتابين نصوصاً من الشعر والنثر بقلم كتاب أجانب يعيشون في ألمانيا الغربية. فهي مجموعة قيمة تعبر عن وضع هؤلاء الكتاب كغرباء وتسردوا إلى التملل في كيفية التخطيط لسياسة تستهدف دمج الأجانب هنا بشكل أفضل مما هو عليه حتى الآن.

وهذه الوثائق مهمة لأنها تشرى إلى بداية ثقافة وأدب من نوع خاص، يقول عنها أحد الكتاب الأتراك مابلي:

«إن أميتي هي أن تصبح الكلمة المكتوبة جسراً للتفاهم عبر الحدود، يربط خيالا بأنسى، وفكراً بفكر وفردا بسواه.»

التصورات الشائعة حول الحجاب موضع التساؤل، وتساهم في توسيع أفق القاريء بتوضيحها للتشابه بين الحضارات المختلفة.

إن هذا الكتاب بصورة الجميلة لمسل ومفيد في ذات الوقت، فهو رحلة في غياهب تاريخ الحجاب الحضاري، ابتداءً من الجرمان مروراً بالشرق القديم والأناضول وحتى العصر الثاني. وهناك فصل شيق يعالج الروابط الحضارية بين الشرق والغرب والتي سببها تجارة الحجاب وأساليب إنتاجه ومن المنظر افتتاح معرض في عدد من المدن الألمانية يعالج نفس الموضوع وقت صدور الكتاب.



Johannes Merkel (Herausgeber): Eine von Isaurem Nischen. Märchen aus dem Orient. Weismann Verlag, München 1987, 175 Seiten.

يوهانس ميركيل: ليلة من الألف ليلة... حكايات من الشرق.

دار للنشر فايسمن، ميونيخ ١٩٨٧، ١٧٥ صفحة.

هذه مجموعة من الأقاصيص الشعبية الشرقية، جميعها المؤلف من مجموعات غتلفة تكاد تكون غير معروفة للقاريء المعادي. وهي مجموعات طبع في أوروبا وأغلبها من القرن العشرين. ومنبعها الحكايات التي يسردها القصاصون في السواحل والقرى، أو حكايات البلد. وهي إن دلت على شيء فالتأثير على تراث قصصي رفيع، اندسرت في حيلة القاريء الأورويي المتعاد على الكلمة المرفوعة فقط.



Charles Le Gai Eaton: Der Islam und die Bestimmung des Menschen. Übersetzt von Eve-Lieselotte Schmidt. Eugen Diederichs Verlag, Köln, 1987 450 Seiten.

شارل لوغي إيتون: الإسلام وتصوره للإنسان.

ترجمته إيفا- ليزلوت شميديت. دار النشر (أويغن ديدريشس، كولن ١٩٨٧، ٤٥٠ صفحة.

Johannes Merkel (Herausgeber): Orientalische Frauenmärchen. Löwengleich und Mondenschin. Das Mädchen als König. Zwei Bände Frauenbuchverlag Weismann - Verlag, München 1987. 176 Seiten.

يوهانس ميركيل: أقاصيص النساء في الشرق: بشجاعة الأسد وفي جمال القمر: الفتنة كملك. مجموعة في جزأين. دار النشر النسائية فايسمن فراغ في ميونيخ، ١٩٨٧. ١٧٦ صفحة.

العنصر الأثوري في أقاصيص الغرب لايزر الأيطرق ملتوية ونضيفة أما في حكايات الشرق الشعبية، فتجد المرأة تلعب دوراً رئيسياً، بل إن الكثير منها تلعب النساء دور البطلة التي تناضل بذكاء ودهاء ضد عالم الرجال. شهرزاد مثلاً وهي تحاول الحفاظ على أنوثتها بالرغم من فظاظة الرجال.

إن هذين الجزأين يتميزان بإخراجهما الجميل، وبمحملان عن جدارة اسم (أقاصيص النساء) تحيط بها هالة من جو الف ليلة وليلة.



Meral Akdeniz/ Gaby Franger: Das Kopfkuch Ein Stückchen Stoff in Geschichte und Gegenwart. Dagvill Verlag, Frankfurt am Main, 1987, 290 Seiten. (Zweisprachig, deutsch-türkisch).

ميرال أكنت وضاي فرانغر: منديل الرأس. ماضي قماش وحاضرهما. دار النشر داغفيل، فرانكفورت ١٩٨٧، ٢٩٠ صفحة.

(باللغتين التركية والألمانية). قطعة صغيرة من القماش تصنع منها الحجاب وغطاء الرأس والقلنسوة، تتببت منذ آلاف السنين في تحديد ماهو محرم وماهو معلن، استخدمت أداة للاضهاد، وأثارت غيلة الرجل، يقصع بها المرأة ويدفع بها إلى النضال ضد هذا القمع. يبحث الكتاب في المنشأ البطريكي لغطاء الرأس خلال القرون السالفة في مجتمعات الشرق والغرب المختلفة، ولتوكرنا جانباً الأيديولوجيات والتعاليم الدينية، لواجهننا أسباب فردية متعددة تجعل النساء يرتدين غطاء للرأس. وتؤدي محاولة إعادة صوغ التاريخ من منطلق نسوي إلى بروز روابط عديدة بين الحضارات المختلفة، تضع

وكان فورستر مثل العديد من معاصريه علامة في مجالات متعددة من المعرفة. وكان فيلسوفاً اجتماعياً متمكناً من اقتناع غوته بكتاباته بعد أن كان متشككاً منها في البداية.

وكان فورستر أيضاً مناضلاً ضدّ صليبي عصره انطلاقاً من فكره المستنير، وكان دائماً على استعداد للتوفيق بين مبادئه وبين التجارب الحياتية التي كانت تمر به. وقد وصف البحر الجنوبي بعد رحلته إلى هناك. كما وصف أيضاً مصب نهر «الراين» دون أن يفرّق في ذلك بين «حضارة متقدمة وحضارة بدائية». ولم يكن فورستر ينظر إلى ظروف تلك المناطق النائية على أنها ظروف بدائية. كما أنه لم يكن يعتبر أوضاع أوروبا أوضاعاً متقدمة في جميع الميادين. وفوق كل هذا، كان فورستر ثائراً من امتع وأبلغ كتاب عصره.

وعند اندلاع الثورة الفرنسية، انطلق فورستر إلى باريس لمعايشة أحداثها ووقائعها. غير أن وحشتها اليومية خيّبت

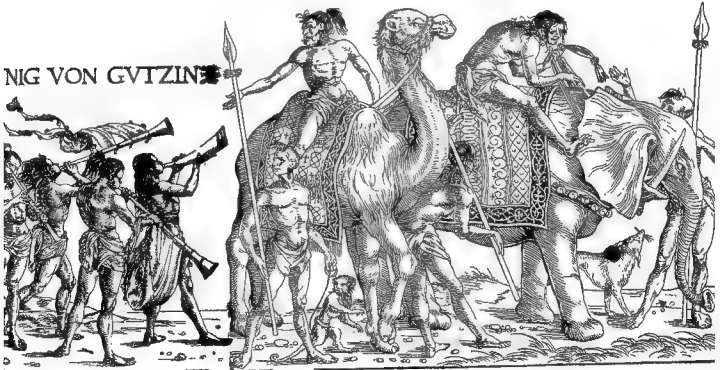
Klaus Harpprecht, Georg Forster oder die Liebe zur Welt. Eine Biographie. Rowohlt Verlag, Reinbek 1987, 632 Seiten

كلاوس هاربرشت: غيورغ فورستر
أَوْعشق العالم. سيرة
- دار النشر روفولت. راينبيك ١٩٨٧ -
(٦٣٢ صفحة).

ذاع صيت غيورغ فورستر وهولم يتخط بعد عامه الثالث والعشرين. وكان قد انتهى آنذاك من كتابة وصفه لرحلته حول العالم عن طريق المحيط الهندي إلى الكايتن كوك (١٧٨٧).

وقد اعتبرت الأرستقراطية الألمانية كتاب فورستر كنزاً ثميناً ونادراً للوجود. وراحت تتداوله بمتعة كبيرة. وكل قرائه كانوا يرغبون في الاستماع إليه وهو يروي مشاهداته في جزيرة تاهيتي الخلابة والبعيدة عن أمراض الحضارة الأوروبية، والتي ليس فيها حكم مطلق ولا تكاليف على المال، ولا أخلاقيات كاذبة للجنس.

NIG VON GVTZIN



هانس يوديكير: رسم على الخشب يصوّد أول بعثه للآلة إلى الهند عام ١٥٠٥

أفكاره السياسية والاجتماعية، خاصة وأن فورستر كان واحداً من المع أبناء عصر التنوير، ووجه واحترق بنار تطلعاته الى الحرية مثله في ذلك مثل هولدرلين وليتس (Lentz) وكلايست (Kleist). ونحن نعتقد إننا لا نتمكن من تفهم حياة فورستر إلا اذا ما تعرّضنا لأبسانه المطلق بقوّة هذه الافكار، وسلطة الكلمة المكتوبة. وكان فورستر يؤمن بضرورة النضال «من أجل بناء تاهيتي في اواسط اوربا». وقد كتب الى زوجته تيريزا بتاريخ ٢٦ يونيو ١٧٩٣ يقول لها: «من الغريب فعلاً يزوجني تيريزا الحبيبة ان تكون ظروفنا الخاصة مرتبطة كل هذا الارتباط الوثيق بالوضع العام للجنس البشري كله». وكانت تيريزا فورستر مثلها في ذلك مثل صديقتها كارولينا شليغل - شيلنغ (Karoline Schlegel-Schelling) من أولسى المتمرّدات ضد سلطة المجتمع المحافظ. ورغم تقصير هاربرشت في بعض النواحي، فإن كتابه عن فورستر يعتبر شيئاً وسلس الاسلوب وكثير الافادة.

آماله: «عندما بدأت اكتشف انه لا فضائل للثورة بدأت أتقرّر منها». وخلال تلك الايام كان يخطّط لتعلم اللغتين العربية والفارسية، استعداداً لرحلة جديدة الى الهند هرباً من الرعب المحيط به في فرنسا. غير ان الموت دامه وهولم يخطّط الاربعين من عمره. وكان ذلك في عام ١٧٩٤.

قال غوته ان فورستر مات ضحية مبادئه. ولم يغفر له تعاطفه مع الثورة الفرنسية ومشاركته فيها. وحتى الاجيال الاخرى لم تغفر له ذلك. وربما لهذا السبب لم تكتب سيرة فورستر الذاتية الا بعد حوالي ٢٠٠ سنة من وفاته. وقد حرص هاربرشت ان يكتب كتابه بأسلوب الكتاب الواقعيين في القرن التاسع عشر، وأن يقدم للقراء تفاصيل حياة فورستر القصيرة والمليئة بالاحداث والمعانيات. غير انه قصّر في تقديم معلومات وافية عن



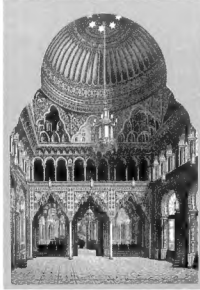
قصره في مصيف مدينة برايتن بجنوب
انكلترا على الطراز الهندي. وشيد قصر
الفيلهما في باد كانشات على الطراز
الموريسكي، أما قصر الكونغوفي مدينة
توركوان (Touroling) الصناعية في فرنسا
فبني على الطراز المغولي في الهند.

وتكمن أهمية الكثير من المباني
المصنوعة في الكتاب في الأحاسيس
والتخيلات التي تعبر عنها وليس بالدرجة
الأولى في مزاياها الجالية، وهي أحاسيس
وتخيلات مازالت حية حتى يومنا هذا،
ساهمت في نشأة ماسمي بالنظرة الأوروبية
للتعالية للعالم.

ويواكب الكتاب المعرض المقام في
(الديزئين سنتر) في شتوتغارت بعنوان
المهندسة المعاصرة الغرائبية في القرنين
الثامن عشر والتاسع عشر في إطار معرض
(عولم غربية وتخيلات أوروبية) الذي
تقدمه لقرائنا الكرام في عدتنا هذا.

والحيات التركية المشيدة على الطراز
الاسلامي فكان هدفها توفير جو من
السعادة والهناء المرتقب.

وحتى القصور الصيفية والفيلات
البورجوازية نجد لها قد بنيت بأسلوب
محاكي ماكانت غيلة الأوروبيين تنصوره
شرقيا. فأمر الملك جورج الخامس ببناء



Stefan Koppelkamm: Der imaginäre Orient.
Exotische Bauten des achtzehnten und neun-
zehnten Jahrhunderts in Europa.
Verlag Ernst und Sohn, 1997, 162 Seiten.

شتيفان كوبلكام: الشرق في المخيلة.
الآبنية الغرائبية في القرنين الثامن عشر
والتاسع عشر في أوروبا.
دار النشر ارنست وولده. برلين ١٩٩١،
١٩٢ صفحة بها ٢٨٢ صورة.

يعطينا كتاب كوبلكام صورة واقية
عن تاريخ اساليب البناء الغرائبية في
أوروبا، مركزا في سرده على استعاب
الأوروبيين في القرن التاسع عشر لفن
المعاري الاسلامي. ويتضح لنا أن العارة
الاسلامية كانت تتناسب والابنية ذات
الطابع الديني المرح، مناقضة في ذلك
الطراز الفرعوني المستخدم بالدرجة الأولى
في بناء المقابر والسجون ودور المكتبات، لما
يتميز به هذا الطراز من جدية وفخامة. أما
المقاهي وقاعات الموسيقى وحدائق الملاهي



Friedrich Rückert: Gedichte. Herausgegeben von
Walter Schmitz.
Philipp Reclam Verlag, Stuttgart 1998

فريدريك روكرت: قصائد. من إصدار
فالتريشيتس.
دار النشر فيليب ريكلام. شتوتغارت،
١٩٨٨.

Friedrich Rückert: «Jetzt am Ende der Zeiten».
Unveröffentlichte Gedichte. Herausgegeben von
Richard Dove. Athenäum, 1998

فريدريك روكرت: الآن في نهاية الزمان.
قصائد لم يسبق نشرها. من إصدار ريشارد
دوفه.
دار النشر اتنيوم، ١٩٨٨.

Friedrich Rückert: Werke. Ausgewählt und
herausgegeben von Annemarie Schimmel. Zwei
Bände.
Insel Taschenbuch, 1998

فريدريك روكرت: الأعمال. من اختيار
وأصدار انماري شيميل. جزءان، دار النشر
إنزل، ١٩٨٨.



Bildnachweis

Titel und Rücktitel nach Graphiken von Günther Kieser für das Gesamtprojekt der Stuttgarter Ausstellungen
«Exotische Welten – Europäische Phantasien». Ausstellungskataloge: Seiten 42, 43, 45, 46, 47, 49, 51, 54, 62, 63, 66 und 87.

Heinrich Müller-Verlag: Seiten 4, 5, 15, 30/31.

Bruckmann-Verlag, München: Seiten 12/13, «Die schönsten Höhenwanderungen im Schwarzwald».

Seiten 58 und 59: Kunsthalle Hamburg, Seiten 50, 80: Stefan Koppelkamm, Seite 64: René Gebhardt, Seiten 66/67 und 76: A. Sifi,
«Saudi Arabian Mirror».



FIKRUN WA FANN

47

